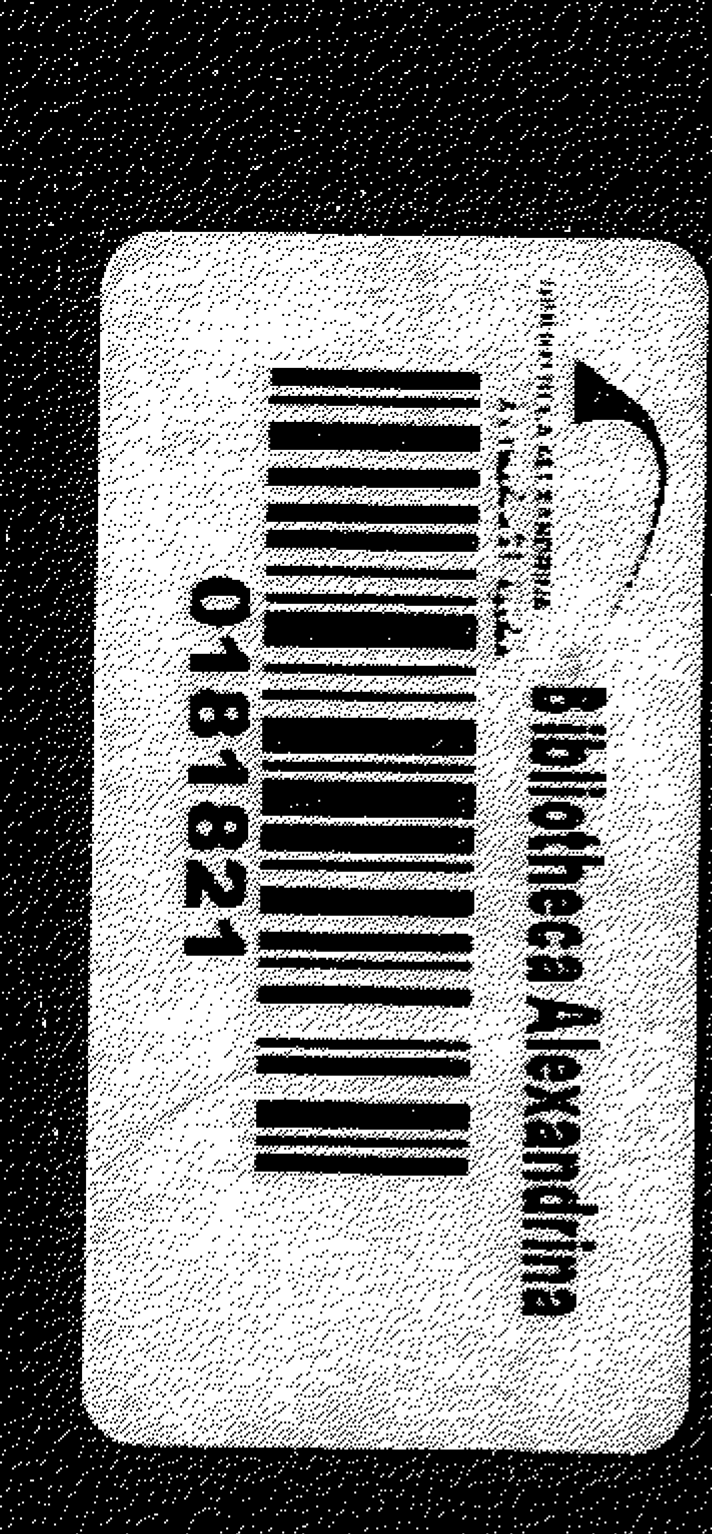
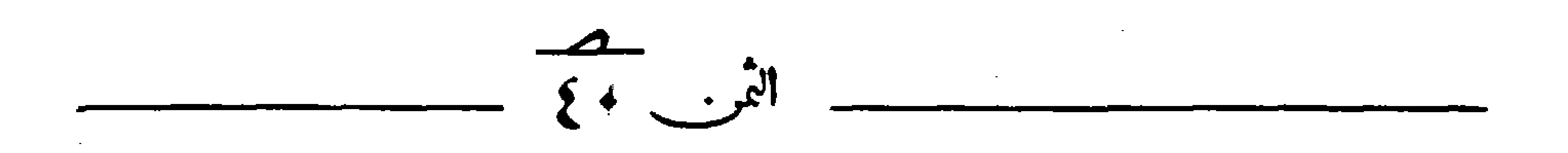

Bibliotheca Alexandrina
0181821

من أسرار الساسة والسياسة

مصر ما قبل الثورة

محمد التابعي

من أسرار الساسة والسياسة


الثمن ٤٠ ص

من أسرار الساسة والسياسة

مصر ما قبل الثورة

محمد التابعي

مطابع دار القلم بالقاهرة

مقدمة

الأمانة الصحفية .. وسر المهنة

اقترح على كثيرون من الأصدقاء أن أكتب مذكراتى .. عن الساسة والزعماء والنساء والرجال الذين عرفتهم فى حياتى .. وعن الحوادث والازمات .. الى آخره ..

ورفضت . وكانت حجتى اننى لم ادون مذكراتى الا فى فترات متقطعة .. متباعدة .. فالتسلسل مفقود والسياق مضطرب والدقة فى الرواية غير مأمونة او مضمونة .

ثم شيء آخر وهو الاهم عندى ... من الذى يستطيع دائما ان يقول الحق . كل الحق ولاشيء غير الحق ..

واذا نشرت مذكراتى فهل اقول فيها كل ما اعرف . وكل ما سمعت . وكل ما رأيت .. وبين الذين سوف تتناولهم هذه المذكرات اشخاص قد انتقلوا الى رحمة الله . ونحن اليوم نحيطهم بهالة من الاجلال والاكبار ..

وبينهم من لايزال على قيد الحياة ومن هو معدود من الاعلام والصفوة الممتازة فى هذا البلد .. هل اقول كل ما اعرف عن هؤلاء وهؤلاء ..

هل اروى مثلا حديث الزعيم فلان عن الزعيم فلان .. وهو حديث مملوء غيرة وحقدا ؟ وهل اروى مثلا واصف صور الضعف والاستهتار .. صور الخنوع والذل والاستمساك بالحكم باى

ثمن ؟ .. وصـور الطمع والجشـع .. والنفـاق وعـدم الوفاء .. وقصص الخلاعة والمجون وابطالها زعماء وساسة مجرزون .. ؟

***

ثم مسألة أخرى .... ماهو الحد الفاصل بين ما يجوز نشره ومالا يجوز نشره ؟ . والامانة الصحفية وسر المهنـة ؟ .. ماهى حدود هذه الامانة وهذه السرية .. ؟

لقد اشتغلت بالصحافة ثلاثين عاما . وعرفت فيهـا عشرات وعشرات من الزعماء والساسة وربطتنى ببعضهم أواصر الصـداقة والثقة . وبوحي هذه الصداقة والثقة افضى الى بعضـهم باسرار كثيرة .. وكشف أمامى بعضهم عن مكنون صـدره بل وعن خفايا ضعفه .. فهل اروى اليوم كل ما سمعت أو بعض ما سمعت . ؟

ورواية الكل قد تنفع المجمـوع .. وتؤذى الفـرد .. ورواية البعض قد لا تفيد المجموع ولا تؤذى الفرد أى الزعيم المروى عنـه .. واذن ما الفائدة وما الغاية من نشر رواية ناقصة أو مبتورة . ؟

وفى نشر الرواية كلها فضيحة او خيانة للامانة ..

وفى خلال هذه الثلاثين عاما التى اشتغلت فيها بالصحافة قابلت كثيرين من الساسة وقادة الرأى العام فى مصروفى بلاد غير مصر . بل وقابلت رؤساء دول ورؤساء حكومات . وكثيرا ما تحدث الى الواحد منهم واطال الحديث ثم قال :

ـ تستطيع أن تنشر كذا وكذا .. ولكن لا تنشر كيت وكيت .

وبعض هذه الاحاديث قد مر عليها عشر سنـوات او عشرون سنة .. واتساءل اليوم هل « حظر النشر » لا يزال قائما .

هل « سرية المهنة » سرية مطلقة مؤبدة .. أو موقوتة بفترة من الزمن .. وما طول هذه الفترة . ؟ هل تكفى مثلا العشرة اعـوام او العشرون عاما لكى تحل الصحفى من وعده بعدم النشر اى هل استطيع أن أنشر اليوم ما وعدت منذ عشرين عاما بعدم نشره . ؟

هـل استطيع ان انشره دون ان يتهمني أحـد بخيـانة الامانة والخروج عن مبدأ سرية المهنة وهو المبدأ الذى تقدسه الصحـافة ويحترمه الصحفيون . ؟

* * *

ثم اعتراض رابع او خامس هل يستطيع الصحفى ان يقـدم دائما واجب المهنة على كل اعتبار .. هل يستطيع أن يذكر دائمـا انه صحفى .. وينسى دائما انه انسان . ؟

لقد قابلت مثلا ملك الافغان الاسـبق الملك امان الله .. قابلته مرتين .. فى سويسرا فى مـدينتى مونتريه وزيوريخ .. وكان امان الله فى المقابلتين رجلا كسير الخـاطر محطم الآمـال .. كان يمشى تحت وابل المطر .. يتسكع ـ كما قال هو نفسه ـ ليقتل الوقت ..

وكتبت عنه فى المرتين ورويت الحديث الذى دار بيننـا .. الا جزءا منه .. الا جزءا خاصا بزوجته السـابقة الملكة ثريا .. لقد أبقيته حتى اليوم فى صدرى . هـذا الجزء من حديث الرجل الكسير الخاطر المحطم الآمال .. كتمته ولم انشره لاننى لم استطع ان انسى اننى ـ قبل ان اكون صحفيا ـ أننى انسان ..

* * *

وفاروق الطاغية .. فاروق هذا نفسـه لا أستطيع أن أكتب واروى عنه كل ما اعرف لاننى .. انسان .

لقد قاومت طغيانه وحاربته قـدر ما استطعت .. وهـو ملك وحاكم بأمره فكتبت مثلا مقالا عنوانه « يحيـا الظلم » فى آخـر ساعة عدد ١١ اكتوبر سنة ١٩٥٠ .. قلت فيه بين ماقلت :

نعم . يحيا الظلم .. ظلم كل جبـار عاتية معتـز بسلطانه وسطوته يدوس القـوانين ولا يبالى ، وظلم كل كبـير فاسق وكل عظيم فاجر يسرق ولا يبالى ويختلس ولا يبالى .. ويثلم الاعراض

ولا يبالى . ويهدر الكرامات ودم الوطن ويجعل من مصر أمثولة السوء وبصقة كريهة فى فم الزمن .

نعم . يحيا الظلم .. ظلم كل مطالب باحترام القانون ولا يحترمه . وكل قادر على حماية القانون ولا يحميه .. وظلم كل عابث ماجن اباحى مستهتر يضرب للناس اسوأ الامثال ..

نعم . يحيا الظلم لانه خير مرب للنفوس .. ونفوس المصريين تجيش اليوم بمعنى واحد .. لقد صبرنا طويلا ولن نصبر بعد اليوم . وتحملنا كثيرا ولن نتحمل بعد اليوم ..

***

وقرأ فاروق المقال . واشر بالقلم على هذه العبارات .. ثم سأل بعض رجال ديوانه « الملكى » ـ ولا داعى لذكر اسمائهم ـ سألهم .. « من العظيم الفاجر الذى يسرق ويعتدى على الاعراض »؟

وسكتوا عن الرد . وعاد يسألهم .. « من الذى يعنيه التابعى » ؟ ولم يجب احد منهم . وابتسم فاروق ابتسامة صفراء لانه عرف بكل تأكيد من سكوت رجال حاشيته .. انه هو المقصود .

***

وكتبت عن فاروق بعد خلعه وطرده .. كتبت ولم ارحمه . واسهبت فى سرد قصص مخازيه وفضائحه . ومع ذلك فاننى لم انس فى كل ما كتبت اننى انسان .. فلم اذكر مثلا لماذا بكى ذات يوم فى دار صغيرة فى حى جناكليس برمل الاسكندرية فى صيف عام ١٩٣٧ .

وكان فاروق يومئذ لايزال الملك المأمول .. لم تفسده الدنيا . ولم ينس ربه ودينه .. بكى كالطفل الصغير حتى بلل الدمع خديه .. لم اكتب ولم اذكر التفاصيل .. لان فاروق بكى ساعتئذ كانسان .. لا كملك .. ولاننى لا استطيع ان انسى دائما اننى ..انسان .

***

الذكريات كثيرة .. وما أعرفه كثير .. وما وقع لى فى حياتى مختلف الالوان .. والصعوبة فى الاختيار .. أيها يصلح للنشر .. وأيها لا يصلح ..

ايها يجوز نشره .. وايها لايجوز .. وأيها يرضى أصحابه واشخاصه وابطاله — او يسكتون عن نشره .. وايها الذى لا يرضيهم نشره .. هل أروى مثلا ما سمعته من الدكتور محمد صلاح الدين أيام اشتداد الخلاف بين رئيس الوفد مصطفى النحاس وسكرتير الوفد مكرم عبيد ؟

ومن هم الذين سعوا مخلصين لتسوية أسباب الخلاف والابقاء على وحدة الوفد .. ومن هم الذين سعوا وعملوا على توسيع شقة الخلاف بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد ؟..

وهؤلاء وهؤلاء من اعضاء الوفد أو من كبار الوفديين ..

وهل أستطيع مثلا أن اروى تفاصيل حديث دار فى مسكنى ذات مساء فى شهر مايو او يونية عام ١٩٤٢ بين فؤاد سراج الدين وبينى عن مكرم عبيد وهل من الصواب فصله الآن من الوفد ... او الانتظار او الاسباب « الوجيهة » التى ابداها الاستاذ فؤاد سراج الدين للتعجيل بفصل الاستاذ مكرم عبيد . ؟

وهل اذكر الحديث الذى دار بالتليفون بين مصطفى النحاس وكان فى فندق مينا هاوس ومكرم عبيد وكان فى المنيا ذات مساء ابان الاستعداد للانتخابات التى جرت بعد قيام وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢ .

وهل أروى ماسمعته من فم رئيس الوفد ورئيس الوزارة مصطفى النحاس عن « الملك » فاروق وموقف الوزارة منه ومن الانجليز .. ؟

وهل من الامانة الصحفية أن أروى حديثا او كلاما لم يقله مصطفى النحاس باشا امامى الا وهو مطمئن الى وواثق منى ..!!

وهل أستطيع ان أروى كل ما اعرف وكل ماسمعته من صديق راحل كريم هو احمد محمد حسنين وللصداقة حقوق . وعليهـا واجبات ...

وهل مما يستقيم مع حقوق الصديق ولا يتنافى مع واجبــات الصداقة ان اروى وأذكر كل ماعرفت وكل ماسمعت ...

***

هذه هى الصعوبة . بل هذا هو الصراع بين الصحفى والامــانة الصحفية .. وبينه وبين سرية المهنة .. ثم الصراع بين الصحفى والانسان .

الكتاب الأول

أحمد محمد حسنين

في الحياة الخاصة

هذا الرجل الغامض .. هل هو بطل ؟ هل هو خائن ؟

قلت فى المقدمة اننى لا أكتب هنا « مذكرات » بالمعنى المعروف ، بل هى صور وقصص من حياتى وحياة الآخرين .. صور وقصص بلا تسلسل او ترتيب .

وقد اخترت ان ابدأ بصورة للمرحوم احمد حسنين باشا لا لسبب الا لان شخصيته كانت موضوع خلاف بين الذين عرفوه .

هل هو بطل ؟ ومصرى وطنى مخلص يقدم مصلحة بلاده على كل ماعداها ؟.. أم هو خائن وصنيعة للانجليز ؟ ولا بأس من أن يضحى بمصلحة مصر فى سبيل مصلحةذاتية يحققها له الاستعمار ؟ هل هو السبب المباشر فى فساد الحكم وفساد فاروق ؟ وفساد الاسرة المالكة والفضائح التى وقعت فى السنوات القليلة السابقة على قيام الثورة ؟

تباينت الآراء واختلفت فى هذا الرجل .. أحمد محمد حسنين .

احمد محمد حسنين ابن الشيخ الازهرى محمد حسنين .. ومع ذلك ! ومع ذلك فهو خريج جامعة اكسفورد .. وصهرالاسرة المالكة !

ولقد عدوها أعجوبة من عجائب العصر يوم تزوج سعد زغلول الازهرى النشأة وابن الفلاح المصري من ابنة مصطفى فهمى باشا التركى الاصل . ورئيس الوزارة المصرية ..

وها هو ذا مصرى آخر وابن فلاح وشيخ أزهرى يتزوج من ابنة الاميرة شويكار مطلقة الملك فؤاد وحفيدة محمد على مؤسس الاسرة المالكة !

انها اذن اعجوبة العجائب ! وكانت اعجوبة اخرى ان هذا المصرى ــ ابن الفلاح ــ يطلق فيما بعد طواعية واختيارا زوجته هذه لطفية ابنة الاميرة شويكار التى كان مقدرا لها ان ترث الملايين .. وهو الفقير المعدم الغارق فى الديون !

كيف كان هذا ؟ ولماذا ؟

هل طلق حسنين زوجته كرها فيها ؟ .. وحبا فى نازلى مائة مصر ؟ ام انه طلقها وهو يبكى وقلبه يقطر دما ؟ .. ولماذا طلقهـا اذن ؟ .

* * *

أحمد محمد حسنين خريج جامعات انجلترا .. والمفتش بوزارة الداخلية ابان الحرب العالمية الاولى .. والسكرتير بسـفارة مصر فى واشنجطون ، والامين الثانى للملك فؤاد ..

ورائد صـاحب السمو الملـكى الامير فاروق ولى العهـد وامير الصعيد .

والامين الاول لجلالة الملك ، ثم رئيس ديوان جلالة الملك فاروق

والرجل الذى كان يمسك بخطوط السـياسة المصرية فى فترة حرجة حالكة فى تاريخ مصر ما بين عام ١٩٤٠ وعام ١٩٤٦ .

الرجل الذى كان يقيم الوزارات ويسقط الوزارات .. وهو فى نفس الوقت حـريص على أن يبـدو فى تصرفاته واقـواله كرجل لايعرف شيئا مما يقع فى البلد ! ولا يد له فى اى أمر يقع . بل ويؤكد لمعارفه انه لا يفهم شيئا فى السياسة !

* * *

كان فى وقت ما بطل مصر فى « الشيش » او المبارزة فى السيف ونازل ابطال هذه اللعبة فى اوروبا وانتصر على كثيرين منهم ..

وحاول فى يوم ما ان يكون أول مصرى يقود طائرته الخاصـة بمفرده من اوروبا الى مصر .. وسقطت به الطائرة مرتين .. فى

فرنسا وفى ايطاليا . ونجا من الموت فى المـرتين . واصـلح عطب الطائرة واستأنف طيرانه .. لولا ان الملك فؤاد ارسل اليه برقيـة يأمره فيها بالعدول عن الطيران الى مصر والعودة بأول باخرة

وجاب مجاهل الصحراء الغربية مع الرحالة الانجليزية السيدة روزيتافوربس وكان حسنين صاحب الفكرة ومنظم الرحلة وعقلها المدبر وقائدها .. وقد تستر على زميلته الانجليزية فزعم انهـا مسلمة وانها زوجته ، وألبسها ثيابا عربية وأسـدل على وجههـا حجابا كثيفا .. والا لما كان زعماء القبائل سمحوا لهذه المسيحيـة الاجنبية بالتوغل فى مجال سلطانهم واسرار الصحراء .

وعاش احمد حسـنين مع روزيتا فوربس أسابيع عـديدة فى مجاهل الصحراء . وكانا ينامان فى خيمـة واحدة .. ولكنـه لم يحاول ان ينال منها .. أما هى فقد حاولت .. ولكنه ابى واعرض وسألته مرة :

ـ وهل قدت قميصك من دبر !

وضحك رحمه الله وقال :

ـ كلا .. فان المسألة لم تصل الى هذا الحد ..

قلت : لكننى لا أفهم !.. لقد كنت يومئـذ فى عنفوان شبابك .. وروزيتا امرأة جميلة تشتهى .. وكنتما فى الصحراء أسابيع عديدة .. ووحدكما عشرات الليـالى فى خيمـة واحـدة . وكان مرافقوك من البدو يعتقدون انها زوجتك .. وما انت دائمـا بولى الله او قديس .. اذن ماذا ؟ .

وضحك مرة اخرى وقال :

ـ لان الازهر انتصر فى هذه المرة على اكسفورد .. !

وكان أبوه الشيخ محمد حسنين من علماء الازهر الاجـلاء .. والمعنى الذى اراده حسنين هو ان النشأة الدينية فى دار ابيـه وما ورثه فى دمه عن ابيه العالم الازهرى المستمسـك بأحكام دينـه

الحنيف .. كل هذا انتصر على عوامل التحرر أو التحلل التى تركتها فى نفسه دراسته فى جامعة اكسفورد ..

سألته :

ـ وهل انتصر الازهر دائما فى جميع المعارك الشبيهة التى نازلت فيها امرأة او تحدثك فيها امرأة ؟

قال : كلا .. ولكننى فى هذه المرة كنت حريصا على رضاء ربى ورحمته . فقد كنا فى صحراء مجهولة .. واسباب الهلاك تحيط بنا من كل جانب .. وكنت اعد نفسى مسئولا عن سلامة القافلة ونجاة افرادها ..

وضحكت بدورى وقلت :

ـ اذن فقد تأبيت واعرضت لا زهدا فى روزيتا .. وانما خوفا من أن يحل بك غضب الله وأنت فى جوف الصحراء . ؟

قال : نعم ..

قلت : ولولا هذا .. ؟

قال : لا تكن لحوحا !

* * *

وعادت روزيتا الى انجلترا ووضعت كتابا عن الرحلة ، واشارت فيه اشارة عابرة ــ فى سطور ــ الى أحمد حسنين وكيف انه كان اجيرها ومترجما لها أثناء الرحلة المذكورة .. وانه لم يكن يعنى الا ببيجامات نومه الحريرية وزجاجات الكولونيا التى حملها معه فى رحلته عبر الصحراء !

.. وانها هى كانت كل شىء وصاحبة الفضل فى كل شىء .. وهو لا شىء ! وأخذت بروايتها صحف عديدة فى انجلترا واوروبا وأمريكا .. وهكذا غلب كبرياء المراة .. فضيلة الصدق !

والح بعض كبراء الانجليز من أصدقاء حسنين الذين كانوا يعرفون حقائق الرحلة وان حسنين هو صاحب الدور الرئيسى

وصاحب الفضل الاول والاخير فيها .. الحوا عليه ان يرد على روزيتا فوربس ويفند مزاعمها ولكنه رفض .

رفض ان يتنازل امرأة .. او « يقد قميصها من قبل ! » سكت اذن ونفسه مملوءة الما وحزنا ومرارة .

ولكنه قام فى العام التالى — وبمفرده — برحلة ثانية فى جوف الصحراء واكتشف واحة الكفرة .. وكان لاكتشافه الخطير دوى كبير فى جميع انحاء العالم واجتمعت الجمعية الجغرافية الملكية فى لندن ومنحته مداليتها الذهبية وهى اسمى وسام يمكن للجمعية ان تقدمه لكبار المكتشفين .

وانهالت عليه الاوسمة والنياشين من مختلف الدول تقديرا لهذا الاكتشاف . ومنها وسام سان لازار الذى انعمت به عليه حكومة ايطاليا وهو من ارفع الاوسمة شأنا فى ايطاليا .

وفى حفلة ساهرة اقيمت فى روما التقى احمد محمد حسنين مع روزيتا فوربس .. وكان يعلق على صدر سترته وسام سان لازار الرفيع الشأن ..

واقتربت منه روزيتا وحيته ثم سألته ساخرة :

— هذا وسام سان لازار ؟ .. ترى اى عمل استحققت عليه هذا الوسام ؟ .

واجابها حسنين .. بالانجيزية طبعا :

For my chastity Rosita

اى استحققته بفضل طهارتى يا روزيتا !

وامتقع لون روزيتا فوربس .. وولته ظهرها ! فقد كانت الغمزة صريحة مكشوفة مفهومة !

وقال لى حسنين :

— نعم . لقد ثارت لنفسى . ولكنه كان انتقاما خسيسا ندمت عليه فيما بعد .. بل ان العبارة لم تكد تخرج من بين شفتى حتى ادركت اننى تصرفت بخسة وفظاظة .. وندمت وفكرت فى ان

اعتذر اليها ولكنى اشفقت من ان اعتذارى قد يزيد فى جروحهـا والمها .

* * *

وسافر الى واشنجطون ليتولى منصبه فى سفارة مصر ..

وعرضت عليه احدى الهيئات ان يقوم برحلة يطوف فيها ببعض المدن الامريكية الكبيرة ويلقى فيها محاضرات عن رحلته فى الصحراء

وعرضوا عليه مبلغ خمسة وعشرين الف دولار وكانت تساوى وقتئذ خمسة آلاف جنيه وفى مقابل اثنتى عشرة محاضرة .

واشترطوا عليه ان يلقى هذه المحاضرات وهو يرتدى الثيـاب البدوية التى كان يرتديها فى الصحراء اثناء رحلة الاستكشاف .

ورفض احمد حسنين هذا العرض .

وكان يومئذ — كما كان دائما — فقيرا ومدينا لاحد زمـلائه فى السفارة بمبلغ خمسين دولارا ! .

ولكنه رفض أن يـكون « أراجوز » كما قال لى .. لكى يرضى فضول الامريكان ويكسب خمسة الاف جنيه .

وارتداء ثياب البدو فى الصحـراء شىء ... والظهور بهـا على مسرح فى مدن امريكا شىء آخر .

* * *

هذه لمحات خاطفة — وتافهة ربما — من حياة حسنين ..

واذا كنت قد وقفت عندها بعض الوقت فما ذلك إلا لانها — فى رأيى — تلقى شيئا من الضوء على خلق حسنين وعقليته ونفسيته ومذهبه فى الحياة .

يرفض امرأة ويتأبى عليهـا .. لانه يخـاف غضب الله فى وقت كان فيه أحوج مايكون الى استرضاء الله واستجلاب عطفهورحمته .. والا .. !

ويرفض ان ينازل امرأة او يهاجمها او يكذبها علنا .. ولكنه —

فيما بينها وبينه ـ يجرجها ـ كما يقول هو نفسه ـ بخسة وفظاظة لأنه ذكرها بأنها عرضت جسدها عليه ولكنه رفض وظل طاهرا

ويرفض ـ وهو الفقير المدين ـ يرفض خمسة آلاف جنيه لانه يأبى ان يظهر على المسرح فى ثياب قد تثير ضحك الامريكان ..

* * *

لمحات خاطفة ... وربما تافهة . ولكنها تساعد على رسم صورة لاحمد محمد حسنين الذى اختلفت فيه آراء الناس وتعددت الصور التى يرسمونها له ..

الذين عرفوه وأحبوه .. رسموا له صورة بطل ! وبعض الذين لم يعرفوه رسموا له صورة كريهة قاتمة .. صورة صنيعة الانجليز . الخائن الذى يخدم مصلحة خصوم بلاده من المستعمرين !

وبعض الذين عرفوه وكرهوه .. او لم يحبوه جعلوا منه شيطانا رجيما . ومنافقا لئيما . ونفعيا وصوليا نهازا للفرص !

وغير هؤلاء وهؤلاء .. فريق من الساسة والصحفيين رسموا لاحمد محمد حسنين صورة الرجل المدين بكل شيء للصدفة .. الرجل العادى .. الكسول .. الذى يحب العيش الهنيء .. والذى لم يؤت من الذكاء والعلم الا قليلا ، ولا يفهم فى السياسة شيئا .. بل سار فى دروبها ليخبط خبط عشواء ..

وهذه الصورة هى الصورة التى كان حسنين باشا نفسه يحرص على ان يطبعها فى نفوس جميع الذين كان يلقاهم من الساسة والزعماء !

كان رحمه الله يحب أن يعتقد الناس فيه الغباء بل « الهبل » !.. وانه رجل لا يخشى شره ! .. أو طرطور ! . او ساعى بريد ينقل اليهم « الاوامر السامية » من جلالة الملك .. أو « يرفع » آراءهم

ونصائحهم الى « السدة العلية الكريمة » .. ومن غير ان يكون له هو رأى او مشورة فى الموضوع

وصدقه بعضهم فى اول الامر . ثم اكتشفوا الحقيقة وعرفوه.. وكرهوه !

وآخرون عرفوا الحقيقة عندما عرفوه ... فأحبوه ! وغير هؤلاء وهؤلاء فريق من الساسة الذين « كشفهم » حسنين باشا أمام فاروق . وكشف عن ألاعيبهم ومناوراتهم واطماعهم واكاذيبهم ..

كشفهم وأضاع عليهم نفوذهم عند فاروق ... وفوت عليهم فرص الفوز بمقاعد الحكم وجاه السلطان :

ويبقى السؤال قائما .. هل كان احمد محمد حسنين بطلا ومصريا وطنيا وخادما امينا لبلاده ؟ .

أم كان خائنا وصنيعة او ذنبا من اذناب الاستعمار ؟ الرأى عندى انه ــ رحمه الله ــ لم يكن هذا ولا ذاك .

لم يكن بطلا .. ولم يكن خائنا لبلاده .. وانما كان رجلا ذا مطامع واسعة كثيرا ما أفلح فى اخفائها وراء قناع من الزهد فى المناصب .. والجهل بالسياسة واسرارها ..

كان يطمع فى أن يكون رئيس الوزارة والرجل الاول فى الدولة ..

ولكنه لم يمض الى هذا الهدف مباشرة وفى خط مستقيم .. كلا . فان هذه لم تكن سياسة احمد محمد حسنين الذى كتب عنه مرة زميله فى الدراسة وصديقه حفنى محمود فقال : انه فاجأه مرة وهو يقرأ كتابا ما ..

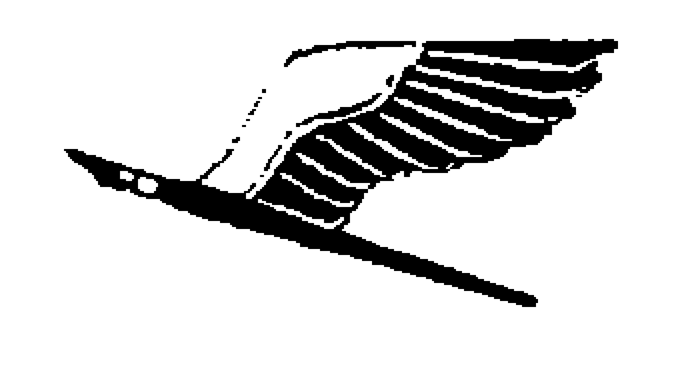
وحاول حسنين ان يخفى الكتاب عن صديقه حفنى محمود . ولكن حفنى استطاع ان يقرأ عنوان الكتاب .

وكان الكتاب هو « الامير » لمؤلفه الفلورنتى الداهية «ماكيافيللى»!

الذى وضع كتابه على أساس ان الغاية تبرر اتخاذ كل وسيلة! وهكذا فضح حفنى محمود سياسة صديقه حسنين « السياسة الماكيافيالية ! » سياسة الخبث واللف والدوران .. وكل وسيلة مشروعة فى سبيل تحقيق الغرض والوصول الى الهدف !

وكل غرض شريف مادام فى خدمة الامير .. اى الحاكم .

وكان الامير يومئذ هو الدولة .. والدولة هى الامير



قصة نازلي

ملكة مصر سابقا

وأحمد محمد حسنين

قلت ان حسنين باشا لم يكن بطلا معدودا من أبطال الوطنيـــة المصرية .. ولم يكن خائنا لبلاده او صنيعة للاستعمار كما اتهمـه بعض خصومه . وبعض الذين لم يعرفوه .. أو الذين عرفوه ولم يحبوه .

ولكنه كان رجلا ذا مطامعواسعة . وكان كل نجاح يلقاه يغـريه بالتماس نجاح آخر .. وكل منصب يرقى اليه يغريه بالسعى وراء منصب آخر يفوقه سلطة ونفوذا

وكانت خـطواته مطـردة دائما .. الى الامام . لم يتعثر مرة واحدة . ولم يقف او يتقهقر او يرتد الى الوراء مرة واحدة . دائما الى الامام .. والى ماهو أعلى واقوى واوسع نفوذا ..

كانت حياته سلسلة من الانتصارات .. ولم يعـرف الهزيمـة سوى مرة واحدة .. وكان ذلك فى حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ . ولكنه استطاع ان يثأر لنفســه بعد عامين يوم دبر اقالة وزارة مصطفى النحاس فى ٨ اكتوبر ١٩٤٤ .

وهكذا رد اللطمة للسفير البريطانى سير مايلز لامبسون او لورد اوف كيلرن .. كما ردها مضاعفة للسيد مصطفى النحاس

* * *

وكان أحمد محمد حسنين يضع خططه بدقة واحكام . وينفذها بكياسة ومهارة وحذر . ولا يضيق صدره ولا يخونه صبره مهما طال الاجل .. أو لاقى من صعوبات

وكانت الخطة الاولى أو الخطوة الاولى الواسعة فى طريق تحقيق مطامعه هى مصاهرة الاسرة المالكة ..

ولقد استطاع الشاب النحيل القـامة الوسيم الطلعة الانيق فى ملبسه .. الساحر فى حديثه .. الرشيق فى حركاته . الرياضى

البطل فى دنيا الرياضة والمغامرات . والرحالة الذى جاب مجاهل الصحراء وواجه الموت مرارا فى رمالها المحرقة وفيافيها الجدباء والذى اغدقت عليه صحف العالم من الثناء والاعجاب مالم تغدق مثله الا على قليلين من كبار المكتشفين .

استطاع هذا الشاب احمد محمد حسنين ــ ابن الشيخ محمد حسنين المدرس بصحن الازهرالشريف ــ استطاع ان يفتن ويخلب لب الفتاة لطفية كريمة صاحبة السمو الاميرة شويكار مطلقة الملك احمد فؤاد وام ابنته صاحبة السمو الملكى الاميرة فوقية ..

وتزوج حسنين من لطفية واصبح من اصهار الاسرة المالكة وزوجا لاخت الاميرة فوقية كريمة الملك فؤاد ..

وكان فؤاد قد تصالح قبل ذلك بسنوات مع مطلقته شويكار .

وهكذا عزز حسنين مركزه وثبت قدمه على أولى درجات السلطة فى دنيا المناصب والجاه والنفوذ .. والا فأى رئيس او وزير بل وامير كان يجسر يومئذ ان يتجاهل هذا الشاب ــ احمد حسنين ــ صهر الاسرة المالكة وزوج كريمة الزوجة الاولى لصاحب العرش والتاج ؟ .

* * *

كانت هذه هى الخطة او الخطوة الاولى ..

وقد اسميتها خطة او خطوة لانها كانت مرسومة . ولان الزواج لم يكن مقصودا لذاته .. بل كان وسيلة للوصول الى غرض او هدف مقصود فى طريق النجاح وتحقيق المطامع الواسعة ..

والدليل الذى لا يحتاج معه او بعده الى دليل آخر ان حسنين يوم تزوج من المغفور لها السيدة لطفية لم يكن يحبها ..

لقد استطاع أن يفتنها ويخلب لبها ويوقعها فى حبه . اما قلبه هو فكان خاليا من اى حب لها .

صحيح انه لم يكن يكرهها .. كلا .. ولكنه لم يكن يحبها يوم خطبها ويوم تزوج منها .. وبعد الزواج ــ لا قبله ــ وبعد المعاشرة او « العشرة » وبعد ان انجبت له أولاده .. أحبها حسنين ..

أو كما قال لى هو نفسه .. « ان لطفية كريمة رقيقةحنون تستحق كل حب وهى أم مثالية . ولقد احببتها بعد الزواج كما لم أحب امرأة أخرى » !

والآن وقد عرفنا كيف ولماذا تزوج حسنين من لطفية ابنةالاميرة شويكار .. يبقى ان نعرف لماذا طلقها مع انه ـ باعترافه ـ كان يحبها كما لم يحب امرأة سواها ؟ ! ..

كان زواجه منها خطوة فى سبيل تحقيق مطامعه الواسعة وكان طلاقه لها خطوة اخرى فى نفس الطريق .. وسأذكر الطريق فيما بعد ..

* * *

ونعود الآن الى يوم توفى الملك احمد فؤاد فى ٢٦ ابريل ١٩٣٦ .

لم تمض اسابيع قليلة على وفاته حتى كثر الهمس بين موظفى القصر وفى الاوساط الخاصة المتصلة به ، ان « السجينة » قد حطمت قيودها وانطلقت ـ وهى لاتزال بعد ترتدى ثياب الحداد ـ انطلقت تمرح وتحاول أن تعوض ما فاتها وتنهل من عيون الحياة وينابيعها .

وكانت « السجينة » المذكورة هى الملكة نازلى .. وهى نفسها التى كانت تقول لكل من يقابلها وتأمن جانبه .. « انا سجينة الملك فؤاد » .

ولقد تعددت الروايات واختلفت عن زواج « السلطان » احمد فؤاد من نازلى كريمة المرحوم عبد الرحيم صبرى باشا . ولكن الذى سمعته من رواة ثقات من اقاربها هو انها أرغمت على هذا الزواج .. وانها كانت تحب شابا من أقربائها واكتفى بذكر الحروف الاولى من اسمه (ش.ش) لانه لا يزال بيننا على قيد الحياة .

كانت نازلى تحب قريبها الشاب . وكان املها فى الزواج منه كبيرا الى ان خطبها « عظمة السلطان » أحمد فؤاد من ابيها ..

وفى اليوم المحدد لعقد القران هربت نازلى ـ فى الصباح الباكر ـ من قصر أبيها .. ولجأت الى حبيبها ش.ش ..

وراح الفتى يتنقل ـ وهى معه ـ طول اليوم من دار صديق الى دار صديق .. خوفا من مطارديه فقد انطلق الاقارب وسلطات الدولة كلها تبحث فى كل مكان عن خطيبة عظمة السلطان ..

وأخيرا أدرك الفتى الا فائدة ! ولعله كذلك خاف مما قد يصيبه من بطش السلطان فأركبها عربة حنطور واعادها الى قصر ابيها .. فى المساء ..

وعقد القران .. وأصبحت نازلى صاحبة العظمة السلطانة . سلطانة .. ولكنها حبيسة فى القصر .. عليها فى كل ردهة وكل رواق وغرفة عيون وارصاد ولا تغادر القصر الا باذن .. ولا تزور ولا تزار الا باذن .. فقد كان أحمد فؤاد شديد الغيرة على زوجته الشابة الجميلة .

ولقد أصاب نازلى من فؤاد عدة امراض ليس أقلها شأنا تقيح اللثة او « البيورى » ..

قال لى دكتور ستانكيفتش طبيب الاسنان . وهو روسى الاصل . وكان متزوجا من أميرة بولونية .. وكان طبيب الاسنان الخاص للملك فؤاد وأسرته قال لى مرة بعد وفاة الملك فؤاد ان فى فم الملكة نازلى تسع اسنان (عايمة) أو « ملخلخة » بسبب تقيح اللثة .. ولما كان يعرف ان الملك فؤاد عنده نفس الداء « تقيح اللثة » فقد سألها ذات يوم لكى يتأكد من اصل العدوى وسببها .. سألها :

ـ هل جلالة الملك يقبلك فى فمك ؟

وضاقت عيناها قليلا وقد بدأ فيهما حقد وسخط وقالت :

ـ يقبلنى فى فمى ؟ .. انه لا يكتفى بمجرد التقبيل !

وكانت عيناها وصوتها وقسمات وجهها تنطق بالاشمئزاز والكراهية . هذه رواية دكتور ستانكيفتش وقد أيدتها مصادر أخرى وهى ان نازلى لم تكن تحب زوجها احمد فؤاد .

* * *

وبقيت نازلى سجينة القصر او فى « قفص من ذهب » سبعة عشر عاما هى الربيع وخير مافى العمر وسنوات الصبا والشباب ..

وأخيرا تحررت يوم مات « سجانها » الملك أحمد فؤاد . وكان ربيع عمرها ولى ومن بعده الصيف أوشك كذلك أو يكاد .

وانطلقت نازلى ـ بشراهة وبهم ـ تنهل من عيون الحياة وتطفىء نار الظمأ الذى احرق حشاها السنوات الطوال !

وكثر الهمس . وذكرت اسماء بعض ضباط الحرس وموظفى القصر . ثم تركزت الاشاعات حول اسمين اثنين وهما احمد محمد حسنين والياور « البكباشي يومئذ » عمر فتحى .

وما من شك فى أن ملكة مصر يومئذ ـ نازلى ـ كانت تريد أن تلهو بالرجلين وأن تضرب أو تضارب احدهما بالآخر وان تثير الغيرة فى صدر هذا ضد ذاك وان تتلذذ بمشاهدة الغيرة والمنافسة بين رجل الحاشية الوسيم وضابط الحرس الرشيق .. وان تعبث وتلهو ..

ولقد سمعت من حسنين هـذه الحكاية .. طلبت منـه الملكة نازلى ذات يوم أن يمر عليها فى الساعة كذا لكى يصحبها الى حفلة ما فى المساء ..

وذهب حسنين فى الموعد المحدد ووقف ينتظر .. وأخيرا سأل عن جلالة الملكة .. وطلب من احدى الوصيفات أن تذكر صاحبة الجلالة بموعد الحفلة وان حسنين فى الانتظار ..

وقالت الوصيفة : « ولكن جلالة الملكة غادرت القصر منذ ساعة وذهبت فعلا الى الحفلة » ..

وسألها حسنين :

ـ ذهبت وحدها ؟

قالت الوصيفة :

ـ كلا .. فقد صحبها عمر فتحى بك !

***

روى لى حسنين هذه الواقعة وقال :

ـ ولقد سألت الوصيفة عما اذا كانت جلالة الملكة خرجت وحدها وأنا أعرف مقدما أن الجواب سيكون أنها خرجت مع عمر .. فلم

تكن تلك أول مرة تحاول فيها أن توقع بيني وبين صديقي عمر فتحي ..

ومن ذلك أيضا أنها دعت مرة عمر فتحي لكي يصحبها الى « المكس » لتتناول طعام العشاء في مطعم هناك اشتهر بطهي أصناف السمك ..

واعتذر عمر فتحي من عدم تلبية طلبها لان جلالة الملك متوعك المزاج وان عليه ــ على عمر فتحي ــ ان يلازمه هذا المساء

وهزت نازلي كتفيها برشاقة ونظرت الى الياور عمر فتحي بطرف وقالت :

ــ على كيفك !.. اذا كنت مش فاضي .. حسنين دايما فاضي علشاني !

***

ولكن لعبتها لم تطل لان أحد الرجلين ــ عمر فتحي ــ لم تكن له مطامع . ولانه طول خدمته في القصر كان حريصا دائما على ان يكون في « حاله » وأن يؤدي واجبات منصبه .. فقط .. ومن ثم فقد انسحب باختياره وترك الميدان خاليا أمام حسنين ..

هذا من جهة .. ومن جهة أخرى فان احمد محمد حسنين كان أدهى بكثير مما قدرت نازلي ملكة مصر ..

لقد كان في قصر « كنرى هاوس » بلندن في معية صاحب السمو الملكي التلميذ الامير فاروق ولي العهد وامير الصعيد يوم جاءهم نبأ وفاة الملك فؤاد والمناداة بفاروق ملكا على مصر .

وعاد حسنين في صحبة الملك الجديد الى مصر وفي رأسه خطة مدروسة مرسومة محكمة التفاصيل ..

كان يعرف عن نازلي أكثر مما يعرف أي موظف آخر من موظفي القصر .. كان يعرف الكثير عن « سجنها » وعذابها وغيرة زوجها الملك فؤاد وحسرتها وتلهفها على الحياة المرحة الطليقة .. ومن هنا عاد الى مصر ــ والى القصر ــ وقد قرر في نفسه أمرا .. أن يتركها ــ يترك نازلي ــ تشده وتصده .. وتعرض وتقبل ..

وتروح وتعود .. وان تغازل هذا و « تستلطف » ذاك .. وهو دائما هادئ يبتسم .. لا يغار ولا يثور ..

وان يمد لها فى حبال الصبر كما يمد الصياد الماهر المجرب فى خيط الصنارة .. التى علقت بها سمكة عنيدة ..

السمكة تشد وتجذب وتقفز . وتغوص وتطفو .. وتقاوم .. والصياد يرخى من خيط الصنارة حينا .. ويشده حينا .. وهكذا الى أن تخور قوى السمكة وتستسلم ..

وهكذا فعل حسنين ..

الى أن تعبت نازلى واستسلمت او أسلمت قيادها لاحمد حسنين .. وبدأت هى التى تغار والتى تحاسب حسنين أين كان ! ومع من ! وماذا فعل ! وكيف امضى سهرته !..

الى آخر ما تفعله المرأة التى تحب بعد أن تكون قد جاوزت سن الشباب ..

***

وهو ؟.. هل كان يحب نازلى ؟

كلا . ولكنه كان حريصا على استرضاء « ملكة مصر » .. وام ملك مصر .. وصاحبة النفوذ الاعلى عند ابنها فاروق فقد كان فاروق يومئذ يحب امه ويحترمها بل ويخشاها ويخشى غضبها ويعمل لها حسابا ولا يخالف لها أمرا .. وكان حسنين يعرف هذا كله .. ويدرك أن الذى يسيطر على نازلى يستطيع ــ عن طريقها ــ أن يسيطر فى نفس الوقت على الملك فاروق ..

***

عاد فاروق من انجلترا ــ حيث كان بدأ دراسته ــ عاد فى الاسبوع الاول من شهر مايو ١٩٣٦ .

وكان هناك مجلس وصاية على العرش مؤلفا من صاحب السمو الملكى الامير محمد على توفيق وصاحبى المقام الرفيع عبد العزيز عزت باشا ومحمد شريف صبرى باشا خال فاروق .

وكانت الوزارة يومئذ وفدية برياسة « صاحب المقام الرفيع » مصطفى النحاس « باشا » .

واقترح الامير محمد على ـ وهذه شهادة حق اقررها للتاريخ ـ اقترح رفع سن الرشد للملك الى سن ٢٥ سنة وان يعود فاروق الى انجلترا ليكمل دراسته .

ولكن الوزارة رفضت هذا الاقتراح . واعلن السيد مصطفى النحاس أن وزارته تحترم وتستمسك بأحكام الشريعة والقانون والدستور .. وان هذه جميعها تقرر أن سن الثامنة عشرة هلالية هى سن الرشد والبلوغ . وان جلالة الملك يتولى ويمارس سلطاته الدستورية والحالة هذه فى يوم ٢٨ يولية عام ١٩٣٧ .

ولم يكن الاستمساك باحكام الشريعة والقانون والدستور سوى ذريعة أو حجة . والحقيقة أن زعماء الوفد كانوا يعتقدون ـ بعد أن أراحهم الموت من خصمهم العنيد احمد فؤاد ـ كانوا يعتقدون ان فى امكانهم أن يضعوا فاروق الملك الشاب فى « جيوبهم » وأن يسيروه ويوجهوه كما يريدون ..

ما حاجتهم اذن بمجلس وصاية يمارس سلطات الملك سبع سنوات ؟ ما حاجتهم الى هذا المجلس الذى يرأسه أمير من الطراز التركى القديم ؟.. أمير كثير الطلبات .. كثير المعارضة .. يخرف حينا .. ويثرثر حينا .. ولا يمل الحديث عن أجداده العظام .. واذا ذكرت حقوق الشعب امامه تململ او هز كتفيه استخفافا ! ..

كلا .. سن الرشد هى الثامنة عشرة .. وهلالية لا ميلادية .. ويتولى فاروق سلطاته كملك دستورى بعد عشرة شهور لا سبعة أعوام ..

***

وهنا رؤى أن يقوم الملك الشاب نصف الامى والذى لم يكمل دراسته ولم يحصل من العلم الا أقل القليل .. رؤى ان يقوم برحلة طويلة الى أوروبا لعل الرحلة تزيد فى تجاربه ومعلوماته ولو قليلا ..

وتقرر أن يصحبه فى هذه الرحلة امه **الملكة** نازلى وشقيقاته

الاميرات فوزية وفايزة وفايقة وفتحية ومعهن المربيتان الانجليزيتان واستاذهن للغة العربية الرجـل الطيب الاستاذ احمـد يوسف . ومستر فورد مدرس التاريخ والجغرافيا للملك الشاب .

والسيدة الجليلة زينب ذو الفقار بصفتها « السيدة المرافقة » للملكة نازلى ، وكريمتها الآنسة صافيناز ذو الفقار ..

وخال الملك فاروق حسين باشا صبرى والسيدة الكريمة زوجته شهيرة الدرمللى ..

وعلى رأس الحاشية « رائد الملك » احمد محمد حسنين . ومعه ياور الملك الخاص عمر فتحى « وقد أنعم عليه برتبـة القائمقام المحلية » وطبيب الخاصة الملكية دكتور عباس الكفراوى والامين الثالث على رشيد « وهو اليوم كبير الامناء » ودكتور حسين حسنى مساعد السكرتير الخاص للملك ..

وأوفدت وزارة الداخلية اثنين من ضباط البوليس ليكونا فى حراسة الملك .. وهما اليوزباشى أحمد الطاهر واليوزباشى احمد كامل الذى أصبح فيما بعد الاميرالاى وقائد قوات بوليس السراى . وتحدد يوم ٢٧ فبراير ١٩٣٧ السفر من بور سعيد على ظهر الباخرة « فايسروى اوف انديا »

وكانت ثورة قد قامت فى بيت احمد محمد حسنين '

***

كان ترامى الى سمع زوجتـه الرقيقة الطيبـة التى تحبه .. اشاعات واخبار وروايات وحكايات عما بين ملكة مصر نازلى .. وبين زوجها احمد حسنين .

وطلبت لطفية من حسنين أن تسافر معه .. فى هذه الرحلة .. ووعدها حسنين بعرض الامر على فاروق .

ولكنه لم يعرض الامر على فاروق بل تحدث فيه مع نازلى .. ورفضت نازلى طبعا . وعاد حسنين وابلغ زوجته ان جلالة الملك لا يوافق على سفرها .. لان الرحلة شبه رسمية ولا مكان فيهـا لزوجات الموظفين من رجال الحاشية ..

ولكن لطفية ــ رحمها الله ــ لم تقتنع . وذهبت تسأل وتستقصى الى ان علمت وتأكدت أن زوجها لم يحدث فاروق فى أمرها وأن فاروق خالى الذهن تماما من هذا الموضوع .

وهنا أدركت أن نازلى هى التى تعارض فى سفرها ! أو لعله هو ــ حسنين ــ الذى لا يريد ان تسافر معه .. مراعاة لخاطر الملكة !..

والاشاعات اذن صحيحة . ونشبت الثورة .. وعلا الصراخ والبكاء فى بيت احمد محمد حسنين وانفجرت الزوجة الرقيقة الطيبة القلب .

***

وكان احمد محمد حسنين ــ كما قلت فى فصل سابق ــ يحب زوجته لطفية حبا أكيدا .. ولكنه كان يحب السلطة والمجد أكثر مما يحب زوجته . ولقد عرفت حسنين اثنتى عشرة سنة واختلطت به عن قرب وكثيرا ما رفعنا « الكلفة » فى مناسبات عديدة وفتح كل منا قلبه لصاحبه .. واستطيع اليوم أن أقول ان حسنين باشا رحمه الله لم يكن الرجل الذى يلبى نداء قلبه ويعرض عن حكم العقل ! كلا !

كان العقل عنده دائما مقدما على القلب ..

والخطة التى درسها ورسم خيوطها لابد أن تنجح ولو كان الثمن على حساب حبه وحب زوجته ..

ومن أجل أن تنجح هذه الخطة كان لابد أن تبقى زوجته لطفية فى مصر .. بل لو أن الملكة نازلى نفسها كانت طلبت من حسنين أن تصحبه زوجته فى هذه الرحلة ولو من باب التعمية وذر الرماد فى العيون لكان حسنين رفض طلب نازلى واصر على أن تبقى زوجته فى مصر . ذلك لانه كان يعرف زوجته حق المعرفة ويعرف مقدار حبها له وغيرتها عليه . وانها ــ وهى ابنة الاميرة شويكار ومن أفراد البيت المالك ــ لن تبالى اذا اضطرمت نار غيرتها ان تقذف بالاتهام فى وجه نازلى ملكة مصر !.. وبعد ! من تكون نازلى هذه ؟ ابنة

عبد الرحيم باشا صبرى المدير السابق لمديرية المنوفية ! اما هى ـ لطفية ـ فانها ابنة شويكار وحفيدة محمد على !..

وهذا كلام سبق أن سمعه حسنين من فم زوجته لطفية ! ماذا يحدث اذن لو أنه سمح لها بالسفر معه الى أوروبا .. ولاحظت هى .. باحساس الغيرة المرهف وعينى الزوجة المفتوحتين ـ ماذا يحدث لو لاحظت ما هنالك أو بعض ما هنالك بين نازلى وحسنين ؟

سوف تكون فضيحة ومشهدا مثيرا .. وتفشل الخطة التى رسمها ليحقق مطامعه وهى أن يصبح الرجل الاول فى الدولة .. بعد الملك .. وان يسيطر على الملك فاروق عن طريق امه نازلى !..

كلا ، لابد أن تبقى لطفية فى مصر ..

وهكذا كان . وخرج حسنين من داره فى يوم ٢٧ فبراير ١٩٣٧ ليرافق الملك فى القطار الخاص الى بور سعيد . والباخرة .. وأوروبا، وترك وراءه زوجة ثائرة تسب وتشتم وتهدد وتتوعد بأنها لن تسكت على نازلى .. كلا .. ولا الف مثل نازلى !

***

وكان الوزراء ورئيسهم « رفعة » مصطفى النحاس باشا قد رافقوا فاروق فى القطار الخاص الى بور سعيد ثم صعدوا الى ظهر الباخرة وودعوه ..

وفوجىء النحاس باشا ومكرم باشا برؤيتى على ظهر الباخرة مع أفراد الحاشية التى ترافق فاروق فى رحلته الى أوروبا ..

وصاح النحاس باشا بلهجته المعروفة :

ـ تسافر ! .. ازاى الكلام ده .. ازاى .. ازاى ..

وكررها نحو عشر مرات ..

ـ وسايب الجرنال لمين ؟

قلت : البركة فى محمود وكريم ..

وقال : « رفعته » : محمود وكريم !.. محمود وكريم !.. لا .. لا .. لا .. ياسى التابعى .. لا .. لا ياسى التابعى .

وكررها نحو عشر مرات .. وتدخل مكرم باشا وقال وهو يهدىء من غضب رئيس الوفد .

ـ صحيح الاستاذ التابعي غلطان .. كان يجب يقول لنا ويستأذن من رفعتك .. لكن انت تعرف ياباشا ان الاستاذ التابعي يحب السفر .. والتهييص . هذا وهو يضحك ويربت على كتفي .

ولكن النحاس باشا انطلق مرة اخرى يقول :

ـ التهييص .. التهييص .. تهييص ايه .. تهييص ايه ..

وكررها نحو عشر مرات .. ثم عاد وانطلق .

ـ والجرنال .. والجرنال يا مكرم ؟

ذلك لان النحاس باشا لم تكن له يومئذ أقل ثقة فى صدق أو اخلاص وفدية شريكى الاثنين محمود ابو الفتح وكريم ثابته ـ وخصوصا محمود ـ وكنا نحن الثلاثة قد أصدرنا فى شهر أكتوبر السابق أي منذ نحو خمسة أشهر جريدة « المصرى » على « مبادىء وسياسة الوفد المصرى » .

والتفت رفعته يسألنى مرة أخرى ..

ـ ومسافر وسايب الجرنال لمحمود وكريم ؟!.. وعاوزنى أقول لك ايه ؟!.. أقول لك مع السلامة ياسى التابعى ؟! طيب مع السلامة ياسى التابعى ! .. آه .. مع السلامة .. مع السلامة .. آه .. وادى كمان بوسة ياسى التابعى ..

وعانقنى الرجل الطيب القلب وقبلنى .. وغادر « رفعته » والوزراء والمودعون السفينة ..

وبعد منتصف الليل بقليل تحركت السفينة « فايسروى اوفه انديا » وغادرت الميناء .

***

وكان على واجب يجب أن أؤديه ..

كانت « المصرى » قد أوفدت ـ فيما اذكر ـ الاستاذ عبد الحليم الغمراوى ليوافيها بأنباء الرحلة الملكية من القاهرة الى ساعة قيام الباخرة من بور سعيد ..

وكان على أن أوافى الجريدة بأنباء الرحلة بعد قيام الباخرة .. وماذا فعل الملك والملكة والاميرات وأين تناولوا العشاء وكيف امضوا السهرة الاولى على ظهر الباخرة .. الى آخره .

ورحت أطوف بالباخرة واجمع المعلومات والتفاصيل بعضها بالمشاهدة وبعضها الآخر من رجال الحاشية .. ثم كتبت البرقية التى كان على أن أرسلها فورا عن طريق اللاسلكى الى جريدة المصرى لتظهر فى عدد الصباح ..

ولكن أين مكتب اللاسلكى فى هذه الباخرة الضخمة وهى من عابرات المحيط وكانت قادمة من استراليا وفى طريقها الى انجلترا ؟

وسألت .. وقيل لى أنه فى أعلى سطح السفينة .. حيث توجد غرفة القيادة وغرفة نوم القبطان .. وبعض زوارق النجاة .. ولا شىء آخر ..

وتسلقت عددا كبيرا من السلالم الضيقة ـ ذات الدرجات الحديدية بين سطح وسطح ـ الى أن وصلت الى السطح الاعلى ..

وكان الظلام تاما وشاملا الا من نور خافت ينبعث من غرفة مكتب تلغراف اللاسلكى ..

ودخلت وناولت البرقية الى عامل اللاسلكى وانتظرت حتى قرأها .. وخرجت .. ووقفت قليلا ريثما تعتاد عيناى الظلام ..

وهنا تبينت ـ على مسافة غير بعيدة ـ شبحين مستندين الى حاجز الباخرة .. وكأنهما كانا يتفرجان على أنوار بور سعيد وهى تومض من بعيد .. وكانا الملكة نازلى واحمد حسنين !.. ولم يكن فى وقفتهما معا شىء يريب ؟.. الملكة تريد أن تتفرج على بور سعيد من على ظهر الباخرة .. أو لعلها كانت تريد أن تلقى نظرة اخيرة على شاطىء الوطن ! ويصاحبها كبير الحاشية ورائد ابنها الملك ..

لا شىء عجيب أو مريب فى هذا كله .. فقط !

فقط كانت الملكة تتكىء على حاجز السفينة .. وكانت يد حسنين تتكىء على كتفها !

وكانت هذه أول « علامة » اكدت عندى صدق الاشاعات !

وحدث ذات مساء ــ اثناءرحلتنا بالباخرة وكنا فى قاعة الرقص ــ ان تقدم انجليزى كان قد تناول منالخمر أكثر مما يحتمل راسه ــ وكانت الباخرة مزدحمة بالانجليز العائدين من استراليا والهند وعدن ــ تقدم هذا الانجليزى المخمور من السيدة زينب ذو الفقار وانحنى أمامها باحترام وهو يكاد يفقد توازنه من فرط السكر والتمس من « جلالتها » أن تسمح له بهذه الرقصة !

وكانت أوركسترا الباخرة تعزف موسيقى رقص .. وتلفتت زينب هانم حولها .. كأنها تبحث عن منقذ أو منفذ للنجاة .. فلم تجد !

وكان الرجل مخمورا كما قلت .. ولحوحا ولو أن الحاحه كان فى أدب يليق بمن يقف أمام « صاحبة الجلالة ملكة مصر » !..

ورأت زينب هانم انه من الافضل الا تثير ضجة أو تلفت الانظار فقامت وراقصت الرجل .. ثم غادرت القاعة فورا ..

هذا والرجل يعتقد وأصحابه يعتقدون ان السيدة التى رقص معها هى ملكة مصر !

واتصل الخبر بفاروق فغضب غضبا شديدا وتساءل أين كان حسنين ؟ ولماذا لم يتدخل ويوقف الرجل عند حده أو يأمر ضباط السفينة بطرده من القاعة ؟.. الى آخره .

ولكن حسنين كان كالعادة يلازم الملكة نازلى .. أو يتنزه معها فى مكان ما أو ركن ما على ظهر الباخرة الضخمة !

وفى الصباح ذهب حسنين الى الانجليزى المذكور ــ وكان قد فاق من سكره وقال له امام أصحابه أنه اخطأ مرتين ..

أولا ــ اخطأ لانه الح على سيدة ما بان ترقص معه

وثانيا ــ اخطأ لان هذه السيدة ليست ملكة مصر كما يعتقد .. بل هى السيدة المرافقة لجلالة ملكة مصر !

واعتذر الرجل .. وعرض أن يقدم اعتذاره لملكة مصر .. وللسيدة التى رقص معها ، ولكن حسنين اكتفى بقبول الاعتذار بالنيابة عنهما .

وعاد حسنين وابلغ فاروق النتيجة .. وغضب فاروق وصاح في حسنين :

ــ كان لازم تضربه قلمين !

وأجاب حسنين ..

ــ وهل كان يسكت على القلمين ؟.. ابدا .. كان ضربني بوكس! وكنت ضربته بوكس ووقعنا في خناقة وفضيحة على ظهر الباخرة!.. وكان الخبر طار باللاسلكي الى صحف أوروبا وامريكا .. والحكاية كبرت .. والاشاعات كثرت عن سبب الخناقة .. وكانت ألف حكاية وحكاية خرجت تتحدث وتروى ما حدث وما لم يحدث عن الرجل السكران الذى رقص مع ملكة مصر !

***

وكانت أول مرحلة فى الرحلة الملكية سويسرا .. وسان موريتز التى كانت تغطيها الثلوج فقد كنا لا نزال فى موسم الشتاء .

وحاول فاروق فى أول الامر ان يتعلم « السكى » *Ski* أى الزحلقة على الجليد ولكنه وجدها رياضة شاقة وخطرة فانصرف عنها .. الى اللهو ومغازلة من فى الفندق ــ فندق سوفريتا ــ من فتيات .. ولكنه كان غزل أطفال واشهد أن وجه فاروق كان يومئذ يعرف الحياء والاحمرار .. وكان يرتبك اذا ابتسمت له فتاة .. أو وقفت تتحدث اليه .. وكان لا يعرف ماذا يفعل بيديه ! فكان يشبك اصابعهما حينا .. ثم يضع احداهما فى جيب البنطلون .. ثم يخرجها ويمسك بأصبعين منها طرف جيب الصديرى .. هذا وهو يضع ثقله حينا على قدمه اليمنى .. وحينا آخر على قدمه اليسرى .. وهكذا !

وكانت أول غزوة له مع شقيقتين من نبيلات السويد فكان يخرج معهما للنزهة على ظهور الجياد ..

وبعد أن سافرت الشقيقتان السويديتان .. أخذ « يلتفت » الى فتاة مجرية ولكنه لم يلبث أن سئمها وتضايق منها لانها كانت تلاحقه فى كل مكان يذهب اليه .

وكان حسنين باشا يرى ويسمع ويراقب ولكن فى حذر شــديد بل كان يتظاهر ــ وأمام فاروق ــ بأنه لايرى ولا يسمع ولا يعرف شيئا عن مغازلات ومغامرات صاحب الجلالة ..

وقال لى مرة :

ــ ان الملك لا يزال ينظر الى ــ ومنذ ايامنا فى لندن ــ نظرة التلميذ الى الاستاذ .. وبيننا الآن ما يكون بين الاثنين من كلفة وتحفظ . وهذا كما أعتقد من مصلحته ومصلحتى .. ويوم يشعر فاروق اننى أعرف كل شىء عن مغازلاته ومغامراته هو يوم تزول الكلفة ويخرج على المكشوف ويفقد كل احترامه لى ولا يبالى بعدها بشىء ..

وفى مرة أخرى قال لى وعلى فمه ابتسامة ساخرة ..

ــ عقب وفاة الملك فؤاد وعودتنا من لندن اتصلت بى سيدات كثيرات من هوانم مصر وبنات اعرق الاسر فيها .. اتصلن بى وتحدثن الى فى لباقة ودبلوماسية رفيعة عن الملك .. الشاب الممتلئة عروقه بدم الشباب الحار .. وعن صحته وما تتطلبه هذه الصحة الغالية .. وتحدثن كذلك عن السن الحرجة ــ سن الخامسة عشرة والسادسة عشرة ــ وعن المتعة الصحية التى لابد منها لشاب موفور الصحة مثل « مولانا الملك » .. وعرضن بكل لباقة ورقة وكياسة ــ وبكل امانة وحرص وحــذر عرضن خــدماتهن على جــلالة الملك .. وابدين استعدادهن لان يقدمن « البضاعة الصحية » اما فى قصورهن .. أو الى القصر الملكى مباشرة . كما يشاء ..!

وروى لى حسنين رحمه الله تفاصيل كثيرة وأسماء كثيرة .. الى آخر مالا يمكن ولا يجوز ان يشار اليه ولو تلميحا أو من بعيد ..

وقال :

ــ وكنت أقول لهؤلاء الهوانم ان « مولانا الملك » لن يرضى ولن يوافق اذا عرف أن لى دخلا فى هذا الموضوع أو اننى مطلع على أسراره « الصحية » وان الافضل والحالة هذه أن يحاولن الاتصال بجلالة الملك وعرض خدماتهن عليه من طريق آخر غير طريقى .

***

ولعل رجولة احمد حسنين ـ وما من أحد حتى من خصومه أنكر عليه رجولته ـ أقول لعل رجولته نفرت وأبت عليه أن ينزل الى القيام بمثل هذا الدور أو هذه الوساطة ..

وبعد .. لقد كانت خطة حسنين تفرض عليه ـ اذا قدر لها النجاح ـ أن يكون قائد الملك .. لا قواده !.. أن يكون الرجل القوى الذى يوجه الملك ويرشده ويسيطر عليه ـ عن طريق أمه الملكة نازلى ـ لا الرجل الذليل الرخيص الذى يشترك فى « توريد البضاعة أو المتعة الصحية » للملك الشاب !

وهل كانت نازلى كامرأة لها كبرياؤها .. هل كانت ترضى عن حسنين وتخضع له وتأتمر بأوامره ، لو أنه قام لابنها بدور القواد .. لا دور القائد ؟

كل شىء اذن .. وكل مصلحة .. وكل سبب .. فضلا عن دواعى الرجولة والخلق القوى .. كل شىء اذن كان يفرض على احمد حسنين ان يبتعد عن هذا الجانب من حياة فاروق .

ولعل فى هذه الصفحة الموجزة ردا على الذين زعموا ان حسنين هو الذى علم فاروق الفسق والفجور !

***

وكان حسنين طول هذه الرحلة حريصا على مقامه واحترامه فى نفس فاروق .. وحريصا فى نفس الوقت على تقوية قبضته على نازلى الملكة وام فاروق ..

وكانت الاميرات الشقيقات قد بدأن يتعلمن فى ساحة الفندق المغطاة بالجليد .. الزحلقة بالقبقاب Skating وكانت أكثرهن حماسة ورغبة فى التعليم فتحية التى كانت لا تزال يومئذ فى السابعة من عمرها .. ولم تكن تبالى أن تقع عشرة أو عشرين مرة فى كل صباح ..

وذات يوم نزلت الملكة نازلى نفسها تريد أن تتعلم هى أيضا .. وامسك المدرب بذراعها .. وأحاط خصرها بيده .. وراح يعلمها كيف تنقل قدميها والقبقاب فوق الجليد ..

وصاحبة الجلالة تتثنى وتتمايل .. والمصورون يلتقطون لها الصور فى هذه الاوضاع !

ووقف حسنين على درج السلم الخشبى الموصل بين الشرفة وساحة الزحلقة .. ومضت دقائق والملكة نازلى تحاول أن تتعلم وتمشى بالقبقاب .. وتحفظ توازنها .. وتضحك .. وأخيرا عادت ادراجها وخلعت قبقابها ..

هذا وحسنين واقف ينتظر وعلى عينيه نظارة تحمى البصر من وهج الثلوج .

واقبلت نازلى ..

وانفجر حسنين .. ولكن صوته لم يعل عن طبقته العادية ـ لا .. لا .. مش كده يا ست !.. مش كده أبدا .. بكره راح نسمع كلام فارغ كثير بسببك !

ولم تزد هى ـ صاحبة الجلالة ـ عن ان تبتسم فى وجهه .. وهى تصعد اليه درجات السلم الخشبى .. حتى اذا وصلت أخذت بذراعه وهى تقول :

ـ طيب خلاص .. مرة وفاتت !

وعجبت لهذه اللهجة التى يخاطب بها موظف القصر صاحبة الجلالة الملكة وام ملك مصر ..

وعجبت أكثر وأكثر لخضوع صاحبة الجلالة !.. فهى لم تغضب .. بل اعتذرت .. وتابت !

***

وكان ما خاف حسنين أن يكون .. ونشرت صحف مصر بعض هذه الصور التى ظهرت فيها الملكة نازلى وهى تتزحلق على الجليد ..

وقامت مظاهرة من طلبة الازهر الشريف وتعالت فيها أصوات الاحتجاج والمناداة بالحياة والسقوط ..

وبادر رئيس مجلس الوصاية وولى العهد الامير محمد على توفيق وأرسل الى حسنين باشا خطابا شديد اللهجة يوبخه فيه بقسوة

على سماحه للمصورين بالتقاط هذه الصور .. وعلى سماحه لملكة مصر بالزحلقة على الجليد .. وعلى .. وعلى .. الخ ..

وهز فاروق كتفيه .. وقهقه ضاحكا .. أما نازلى فقد غضبت وثارت وعلا صوتها وهى تصيح :

ــ كفاية باه .. كفاية سبعتاشر سنة وانا محبوسة !.. خذوا الكورونا من على راسى .. مش عايزاها .. « والكورونا معنــاها التاج » !..

غضبت الملكة نازلى من خطاب الامير محمد على توفيق وأعلنت انها وقد امضت فى سجن الملك فؤاد سبعة عشر عاما تريد اليوم أن تكون حرة .. والا فانها لا تريد هذا التاج على رأسها ثم انطلقت تسب الازهر والازهريين وتدعو الله أن يصيب « البرنس » محمد على بكذا وكذا وكيت ..

ولزمت صاحبة الجلالة جناحها الخاص بالفندق يومين غاضبة . وانقطعت عن تلقى دروسها فى الزحلقة على الجليد ..

وفى نفس الوقت تلقيت « امرا ملكيا » من فاروق ان اكتب الى زملائى الصحفيين فى مصر واطلب منهم أن يكفوا عن نشر أية صور لجلالة الملكة نازلى .. اللهم الا الصور التى تظهر فيها مع جـلالة الملك فاروق .

أما صورها وحدها .. أو مع الاميرات فممنوع النشر وصدعت بالامر الملكى وكتبت فى هذا المعنى خطابات خاصة الى « الاهرام والمقطم والمصرى ودار الهلال واللطائف المصورة » الى آخره ..

واســتجاب الزملاء لرجائى ولم يشر أحــــد منهم الى خطــابى الخاص .. ما عدا المرحوم اسكندر مكاريوس صاحب مجلةاللطائف المصورة فقد نشر على صــفحة كاملة من مجلته خلاصــة لخطابى الخاص وتعليقا له قال فيه ان الصحافة حرة ، فى حدود القانون .. واننا فى القرن العشرين وعصر الديمقراطية وحقوق الانسان وان « صاحبة الجلالة » الصحافة حرة فى نشر ما يحلو لها من صــور أصحاب وصاحبات الجلالة .. ولتفعل بنا القوة ما تشاء !..

وكلاما فخما كثيرا فى هذا المعنى ! ومن يومها حرمت «اللطائف» وصاحبها من العطف الملكى السامى ! فلم تدع أو يدع صاحبها الى اية حفلة من الحفلات التى كانت تدعى اليهـا الصحف وأصـحابها ورؤساء تحريرها فى قصر عابدين .

***

غضبت الملكة نلزلى .. ولزمت جناحها الخاص .. وشكا جميع من كانوا معها من « عصبيتها » ووحدة لسانها ..

وذات صباح تلقى فاروق من مصر برقيـة تقول ان صـاحب السمو الملكى الامير محمد على قد أصيب بذبحة صدرية وأن حالته خطرة .

وهنا عادت الابتسامة الى شفتى الملكة نازلى وقالت لمن حولها : « أبواب السما كانت مفتوحة لما دعيت عليه !.. دنا دعاياماينزلش الارض ! » ..

وغادرنا سان موريتز فى مساء ٢٥ مارس الى جنيف . فوصلنا اليها صباح اليوم التالى ٢٦ مارس ..

وجنيف مدينة تتوافر فيها أسباب اللهو لمن يريد أن يلهو .. وفيها أركان منعزلة .. ومحلات أنيقة لتناول الشاى وصالونات خاصة .. ونزهات بالسيارة خارج المدينة .. أو بزورق بخارى فى بحيرة ليمان الشهيرة ..

وفى جنيف بدانا نلاحظ كثرة خروج احمد حسنين مع الملكة نازلى وحدهما .. وأحيانا معهما السيدة الجليلة زينب ذو الفقار

ثم فوجئنا بخبر سفر حسين صبرى باشا خال فاروق مع السيدة الكريمة زوجته عائدين الى مصر مع انه كان مقررا انهما سيلازمان الملك والملكة طول الرحلة فى أوروبا ..

ودار همس خفى بأنهما سافرا لانهما غير راضـيين عن سلوك الملكة نازلى معهما !.. فقط ؟ أم هناك شىء آخر ؟..

لا أعرف . ولقد بقى السر معهما حتى اليوم

***

وهكذا .. أقمنا أياما فى مدينة جنيف .. وكان أحمـد حسنين يخرج مع الملكة !

والقائمقام عمر فتحى يخرج مع الملك !*

ولم يخرج الاربعة معا الا فيما ندر !

وذات صباح ـ وكنا وقوفا فى بهو الفندق ننتظر نزول صاحب الجلالة من جناحه الخاص ـ أقبل علينا فاروق وعلى وجهه مسحة من الحزن والجد والقى علينا تحية الصباح ثم قال :

ـ البقية فى حياتكم .. الامير محمد على مات !

وأسدل كل منا على وجهه نقابا من الحزن .. وأطرقنا برءوسنا كما كان ينبغى أن نفعل .. وتمتم بعضنا بعبارات العزاء والدعاء لله أن يطيل فى عمر مولانا ..

وتسللت أنا على أطراف أصابعى الى غرفة مجاورة فيها مكتب وأدوات للكتابة وجلست أكتب صيغة برقية الى جريدة «المصرى» واصف فيها وقع الخبر الاليم فى نفس جلالة الملك وماذا فعل وماذا قال وكيف قدم اليه أفراد الحاشية عزاءهم ضارعين الى الله أن .. الى آخره .

وبينما انا كذلك دخل على حسنين باشا وسألنى ماذا أفعل ؟ وعلى وجهه ابتسامة .. وقلت انني اكتب برقية للمصرى بما حدث !

قال رحمه الله ..

ـ برقية ايه يا مدب !.. مولانا ضحك عليكم والنهارده اول ابريل !..

***

وفى نفس اليوم ـ على ما أذكر ـ استأذنت من فاروق فى السفر الى « مونتريه » لكى أوافى جريدة المصرى بأخبار مؤتمر الغاء الامتيازات الاجنبية ريثما يصل الاستاذ **محمود ابو الفتح** الذى كان أرسل لى برقية يقول فيها انه مضطر للبقاء فى مدينة ميلانو بضعة ايام بسبب اصابته بعرق النسا !

واذن لى فاروق بالسفر وطلب منى أن ابلغ تحياته الى « رفعة » النحاس باشا وزملائه وتمنيات جلالته لهم بالتوفيق

وسافرت الى « مونتريه » وبقيت فيها عشرة أيام .. وكان عجيبا حقا أن أسمع هناك لاول مرة — ومن الدكتور احمد ماهر رحمه الله — أول اشاعة تربط بين اسم فاروق واسم صافيناز .. فقد خرجنا ذات مساء — أنا والدكتور أحمد ماهر وجورج دومانى بك وكلاهما عضو فى وفد مصر لدى مؤتمر الغاء الامتيازات الاجنبية — خرجنا نتمشى على ضفة بحيرة ليمان فى الطريق الى « فيفيه » وسألنى احمد ماهر ..

— صحيح جلالة الملك راح يتجوز الآنسة صافيناز ؟

ودهشت . وعجبت من أين جاءت هذه الاشاعة فقد كان مضى على شهر كامل أرى فى كل يوم فيه الملك فاروق والآنسة صافيناز ذو الفقار دون أن الاحظ شيئا ..

كان فاروق يعاملها كما يعامل شقيقاته الصغيرات .. وكان أفراد الحاشية — وأنا معهم — يعاملونها بأدب جم ولكن بدون كلفة .. كنا مثلا نبتسم اذا لقيناها ونحييها ..

— بونجور مدموازيل ! أو بونجور « فافيت » !

و « فافيت » تدليع صافيناز .. وكانت هى ترد التحية بأدب واحتشام وتقول :

— بونجور اكسلانس .. أو بونجور يا أستاذ !

ولم يخطر ببال أحدنا — أو ببالى أنا على الاقل — ان هناك شيئا ما بين فاروق وصافيناز .. أو أن « فافيت » هى ملكة مصر القادمة !

دهشت اذن وعجبت ، سألت الدكتور احمد ماهر من اين سمع هذا الخبر ؟

وضحك رحمه الله وقد ظن اننى وقد وقفت على هذا السر بحكم ملازمتى لحاشية الملك أرى من واجبى أن اكتم سر الملك وصافيناز .. وضحك وقال :

ـ طيب ما تعملش عبيط !.. الحكاية سمعناها فى مصر .

اى ان الخبر طار الى مصر من قبل ان نلاحظ شيئا نحن الذين كنا مع فاروق وصافيناز ؟

والتفسير الوحيد عندى هو ان حسين صبرى خال الملك والسيدة زوجته هما اللذان اذاعا السر فى مصر .

***

وكان فاروق ومن معه قد غادروا جنيف الى مدينة برن ..

وفى برن ـ كما علمت فيما بعد من اصدقائى رجال الحاشية ـ بدت من فاروق اول اشارة تدل على حقيقة عواطفه نحو الآنسة صافيناز ..

كانت صافيناز تتناول طعامها دائما مع الاميرات فوزية وفايزة وفايقة وفتحية .. ثم تنسحب معهن بعد تناول العشاء مباشرة لتأوى كل منهن الى غرفتها .

وكان غير مسموح لهن بالسهر ..

ولكن حدث فى برن ولاول مرة ـ أن نزلت الآنسة صافيناز وهى ترتدى ثوبا من ثياب السهرة ..

ولم تنسحب بعد تناول العشاء مع الاميرات كما كانت تفعل ، بل بقيت فى قاعة الفندق الكبرى .

ثم دعاها فاروق للرقص معه .. ورقص الاثنان معا اكثر من مرة فى تلك السهرة .. وكانت تلك اول مرة كما قلت .. وكانت هذه اول اشارة او اول خطوة خطاها فاروق الى صافيناز ..

ولم تحدث هذه الاشارة او هذه الخطوة الا فى « برن » .. ولكن اشاعة الزواج كانت فى مصر قبل ان يصل فاروق وصافيناز الى برن وقبل ان يرقصا معا !..

***

وانهيت مأموريتى فى مونتريه ولحقت بفاروق وحاشيته فى مدينة زيوريخ ، وبعد ايام سافرنا الى باريس !.. باريس التى كانت نازلى ـ كما قالت مرارا ـ تشتهى ان تزورها قبل ان تموت !

وكنا جميعا قدانتهينا الى تقرير امرين أو حقيقتين وهما :
فاروق يحب صافيناز ..
ونازلى تحب حسنين ..
وحسنين ؟.. هل كان يحب نازلى ؟
لا أعتقد ولا احد غيرى كان يعتقد هذا .. والحقيقة أن الاثر الذى انطبع يومئذ فى نفوسنا هـو أن نازلى هى التى تجرى وراء حسنين .. وان حسنين « تقيل » ! ثم لعله كان يتعمد أن يثير غيرتها عليه فى بعض الظروف .. فقد لاحظت أن حسنين كان يحرص على التودد والتظرف والتحدث مع كل سيدة أو آنسة جميلة يلقاها فى قاعة الفندق .. اذا كانت الملكة نازلى موجودة !
.. بل كان يطلب منا اذا رأى مع أحدنا فتاة جميلة من المقيمات بالفندق .. كان يطلب منا أن نقدمه اليها .. ثم يدعوها للرقص.. أو لتناول شراب ما ..
كل هذا اذا كانت الملكة نازلى موجودة .. ترى وتسجل وتنقر بأصابعها على المائدة الصغيرة أو على ذراعى المقعد بغضب وعصبية !
أما اذا لم تكن موجودة فان حسنين كان قليل الاكتراث بالسيدات والآنسات .. وكان لا يتحرك لدخول أية جميلة مهما كان جمالها يبهر الابصار أو يلفت الانظار !
وحدث مرة ـ وكنا لا نزال فى سان موريتز ـ ان قام حسنين يراقص فتاة المانية كنت أعرفها واسمها « جوى جيجل » وكانت معدودة يومئذ من أبطال التنس فى المانيا وحسنين راقص رشـيق بارع .
والفتاة الالمانية طويلة القامة هيفاء العود .
وطال رقص الاثنين ..
وانتفضت الملكة نازلى واقفة .. ونادت بصوت ينم عن الغضب..
ـ حسنين !
وأرخى حسنين على الفور ذراعه التى كانت تطوق خصر الفتاة وأسرع الى الملكة نازلى .

ـ افندم ما جستيه ..

اى افندم يا صاحبة الجلالة ..

وخرجت « ماجستيه » من قاعة الرقص .. ووراءها احمد حسنين ؟

وتبادل بعضنا النظرات ..

أما فاروق فكان يرقص ساعتئذ مع شهيرة هانم زوجة خالة حسين صبرى باشا ولعله لم يلاحظ شيئا ..

واكبر ظنى أن فاروق لم يكن يومئذ يخامره اى شك فى سلوك أمه أو فى حقيقة علاقتها بأحمد حسنين ..

كان فاروق يومئذ لا يزال يحسن الظن بأمه .. ويحسن الظن برائده أحمد حسنين ..

***

قلت أن أحدا منا لم يكن يعتقد أن حسنين باشا ممثل بارع . وان كل اشارة منه بحساب وكل خطوة بحساب وكل نظرة وكل عبارة موزونة بالدرهم والمثقال .. وانه ـ فى كلمة واحدة ـ لا يفعل شيئا اعتباطا أو « لوجه الله » ..

أنه لم يكن يحب نازلى . وهذا أمر كان مفروغا منه عند الذين يعرفون أحمد حسنين .

ولكنه كان حريصا على أن تحبه هى .. ومن هنا كان يتعمد ـ كما ذكرت ـ أن يثير غيرتها ..

لماذا ؟ لماذا يحملها على أن تحبه .. بينما هو لا يحبها ؟ لكى يخضعها لارادته .. ويسيطر عليها .. وقديما قالوا : « ان الاقوى بين كل محبين اثنين هو الذى يحب أقل من صاحبه » .. والذى يسيطر على نازلى يسهل عليه أن يسيطر ـ من ورائها ـ على فاروق ..

وكان الامر واضحا لكل ذى عينين ومنذ كنا فى أوروبا فى صيف عام ١٩٣٧ .

***

وكان حسنين يعامل نازلى أمامنا معاملة الموظف المرءوس لصاحبة الجلالة .. أى بكل الاحترام والطاعة والادب ..

رغم ذلك كانت تبدو منه ـ ربما عفوا ـ بعض الاشارات أو العبارات التى وان كانت لا تتنافى مع الاحترام والادب الا انها كانت تنم بكل تأكيد عن القوة .. أو السيطرة .. وأنه هو الاقوى .. وان كلمته هى التى يجب أن تنفذ !

دخلت عليه مرة ذات صباح فى غرفته بفندق « بلاتزا اتنيه » حيث كان ينزل الملك والملكة والاميرات والحاشية ـ وكان حسنين مسترخيا فى فراشه يتناول قهوة الصباح . وجلست فى مقعد الى جانب الفراش ..

وكنا فى أوائل شهر يونية .. وهو من أجمل شهور السنة فى باريس ..

وكان اليوم يوم « أحد » .. وراح حسنين يحدثنى عن أيام شبابه وذكرياته فى باريس يوم أقام فيها وعدل عن الدراسة فى أكسفورد .. وقرر أن يدرس فن الرسم فى الحى اللاتينى .

وحسنين ـ حين يريد ـ كان يستطيع أن يتحدث كشاعر وأن يحلق بسامعه فى سماوات الاحلام ..

ودق جرس التليفون الموضوع بجانب السرير .. وتناول حسنين السماعة .. وسمعت صوتا نسائيا .. واعتدل حسنين فى فراشه وقال :

ـ صباح الخير ماجستيه ..

وأدركت أن التى تكلمه هى الملكة نازلى .. ووقفت أريد الانسحاب ولكنه أشار الى بيده أن أجلس .. فجلست .

وكان صوت الملكة نازلى مسموعا وواضحا تماما كما يحدث أحيانا فى بعض آلات التليفون .

وكانت جلالتها تريد أن تذهب مع « البنات » ـ كما كانت تسمى الاميرات ـ الى ملهى « لونابارك » .

وقال حسنين :

ـ مستحيل ماجستيه !..

ومضى يقول أن اليوم « الاحد » وأن لونابارك سيكون مزدحما بمختلف طبقات الشعب وكل من هب ودب .. فكيف تذهب ملكة مصر وصاحبات السمو الملكى شقيقات ملك مصر الى ملهى شعبى كهذا فى يوم الاحد ؟

وسمعت الملكة تضحك وهى تقول :

ـ يظهر أنك عجزت خلاص يا حسنين ..

والحت فى الذهاب ..

وأصر هو على الرفض ؟

وكان له ما أراد .. وعدلت نازلى عن الذهاب الى لونابارك !

ولكن هل كان اعتراض حسنين على ذهاب نازلى الى ملهى لونابارك بوحى من اخلاصه وواجبه كرائد لابنها الملك ورئيس للحاشية حريص على سلامتها وسلامة الاميرات .. وحريص على مكانها كملكة مصر ..

أم ان اعتراضه كان لمجرد الاعتراض .. ومجرد الرفض .. ومجرد خلق فرصة أو مناسبة يقول فيها : « لا » .. ويرغمها ـ ملكة مصر ـ على أن تخضع وتقول له : « نعم » ؟!

كان هذا هو الواقع .. واعتراض حسنين كان من باب «الترويض»

كانت نازلى ـ كما قلت ـ تتحرق شوقا الى باريس ، ومشاهدة كل ما فى باريس .. ومن هنا كانت تضيق أحيانا بمعارضة حسنين وتغضب وتثور ..

وكان هو اذا رأى أن ثورتها توشك ان تنفجر .. فتح قبضة يده وأرخى لها الزمام .. حتى اذا تعبت من العدو عاد وجمع الزمام فى قبضة يده القوية ..

وهكذا رأيت حسنين الذى عارض فى ذهاب الملكة الى لونابارك رأيته يصحبها بنفسه الى ما هو شر بكثير من لونابارك .. رأيته يصحبها الى سهرات فى حانات و « صناديق الليل » فى أحياء مونمارتر ومونبا رناس .

وكان يوجد وقتئذ فى حى مونبارناس ملهى أو على الاصح « ماخورة » اسمها « سفنكس » .. ترقص فيها فتيات وهن عاريات الجسد تماما حتى من ورقة شجرة التوت !

وذهبت ذات مساء مع صديقين من رجال الحاشية الى « سفنكس » المذكور .. واشهد أن نفوسنا اشمأزت مما رأيناه فغادرنا الملهى أو الماخورة مسرعين ..

ولكنى سمعت بعد ذلك أن « سفنكس » كان من بين ملاهى مونبارناس التى زارتها صاحبة الجلالة ملكة مصر وفى معيتها احمد حسنين !؟

والذى يستطيع أن يفهم .. يستطيع أن يعذر !

كانت نازلى بطبعها وطبيعتها ميالة للمرح والاستمتاع بكل مافى الدنيا وكل ما فى سنوات الصبا والشباب ..

ولقد حرمت من الشاب الذى أحبته وحرمت كذلك من حق شبابها وصباها ..

وامضت أحلى سنوات العمر سجينة فى قفص .. أو فى قصر فخم منيف سجانه الملك فؤاد ..

ومات السجان .. وتحررت السجينة .. وانطلقت — كما سبق أن قلت — انطلقت تنهل ملء راحتيها من عيون الحياة .. وهى تشعر أنه لم يبق لها من سنوات « ما بعد الصبا » الا القليل .. ولم يبق بينها وبين الكهولة المرة الباردة الا القليل ..

وكان حسنين الخبير بطباع النفوس يعرف هذا ويقدره .. ويعمل له حسابا . ولو أنه كان وقف دائما فى وجهها يعترض ويقول : « لا » .. لانتهى الامر بثورة عاصفة جامحة . ومن هنا كان يشد حينا ويرخى حينا .. وهكذا استطاع أن يحفظ المظاهر — ولو الى حد ما — وان ينقذ ملكة مصر من انهيار خلقى نفسانى فظيع .

ولسوف يقول التاريخ الحق أن نازلى ملكة مصر لم تنفجر و « تفجر » الا بعد موت مروضها احمد محمد حسنين .

وذات مساء ذهب فاروق ــ ومعه بعض رجال الحاشية ــ الى ملهى « بال تابران » فى مونمارتر ولم يجدوا مقصورة خالية أو مقاعد من مقاعد الدرجة الاولى أو الثانية . .

فقد كان الملهى المذكور كعادته مكتظا بالمئات . .

وأخيرا وقف فاروق وأصحابه فى المحل المخصص للدرجة الثالثة

وفى صباح اليوم التالى صدرت جريدة باريسية ــ وهى « انتراسيجان » وفيها « ريبورتاج » أو وصف مسهب التفاصيل لزيارة ملك مصر لملهى بال تاباران . .

وعنوان المقال مقتبس من قصة فيكتور هيجو المشهورة « الملك يلهو » Le roi s'amuse وكنت جالسا ــ فى نفس الصباح ــ فى بهو فندق « بلاتزا اتنيه » مع اليوزباشى احمد الطاهر ونزل المصعد الكهربائى . . وفتح بابه . . وخرجت منه الملكة نازلى ووراءها وصيفتها الفرنسية وفى يدها عدد جريدة « الانتراسيجان » .

اذن فقد قرأت صاحبة الجلالة مقال الصحيفة الباريسية عن ابنها . . الملك يلهو !

واذا كان فاروق . . الشاب الذى لا تزال الحياة أمامه فسيحة ممتدة . . اذا كان ينتهز فرصة وجوده بباريس ليلهو ويلعب فأولى بها هى ــ بل ومن حقها ــ أن تلهو وتلعب ولم يبق بينها وبين الكهولة وسن اليأس الا القليل .

لعل شيئا من هذا كان يدور برأسها حين تقدم منها احمد الطاهر وانحنى . . ومدت اليه يدها فقبلها . .

وسمعته يقول . . .

ــ كل عام ومولاتنا بخير . .

وابتسمت هى وقالت :

ــ خلاص يا كابتن عجزنا . . ولا بقاش الا القليل !

وكنت قد وقفت بدورى . . ولكننى بقيت واقفا حيث كنت . . « زى اللوح » . . ولم أتحرك . . ولم أقدم لجلالتها التهانى لسبب بسيط وهو اننى لم أكن اعرف مناسبة التهنئة !

وقال يوزباشى أحمد الطاهر :
ـ النهارده عيد ميلاد الملكة نازلى ..

***

وقد دار الطاهى يومئذ على سيدات ورجال الحاشية يسأل كلا منهم وكلا منهن عن عدد الشموع التى يضعها فى « طورطة » عيد مولد صاحبة الجلالة .. وكل شمعة بسنة من سنى حياتها المديدة.

وتهربوا جميعا من الرجل .. ومن السؤال .

وأخيرا قيل له : « ضع نفس عدد الشموع التى وضعتها فى العام الماضى »

وكان عددها اربعا واربعين ! اى ان الملكة نازلى كان عمرها فى صيف ١٩٣٧ خمسة وأربعين عاما !

لا عجب !

وحدث أثناء اقامتنا فى باريس أن وصل وفد مصر لدى مؤتمر الغاء الامتيازات فى مونتريه بعد توفيقه فى مهمته وهى موافقة الدول الاجنبية ذات الشأن على الغاء الامتيازات والتنازل عن جميع حقوقها لسلطات القضاء المصرى

وكان الوفد المذكور ـ كما ذكرت فى المقال السابق ـ برئاسة رئيس الوزارة يومئذ مصطفى النحاس باشا وكان من بين أعضاء الوفد الاستاذان مكرم عبيد باشا ودكتور أحمد ماهر .

ونزل النحاس باشا والسيدة قرينته فى جناح كبير بفندق جورج الخامس .

ونزل معه فى نفس الفندق الاستاذ مكرم عبيد والسيدة قرينته أما دكتور أحمد ماهر فقد اختار رحمه الله فندقا من فنادق الدرجة الثانية بميدان « بيراميد » ـ اى الاهرام ـ المقام فيه تمثال لجان دارك .. بشارع ريفولى . وهو فندق ريجينا ونزل به مع صديقه المرحوم السيد عبد الحميد البنان .

وطلب منى حسنين باشا أن أدبر له اجتماعا مع مكرم عبيد باشا .. وكلمت الاستاذ مكرم فوافق ورحب بالاجتماع بحسنين . ولكنه سألنى :

ـ ماتعرفش عايز يقابلنى ليه ؟

قلت : لا أعرف .. ولكن لعله يريد ان يقول لك ماسبق ان قاله لى مرارا وهو ان الملك فؤاد مات .. وان من حسن السياسة ان يدفن الوفد خصومته القديمة للملك فؤاد وأن ينسى مخاوفه وشكوكه من القصر ورجال القصر .. لان العهد قد تغير ..

واجتمع الرجلان بعد ظهر أحد الايام فى مطعم ـ مقهى «البافيور ده روز » بشارع الشانزلزيه ..

وصح ماتوقعته وبدأ حسنين الحديث عن فاروق وكيف انه وطنى ومؤمن بحقوق بلاده وحقوق شعبه .. ومتحمس لمصر وكل ماهو مصرى » .. الى آخره .. ورجا من الوفد فى شخص مكرم عبيد ـ ان ينسى الماضى وما كان فيه من خصومات .. وان يبدأ مع الملك والقصر ورجال القصر عهدا جديدا يقوم على التعاون فى خدمة مصر واحترام ما للشعب من حقوق وما للملك من حقوق

ثم قال حسنين انه يعتقد ان لا شىء أعظم واجدى من الصراحة .. وانه شخصيا ليس من رجال السياسة ولا يفهم فى السياسة بل ولا يريد أن يفهم فيها أو يشتغل بها ولكنه مع ذلك يقول انه اذا قدر عليه ـ لا قدر الله ـ ان يشتغل فى يوم ما بالسياسة فانه سوف يجعل الصراحة مبدأه الذى لا يحيد عنه ... ولهذا فانه يرجو من رجال الوفد ـ ومن مكرم باشا بالذات ـ ان يصارحوا القصر ورجال الملك دائما بما يريدون وما يقترحون وبأية ملاحظات لهم . وانه ـ اى حسنين ـ يعد بأنه من جانبه سوف يكون دائما معهم فى منتهى الصراحة .. وسوف يعمل من جانبه على تحاشى كل سبب من أسباب الخلاف ويحرص على تسوية كل مشكلة وكل نزاع على أساس احترام حقوق الشعب وحقوق الملك كما حددها الدستور ..

هذا ـ وحسنين يفرد يديه أمامه تواضعا واستصغارا لشأن نفسه وشأن منصبه ..

ثم يقول ..

ـ ولو انني كما قلت لاأشتغل بالسياسة ولا أفهم فيها كمـا ان منصبي في القصر ليس من المناصب السياسية والحمد لله ! .

ورد مكرم باشا فقال ما خلاصته ان الوفد قد دفن الماضي ونسي خصوماته حتي ومن قبل وفاة المرحوم الملك فؤاد .. وان النحاس باشا في آخر مقابلة له مع الملك فؤاد وهو على فراش الموت أكد له اخلاص الوفد للعرش وان الملك فؤاد قال يومئذ للنحاس باشا انه تأكد الآن من ان مصطفى النحاس هو أخلص رجل له في مصر .. الى آخره ..

.. وان النحاس باشا وجميع أعضاء الوفد يحبون الملك فاروق ويستبشرون خيرا على يديه .. وانهم يخلصون له كل الاخـلاص وليس أدل على اخلاصهم لشخصه الكريم من أن الوزارة ـ « وزارة الوفد » ـ رفضت الاقتراح الذى تقدم به البرنس محمد على رئيس مجلس الوصاية برفع سن الرشد للملك من ١٨ الى ٢٥ عاما .. وعودة الملك فاروق الى انجلترا ليستأنف دراسته الى ان يبلغ سن الخامسة والعشرين ..

وقال مكرم انه يعد حسنين بانه هو أيضا من جانبه سيعمل دائما بصراحة واخلاص من اجل تسوية كل مشكلة وكل نزاع قد يقوم في المستقبل بين القصر والحكومة الدستورية النيابية .. الى آخره .. الى آخره .

وافترق الرجلان وهما يبتسمان ويؤكدان ـ كل منهما لصاحبه ـ ان كل شيء سوف يسير باذن الله على مايرام !

وانصرف حسنين . وتركني مع مكرم عبيد .. وقال مكرم وهو يطلق ضحكته التهكمية القصيرة :

ـ ايه .. حسنين عايز يفهمني انه عبيط خالص ولا يعـرفش حاجة أبدا في السياسة ؟

قلت .. جايز

قال : لكن غرضه ايه ؟

قلت : الذى فهمته من حديثه انه خايف منكم على الملك فاروق

ويريد أن يطمئن على حسن نواياكم ..

وقال مكرم .. طيب وايه حكاية التعاون دى بيننا وبينه ؟

قلت .. ولم لا ؟ انه الآن رائد الملك وأقرب رجال القصر اليه .. بل هو صاحب النفوذ الاول فى القصر ..

وعاد مكرم وأطلق مرة أخرى ضحكته القصيرة وقال وهو يضغط على ذراعى بيده ..

ـ والملكة نازلى .. هيه ؟

قلت : نعم .. والحكاية معروفة .. وحسنين باشا كما قلت معاليك صاحب النفوذ الاول عند الملكة نازلى .

***

وأعترف اننى لم أفهم تماما غرض حسنين باشا من مقابلة مكرم باشا الا فى ضوء الحوادث التالية .. وسوف اعرض لها فى الوقت المناسب ولكننى لا أرى بأسا فى أن أكشف السر منذ الآن وأقول أن حسنين باشا رحمه الله كان يمهد السبيل للحصول على منصب رئيس الديوان .. وهو المنصب الذى كان بقى شاغرا منذ استقالة أحمد زيور باشا فى حياة الملك فؤاد ..

كان يمهد السبيل عن طريق اقناع مكرم عبيد ـ سكرتير الوفد والرجل الاول فى الوفد وصاحب الكلمة التى لا ترد عند رئيس الوفد مصطفى النحاس كما كان يعرف الجميع .. عن طريق اقناع مكرم عبيد بأنه ـ أى حسنين ـ رجل لا يفهم فى السياسة .. هذا أولا . وثانيا انه رجل مسالم حريص على حسن العلاقات بين حكومة الاغلبية الوفدية والقصر .. وثالثا أن عهد الملك فؤاد قد مضى وراح بخصوماته ومؤامراته ودسائسه .. وان العهد الجديد شىء آخر ورجاله ـ الذين فى القصر ـ رجال آخرون لا يتمنون شيئا أكثر من احترام حقوق الشعب .. والمحافظة على حقوق الملك التى كفلها الدستور ولا شىء آخر .

وهذا ما كان يتمناه الوفديون ويطالبون به من زمن طويل .. وها هو ذا حسنين يعرض عليهم خدماته !.. حسنين « العبيط »

الذى لا يفهم فى السياسة فهو اذن رجل مأمون لا يخشى شره ويمكن الوثوق به والاطمئنان اليه :

ولكنه — كما حرص على أن يقول لمكرم — فى منصب ليس من المناصب السياسية التى تجيز له الاشتغال بالسياسة أو التدخل فى الشئون أو المشاكل السياسية !

وأفهم اذن يا مكرم باشا !.. ضعوا حسنين فى منصب سياسى بالقصر وهو كفيل بالعمل على احترام الدستور واحترام حقوف الشعب والبرلمان والحكومة الدستورية .. واحترام حقوق الملك فى الحدود التى رسمها الدستور !

وفى كلمة واحدة .. سوف يضمن لكم أحمد محمد حسنين سياسة التعاون المخلص الصريح التى كنتم تتمنونها من زمن طويل !

وحسنين قادر على الوفاء بوعده لانه — كما لابد أن سمعتم يا زعماء الوفد — صاحب النفوذ الاول عند فاروق .. وعند الملكة نازلى وهى بدورها صاحبة النفوذ الاول يومئذ عند ابنها الملك فاروق .

كان هذا هو تقدير حسنين باشا . ولا شك أنه تقدير سليم أو تقدير مقبول عند الساسة المسالمين أو الزعماء الذين لا يعتدون كثيرا بقوتهم أو بحقوقهم التى ينص عليها الدستور ..

ولكن — كما أننى لم أفهم يومئذ غرض حسنين من هذه المقابلة ومن حديثه الطويل . كذلك مكرم لم يفهم قصد حسنين ..

ويوم فهم الوفد — ومكرم باشا بالذات — غرض حسنين وهو أنه يرشح نفسه لمنصب رئيس ديوان جلالة الملك ..

رفض الوفد أن يزكى هذا الترشيح بحجة أن حسنين لم يدرس القانون .. ورئيس الديوان يجب أن يكون من رجال القانون !

وحجة أخرى وهى أن حسنين ليس من رجال السياسة وهو باعترافه لا يفهم فى السياسة .. ورئيس الديوان يجب أن يكون من رجال السياسة !..

ومع ذلك .. فانه اذا كانت مصر قد أنجبت سياسيا واحدا

من الطراز الاول بعد عبد الخالق ثروت واسماعيل صدقى .. فان هذا السياسى هو احمد محمد حسنين .. ولكنه ــ كما قلت ــ كان دائما حريصا على أن يقول لكل من يلقاه انه لا يفهم فى السياسة ولا يريد أن يفهم فيها أو يشتغل بها من باب التمويه والتضليل ولكى يحمل الساسة والزعماء على أن يطمئنوا اليه ولا يحسبوا له حسابا !

وكان حسنين رحمه الله يسر كثيرا ويفرك يديه فرحا عندما يسمع أن فلانا من الزعماء أو الساسة يقول عنه انه « عبيط »

***

وقرر فاروق أن يسافر الى لندن ..

وفى نفس الوقت تقرر أن يعود وفد مصر برئاسة النحاس «باشا» الى سويسرا لكى يشهد اجتماع « المرحومة » عصبة الامم فى جنيف ويقدم طلبابانضمام مصر الى الهيئة المذكورة .

وتحدد موعد « يتشرف » فيه النحاس « باشا » وأصحابهأعضاء وفد مصر بمقابلة جلالة الملك .. بمناسبة سفرهم الى جنيف .

وفى الموعد المحدد اقبل فاروق على « الصالون » الخاص الملحق بجناحه فى الفندق ووقف حوله كبار رجال حاشيته .. فى انتظار وصول رئيس الوزراء .

ولكن النحاس باشا ــ كعادته ــ تأخر نحو ربع ساعة .. وكان فاروق يتأفف ويظهر غضبه ويقول انه قرأ مرة أن دقة المواعيد من آداب الملوك .. ولكنه يريد أن يقرأ أن اخلاف المواعيد يعد قلة أدب من رؤساء الوزارات !..

وفى هذا المعنى بالذات ــ وبعد شهرين اثنين أو ثلاثة شهور ــ كتبت جريدة « البلاغ » أكثر من مقالواحد بامضاء صاحبها المغفور له عبد القادر حمزة باشا .. وكان رحمه الله يومئذ لسان حال القصر بعد أن بدات أسباب الخصومة والخلاف تتعدد وتشتد بين القصر ورجاله من جانب وعلى رأسهم رئيس الديوان على ماهر باشا .. وبين حكومة الاغلبية الوفدية ورئيسها مصطفى النحاس .

ولكننى أسرع الخطى واستبق التاريخ ..

***

أقبل النحاس باشا متأخرا عن الموعد المحدد نحو ربع ساعة واستقبله فاروق .

ولم أشهد بطبيعة الحال هذه المقابلة لاننى كنت واقفا انتظر فى غرفة أخرى ملحقة بالصالون مع بعض أفراد الحاشية ..

ولم تطل المقابلة أكثر من دقائق ..

وفتح باب « الصالون » وخرج منه النحاس ومكرم ومن معهما ..

وكان النحاس « باشا » متجهم الوجه مقطب الحاجبين .. ولم يكد يرانى حتى أشار الى أن أتبعه ..

ونزلت معهم الى بهو الفندق وأخذ النحاس « باشا » بذراعى وقال :

ــ اللعب بدا من دلوقت ..

قلت : خيرا يا رفعة الباشا

قال : لا .. مش خير أبدا .. أبدا .. الملك كلمنى عن حفلات التولية التى ستقام بعد عودته الى مصر وعايز حفلة تقام فى القلعة .. آه فى القلعة .. وشيخ الازهر .. سامع ياسى التابعى ! **شيخ الازهر** يقلده فيها .. فى الحفلة دى سيف جده محمد على .. آه .. محمد على .. والامراء .. الامراء يكونوا حاضرين الحفلة ولابسين الهدوم اللى كان جدودهم بيلبسوها أيام محمد على .. وفى الحفلة دى مش عارف مين ومين رايحين يقسموا له يمين الولاء والاخلاص! .. أيوه يا سيدى .. حفلة فى القلعة .. انت عارف ياسى التابعى الدستور بيقول ايه ؟

ولم تسعفنى ذاكرتى بأحكام الدستور ونصوصه فى هذا الموضوع وقلت :

ــ لا .. ما اعرفش يا رفعة الباشا ..

وقال رفعته :

ــ ما تعرفش ؟.. طيب أنا أقول لك .. الدستور بيقول ان الملك

قبل أن يتولى سلطاته ويباشرها يقسم اليمين الدستورية أمام الهيئة المشتركة من أعضاء مجلس الشيوخ والنواب .. آه .. أهو ده اللى بيقوله الدستور .. ولافيش حاجة فيه عن سيف جده محمد على .. ولا عن الامراء وهدوم الامراء .. ولا عن شيخ الازهر .. وأنا مش فاهم شيخ الازهر ماله ومال مباشرة الملك لسلطاته الدستورية !

وكان شيخ الازهر يومئذ المغفور له الشيخ المراغى ولم تكن العلاقات بينه وبين الوفديين فى أى يوم .. على ما يرام .. فقد كانوا يخشونه . وكان هو من جانبه لا يحسن الظن بهم .

وتدخل مكرم باشا فى الحديث وقال :

ـ البركة فى الاستاذ التابعى .. يحل لنا الاشكال ده

وقال النحاس باشا وهو يتجه الى السيارة الفخمة التى كانت تنتظره أمام الفندق :

ـ ايوه خلص لنا الحكاية دى .. وزى ما قلت مفيش غير أداء اليمين الدستورية ، تحت قبة البرلمان . ولا قلعة ولا سيف محمد على .. ولا أمراء ولا حاجة من دى أبدا .. آه .. اللى فى الدستور وبس .

وأخذت مكرم باشا الى جانب وقلت له :

ـ ولكن الملك يسافر اليوم الى لندن .. وأنا قاعد فى باريس .. لان لنا مراسلا فى لندن يمكنه أن يوافى « المصرى » بأخبار الملك والرحلة الملكية فى انجلترا .

وقال مكرم :

ـ معلهش علشان خاطرنا تسافر لندن وتسوى لنا هذه المشكلة .. واحنا عارفين أن جلالة الملك يحبك ويثق فيك .

***

وكانت حكاية القلعة وسيف محمد على الذى يقدمه شيخ الازهر الى فاروق .. ووقوف أمراء أسرة محمد على فى صفين وهم مرتدون ثياب الامارة فى القرن التاسع عشر الى آخره .. كانت هذه كلها « تقليعة » من تقاليع الامير محمد على رئيس مجلس الوصاية وقد

أفضى بها الى صحفى يعمل فى جريدة الاهرام فنشرها .. وغذاها.. وقوى الدعاية لها .. وكبرت الفكرة فى رأس الامير محمد على وبقية الامراء .

ولا أعرف هل كان الامير محمد على كتب الى فاروق فى هذا الموضوع أم أن فاروق قرأ الموضوع فى جريدة الاهرام فطابت له الفكرة ، وكانت الصحف والمجلات ترسل من مصر بالطائرةوبانتظام الى فاروق وكان سكرتيره الخاص دكتور حسنى يقرأها ويعرض عليه ما يرى وجوب عرضه ..

أما أنا فقد كان ذهنى خاليا تماما من الموضوع لاننى لم أكن أطلع على صحف مصر ! حتى جريدة « المصرى » التى كنت يومئذ أحد أصحابها ومجلة « آخر ساعة » التى كنت صاحبها ، لم تكونا ترسلان الى فى أوروبا ، لاننى لم أطلبهما !..

***

وسافر فاروق الى لندن هو وأمه وشقيقاته وجميع أفراد الحاشية .. ونزل فاروق وأفراد الحاشية من الرجال — ما عدا الاستاذ أحمد يوسف مدرس اللغة العربية للاميرات — نزلوا فى قصر « كنرى هاوس » فى كنجستون ، وهو القصر الذى كان يقيم فيه فاروق أيام دراسته القصيرة فى انجلترا .

أما الملكة نازلى وبناتها الاميرات وسيدات الحاشية ومنهن السيدة زينب ذو الفقار وكريمتها الآنسة صافيناز ، فقد نزلن فى قصر استؤجر خصيصا لهن واسمه قصر « بالارد كوم » ويبعد عن قصر « كنرى هاوس » نحو كيلو مترين ..

وأقام معهن فى القصر المذكور الاستاذ أحمد يوسف . وسافرت الى لندن بعد أيام قليلة ، ونزلت فى فندق « اثانيوم كورت » فى حى بيكاديللى .

واتصلت بالتليفون فور وصولى بحسنين باشا ..

وذهبت الى « كنرى هاوس » وعرضت عليه المسألة ووجهة نظر مصطفى النحاس باشا .

وقال حسنين ان هذه مسألة سياسية ولا شأن له بالسياسة واقترح على أن أتحدث فى الموضوع مع دكتور حسنى بك سكرتير الملك .

وكان هذا شأن حسنين دائما !.. كان يتحاشى المسائل الشائكة التى لا مصلحة له فيها . وقد كان الموضوع ولا شك شائكا .. فهو اقتراح من الامير محمد على أكبر الامراء سنا ومقاما .. والملك فاروق متحمس للفكرة وللموضوع ، ورئيس الوزراء وزعيم الاغلبية البرلمانية يعارض ويرفض العمل بالاقتراح .. هو اذن موضوع شائك . ولا مصلحة فيه لحسنين .

اذا هو لم يستطع اقناع الملك بالتخلى عن حفلة القلعة اغضب الوفديين وزعيمهم مصطفى النحاس .

واذا هو نجح فى تسوية المسألة واقناع فاروق .. فانه يغضب الامير محمد على ..

***

وتحدثت مع دكتور حسنى فى الموضوع ، وكان مما قلته ان هذه الحفلة ومراسيمها ليست من مصلحة جلالة الملك لانها شبيهة بتتويج ملوك المسيحية . وخصوصا حفلة تتويج ملك انجلترا .. « وكان تتويج ملك انجلترا الراحل جورج السادس فى نفس الشهر وتفاصيل الحفلات التى أقيمت عالقة بالاذهان » . وقلت :

ـ ومن ذلك القلعة ويقابلها فى حفلة جورج السادس كنيسة « وستمنستر آبى » .. ورئيس أساقفة كنتربرى ويقابله عندنا شيخ الازهر .

كلا .. يا حسنى .. هذه الحفلة ليست فى مصلحة « مولانا » .. هذا من جهة .. ومن جهة أخرى فان الوزارة الوفدية متمسكة بأحكام الدستور ، وهذه الحفة مخالفة سافرة لاحكام الدستور . الخ ..

***

وفى اليوم التالى عدت الى « كنرى هاوس » !..

ونزلت من التاكسى عند « البوابة » الخارجية للقصر وكان يحرسها جندى من رجال بوليس لندن . واستوقفنى كالعادة ليتحقق من شخصيتى قبل أن يأذن لى بالدخول .

وفى هذه اللحظة رأيت فاروق راكبا دراجة « بسكليت »وصافيناز فوق دراجة أخرى والاثنان ينطلقان فى الطريق الى المروج الخضراء الممتدة بين كنرى هاوس وقصر بالارد كوم

اذن فقصة الحب التى بدأت فى برن « سويسرا » تسير سيرا طبيعيا . ولقد سررت كثيرا . فقد كنا جميعا نحترم ونكبر الصفات الممتازة التى تتحلى بها الآنسة صافيناز ذو الفقار .

وتناولت الغداء مع رجال الحاشية . وبعد أن انتهينا خرجت مع حسنى نتمشى فى حدائق القصر الواسعة ..

وقال حسنى أنه نجح ، والحمد لله ، وان « مولانا » قد تنازل عن فكرة حفلة القلعة وان برنامج حفلات التولية سوف تقتصر على حفلة أداء اليمين الدستورية أمام اعضاء البرلمان .

وفى مساء نفس اليوم تقام حفلة عشاء تعقبها حفلة ساهرة فى قصر عابدين ..

واليوم التالى حفلة استعراض الجيش ..

ثم يستقبل الملك فى اليوم الثالث الامراء ورجال السلك السياسى والوزراء الحاليين والسابقين والشيوخ والنواب وكبار الموظفين وطوائف وهيئات من أعيان البلاد وأطبائها ومحاميها وصحفييها .. الى آخره .. الى آخره ..

وفى أول يوم جمعة يؤدى جلالة الملك صلاة الجمعة فى مسجد الازهر الشريف ..

هذا هو البرنامج .

وقلت أنا .. عال .. ولا اظن أن لاى أحد أقل اعتراض عليه؟..

ولكننى كنت استبق الحوادث . ومتفائلا أكثر مما ينبغى ..

وكان حسنى بك لم ينته بعد من كلامه .. فقد قال : ان « مولانا » سوف يسره جدا أن يقدم له الشعب تاجا ، وان تقام حفلة تتويج

كبرى يدعى لحضورها ملوك ورؤساء دول العالم ..

ومضى حسنى فى شرح الفكرة أو المشروع فقال :

ـ ولما كان جلالة الملك ديمقراطيا بطبعه ، وحريصا على أحكام الدستور التى تقول أن الامة مصدر السلطات فانه يرى أن تكتتب جميع طبقات الامة بثمن هـذا التاج ، وان الذى يضع التاج على رأسه هو رئيس مجلس الشيوخ .. ويضعه باسم الامة .. وهكذا يكون التاج من الامة ، ويوضع على رأس جلالة الملك باسم الامة ..

واعترف اننى تحمست يومئذ لهذا المشروع ، ووعدت دكتورحسنى بتأييده ..

***

وأسرعت عائدا الى الفندق وطلبت بالتليفون مكرم عبيد باشـا فى فندق « ده برج » فى جنيف وابلغته تنازل الملك فاروق عن فكرة الحفلة الدينية فى القلعة التى يقلده فيها شيخ الازهر سيف جده محمد على .. وقلت أن صاحب الجلالة يقترح أن تقتصر حفلات التولية على أداء اليمين الدستورية أمام شيوخ ونواب الامة واقامة مأدبة عشاء تعقبها حفلة سـاهرة فى قصر عابدين .. الى آخـر البرنامج الذى ذكرته .

وانطلق مكرم باشا ــ وفى صوته رنين الفرح ــ انطلق يهنئنىعلى توفيقى فى مهمتى ويقول :

ـ عظيم .. عظيم خالص .. ده توفيق من الله .. وكلنا نشكرك يا أستاذ تابعى ..

قلت :

ـ ولكن حسنى بك كلمنى فى مشروع آخر وانا وافقت عليـه ووعدته بتأييد المشروع عندكم ..

وسألنى الاستاذ مكرم .. وما هو المشروع ؟..

ورويت له حديث الدكتور حسنى عن التاج الذى تكتتب بثمنه جميع طبقات الامة .. ثم يضعه رئيس مجلس الشيوخ باسم الامة على راس فاروق فى حفلة يدعى اليها ملوك ورؤساء الدول .. الى آخره ..

وقلت أننى اعتقد أن جلالة الملك نفسه هو صاحب فكرة التاج وأنه فرح جدا بفكرته هذه وخصوصا بعد أن عرضها على رجال حاشيته فتحمسوا لها ووافقوه عليها .

ورويت لمكرم ما سمعته فى معرض التأييد وهو أن مصر الفرعونية القديمة كان لها « تاج » .. لا تزال آثارها وجدران هياكلها ومسلاتها تحمل رسومه .. وقد فقدت مصر « تاجها » بعد أن فقدت استقلالها .. أما اليوم وقد استردت مصر استقلالها بعد عشرات القرون فقد وجب أن تسترد مصر تاجها القديم . الى آخره ..

وكانت الاشارة الى « استقلال » مصر الذى استردته بعد عشرات القرون اشارة الى معاهدة ١٩٣٦ أو معاهدة الشرف والاستقلال كما قيل عنها يومئذ !

واصغى مكرم باشا الى حديثى ثم قال :

ــ وهو كذلك ..

وهنا سألته :

ــ يعنى أقول لهم ان معاليك موافق ؟

قال : مفيش مانع !

قلت : ومسألة أخرى . ان الضجة لا تزال قائمة فى الصحف الوفدية حول الحفلة الدينية فى القلعة وانا أخشى أن هى استمرت أن تفسد الجو فأرجوكم أن تعملوا على ايقافها .

قال : طبعا .. طبعا ..

ثم اتفقنا على أن أرسل الى جريدة « المصرى » برقية تضع حدا لهذه الضجة وللجدل القائم حول هذه الحفلة الدينية بين الصحف التى تؤيد اقامة هذه الحفلة ــ وهى الصحف التى كانت متصلة بالامير محمد على توفيق وكانت تعمل وتكتب بوحى منه ــ وبين الصحف الوفدية التى كانت تعارض فى اقامة الحفلة فى القلعة .

.. وان أقول فى برقيتى الى جريدة « المصرى » اننى اتصلت برفعة الرئيس وبمعالى مكرم باشا فى جنيف وسألتهما عن رأيهما

فى جدل الصحف المصرية حول هذه الحفلة الدينية ففوضا الى أن أذيع أن هذا الجدل أصبح لا معنى له ولا سبب .. وان الوزارة حريصة على تحقيق رغبات جلالة الملك وان الثقة والتفاهم الكامل متبادلان لحسن الحظ بين جلالة الملك « المحبوب » ووزرائه المخلصين !

وارسلت فعلا هذه البرقية الى « المصرى »

ولكن الحملة استمرت مع ذلك .. كما سترى فيما بعد واعود الى أصل الحديث ..

انتهى حديثى بالتليفون مع مكرم باشا وبادرت وأبلغت حسنى بك فى قصر « كنرى هاوس » خبر موافقة مكرم باشا على مشروع التاج . ودعوته هو وزميله من رجال الحاشية على رشيد بك « وهو الآن كبير الامناء فى القصر الجمهورى » لتمضية السهرة معى فى لندن ..

واجتمعنا فى المساء وعلمت من حسنى بك انه ذهب مباشرةعقب محادثتى التليفونية وأبلغ « مولانا » موافقة مكرم باشا على مشروع التاج وان فاروق سر جدا بهذا الخبر .

وسمعت بين ما سمعته أثناء السهرة أن جلالة الملكة نازلى قد كرهت لندن وانها ضيقة الصدر وعصبية المزاج فى هذه الايام .. وأنها تشكو من وحدتها فى قصر « بالاردكوم » مع « البنات » ــ أى الاميرات ــ وأن أحدا لا يعنى بها أو يهتم بالسؤال عنها أو الخروج معها .. وأن جلالة الملك ابنها يكتفى بالسؤال عنها بالتليفون .. لانه مشغول بصافيناز .. أو بنزهاته فى سيارته .. والقائمقام عمر فتحى مريض طريح الفراش فى أحد المستشفيات .. وأما حسنين باشا ؟..

وهنا تقول الملكة نازلى :

ــ حسنين مش فاضى لنا دلوقت .. لانه مشغول مع حبايبه فى لندن وعلى راى المثل « من يلقى أحبابه ينسى أصحابه » .. وحبايب حسنين فى لندن كثير !..

ولم يكن عجيبا أن يجد حسنين باشا فى لندن ونواديها ومنتدياتها ودور كبراءها. .أو فى الريف الانجليزى الجميل القريب من لندن. . لم يكن عجيبا أن يجد حسنين فى هذا كله مايشغله ويملأ وقته ويصرفه عن الاهتمام بالملكة نازلى وارضاء نزواتها. .ذلك أن حسنين كان ــ كما ذكرت فى الفصول السابقة ــ قد أمضى أحلى سنى الشباب فى لندن أيام كان يتلقى دراسته فى جامعة أكسفورد . . ولقد كانت له صداقات كثيرة ومعارف أكثر فى لندن وفى الاسر الانجليزية الكبيرة التى تعيش فى الريف القريب من لندن . .

ومن هنا انصرف حسنين عن الملــكة نازلى . . لكى يعيش فى ذكريات أيام الدراسة والشباب الخالية . .

***

أما القائمقام عمر فتحى بك فقــد كان أصيب ذات مساء ــ أثناء السهرة مع بعض رجال الحاشية فى أحد نوادى لندن الليلية ــ أصيب لاول مرة بالذبحة الصدرية .

وحملوه الى احد المستشفيات . . ولما سمع فاروق بالخبر أسرع الى المستشفى وأمضى الليل الى جانب فراش ياوره الخاص الامين وهو يبكى !

وكان فاروق لا يزال وقتئذ رقيق الاحساس والشعور

***

وتناولت طعام الغداء فى اليوم التالى فى قصر « كنرى هاوس » . . وبعد الغداء صحبنى الدكتور عباس الكفراوى ــ طبيب الملك الخاص وكانت له مكانة خاصة عند فاروق ــ صحبنى الى حديقة القصر لكى يتحــدث الى عن منصب رئيس الديوان الذى كان شاغرا منــذ استقالة صاحب الدولة أحمد زيور باشا . .

وقال الدكتور الكفراوى كلاما كثيرا لا أذكره بحروفه وكلماته ولكنه فى هذا المعنى . . قال :

ــ ان جلالة الملك كما تعلم لا يزال صغير السن قليل الخبرة وهو فى حالته هذه فى حاجة الى رئيس ديوان يكون له بمثابة المرشــد والمعلم . . رئيس ديوان واسع الخبرة متعدد الكفاءات . تقلب بين

مناصب الحكومة المختلفة من ادارية وقضائية ومالية وسياسية .. ولست أعرف رجلا تتوافر فيه جميع هذه الصفات خيرا من نجيب الهلالى بك .. فما رأيك ؟

قلت : أنا لا أعرف الهلالى بك شخصيا ولـكننى سمعت عنه كل خير ..

قال : اذن هل تكلم مكرم باشا فى هذا الموضوع ؟

قلت : وهو كذلك .

وكان المعروف يومئذ ان الاستاذ مكرم باشا سكرتير الوفد والذراع اليمنى لرئيس الوفد ورئيس الحكومة .. هو كل شىء فى الوفد وفى الحكومة وأنه صاحب الكلمة العليا فى الوفد وفى الحكومة !

***

وعدت الى الفندق .. ومرة أخرى طلبت بالتليفون مكرم باشا بفندق « ده برج » فى جنيف .. ولكنه لم يكد يسمع صوتى حتى قال ..

ــ عملت طيب يا استاذ تابعى اللى كلمتنى بالتليفون ! .. انا كنت رايح أطلبك حالا دلوقت بالتليفون ..

قلت : خيرا يا باشا ..؟

قال : حكاية التاج دى اصرف نظر عنها ! .. رفعة الرئيس « يقصد النحاس باشا » ! زعل منها جدا وهاج .. واخواننا كلهم هنا مش موافقين عليها .. حتى على باشا الشمسى حضر لزيارتنا اليوم ولما سمع بها قال : « ده كلام فارغ ! » .. وأنا اضطررت ان أدافع عنك عند النحاس باشا فقلت له ان الاستاذ التابعى أحرجوه ووسطوه .. فمن فضلك شوف لك طريقة تقفل بها حكاية التاج دى ..

وأسقط فى يدى .. ماذا افعل ؟

وقلت لمكرم باشا وبصوت كان فيه شىء كثير من الغيظ والحرج

ــ طريقة ايه يا باشا ! .. يعنى عايزنى أروح كنرى هاوس اقول

لهم ايه ! .. اقول لهم انا كذبت عليكم عند ما قلت لكم ان مكرم باشا موافق !

وضحك مكرم باشا ضحكته القصيرة اياها .. وقال :

ـ لا .. لا .. لاسمح الله . ولكن قل لهم ان مكرم مش كل حاجة ! . وان موافقة مكرم ليست كل شيء فهناك رئيس الوفد والحكومة .. وهناك زملاؤنا الوزراء واخواننا أعضاء الوفد .. وحكاية التاج دى ليست من المسائل السهلة التى يجوز لى أن أقطع فيها برأى .. وأنا قلت لك أن اخواننا هنا كلهم ضدها .. ومصطفى باشا زعلان جدا منها ..

وقلت أنا :

ـ ومن الذى يصدقنى هنا اذا قلت أن مكرم باشا ليس كل شيء وان موافقته ليست كل شيء ؟ ... ولا احد من رجال الملك سوف يصدق هذا الكلام ! وانت تعرف يا باشا انهم جميعا يعتقدون انك تستطيع دائما ان تقنع النحاس باشا بكل رأى تراه .. فاذا ذهبت اليوم وقلت لهم ان النحاس باشا لايوافق فانهم سوف يفهمون من هذا اما انك عدت وعدلت عن موافقتك لسبب مجهول .. او انك لم تحاول اقناع رفعة الرئيس برأيك لانك لاتهتم بتلبية رغبة جلالة الملك مع اننى قلت لمعاليك ان فكرة التاج فكرته وانه مهتم جدا بها ..

وقال مكرم ..

ـ معرفش ! أنا قلت الموقف ايه هنا .. وانت تتصرف

وقلت انا ..

ـ لن أقول شيئا .. ولن افعل شيئا .. ولقد ابلغتهم بالامس خبر موافقتك فاذا شئت معاليك أن تتصل بهم فى كنرى هاوس مباشرة وتبلغهم ماقلته لى الآن .. فافعل ! .. اما أنا فلن أقول شيئا !

وانتهى حديثنا بالتليفون .

وكان موضوع الاستاذ نجيب الهلالى وترشيحه لمنصب رئيس الديوان قد طار من رأسى تماما !

وعدت الى باريس ..

وبعد أيام عاد فاروق ومن معه الى باريس لكى يرأس حفلة افتتاح القسم المصرى فى معرض باريس الدولى وبحضور رئيس جمهورية فرنسا مسيو لوبران .

وتنفست الملكة نازلى الصعداء بعد ان عادت الى باريس التى تحبها ... واستأنفت حياة المرح والسهر فى ملاهى بريس .. مع حسنين باشا اذا أمكن !

.. ومع غير حسنين باشا اذا لزم الامر !

وهنا بدت على « جلالتها » أعراض مرض التصابى ! .. فقد انطلقت تزور « صالونات » التجميل وصبغ الشعر تجرب فى كل يومين تقريبا صبغة جديدة ولونا جديدا لشعرها الذى كانت قد بدأت تظهر فيه شعرات بيضاء ! !

ولاحظنانحن أن حسنين بدأ يقتصد — الى حد ما — فى «اخلاصه وتفانيه » فى خدمة الملكة نازلى والسير فى ركابها حيث تريد فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار ..

وهكذا اصبحنا نراه بيننا — ومعنا — اكثر من اى وقت مضى فى هذه الرحلة .

لماذا ؟ هل كان يخشى افتضاح علاقته بالملكة الوالدة .. وان يسمع ابنها الملك أو يلاحظ شيئا مريبا على أمه ورائده الامين ؟

أم ترى حسنين قد رأى ان الوقت قد حان لكى ينتقل من الفصل الاول الى الفصل الثانى .. أى من اظهار الحب والتفانى .. الى اظهار « التقل » والتحفظ والبرود ؟ .. وهى السياسة التى كان حسنين — رحمه الله — يجيد تطبيقها كل الاجادة مع هذا الصنف من النساء ؟ النساء اللاتى جاوزن مرحلة الشباب وأخذن فى استقبال شمس المغيب !

وهذا الفصل الثانى — فصل التقل والتحفظ والبرود — يزيد الوجد والشوق ويشعل فى صدر المرأة نارا فوق نار ! .. نارا تأكل ما بقى للمرأة من عزة وكبرياء .. حتى اذا عاد اليها الرجل .. أسلمته قيادها فى خضوع واستسلام ؟

هذا هو الرأى الارجح ؟

***

وعرفنا ونحن فى باريس ان عصبة الامم قد قبلت مصر عضوا فى هيئتها .. وان وفد مصر برئاسة « النحاس باشا » قد عاد الى القاهرة

وذات صباح قال لى دكتور حسنى بك ان جلالة الملك متألم من استمرار الصحف الوفدية فى الكتابة عن الحفلة الدينية فى القلعة مع ان هذه الكتابة أصبحت غير ذات موضوع بعد تنازل جلالته عن اقامة هذه الحفلة .. وأضاف حسنى بك أن مكرم باشا لم يف بوعده لى بالتليفون وهو وقف هذه الحملات الصحفية .. وبخصوص فى جريدة « المصرى » كبرى صحف الوفد وقتئذ .

ثم قال بلهجة ذات معنى :

ـ وانا شخصيا اعرف انك لا شأن لك بما يكتب الآن وينشر فى جريدة المصرى لانك معنا هنا وغائب عن مصر .. ولكن من الصعب ان يقتنع جلالة الملك بانك وانت أحد أصحاب الجريدة لا تستطيع وقف هذه الحملات فى جريدتك ..

وارسلت يومئذ برقية الى محمود ابو الفتح أطلب فيها الكف تماما عن الكتابة فى أمر هذه الحفلة الدينية واقول اننى فى حرج شديد وان « المصرى » لم تراع الوضع الذى انا فيه بوصفى الصحفى الوحيد المرافق للملك فاروق فى رحلته .

ومع ذلك .. استمرت الحملة فى « المصرى » وغيرها من صحف الوفد ..

وتلقيت خطابا من أبو الفتح يعتذر فيه عن استمرار هذه الحملة ويقول ان لا شأن له بها وانه عاجز عن وقفها وان القائم بهذه الحملة فى « المصرى » والذى يكتب المقالات الخاصة بالحفلة الدينية هو شريكنا الثالث الاستاذ كريم ثابت .. وان كريم يتلقى تعليماته وتوجيهاته مباشرة من الاستاذ يوسف الجندى الوكيل البرلمانى لوزارة الداخلية .. وانه ـ اى محمود ابو الفتح ـ لايمكنه

أن يرفض نشر مقالات موعز بنشرها من وفدى كبير مثل يوسف الجندى الذى هو فى نفس الوقت وكيل وزارة ومفروض فيه انه ينفذ تعليمات سياسة الوزارة العليا !

وسكت . ولم أطلع أحدا على هذا الخطاب ... واستمرت الحملة ! واليوم اعجب — وتعجبون معى — لسخرية القدر !

كريم ثابت الذى اغضبت مقالاته فاروق فى عام ١٩٣٧ .. يختاره فاروق صديقا له فى عام ١٩٤٣ .. ثم يعينه مستشارا صحفيا له فى عام ١٩٤٦

***

وحل يوم السفر — ٢٧ يونية — من باريس الى « فيشى » مدينة المياه المعدنية المشهورة . وقيل يومئذ اننا نذهب الى فيشى لان جلالة الملكة نازلى تريد ان تعالج كليتها المريضة ..

وركبنا قطارا خاصا .. وذهبت الى عربة « البولمان » الخالية وجلست الى احدى الموائد .. ثم حضر حسنين باشا وجلس فى المقعد المقابل . وبعد قليل انضم الينا محمود فخرى باشا وزير مصر المفوض يومئذ فى فرنسا وسويسرا .

ودار بيننا الحديث عن مصر وسير الامور فيها وقال حسنين باشا ان الحملة على الحفلة الدينية فى القلعة لاتزال مستمرة وانها قد امتدت وتناولت تأدية « مولانا » لصلاة الجمعة فى مسجد الازهر الشريف .. الى آخره .

وبينما نحن كذلك دخل فاروق عربة « البولمان » ووراءه « اليوزباشى » أحمد الطاهر .

وأقبل فاروق علينا ووقف أمام مائدتنا فوقفنا احتراما . وكان بيده رزمة من صحف مصر كانت قد وصلت فى صباح نفس اليوم ..

ورمى بها أمامى على المائدة وهو يقول :

— الاستاذ التابعى قرأ الكلام المكتوب فى جريدة المصرى ؟

وكان من علامات « الرضا السامى » ان ينادينى فاروق باسمى مجردا من لقب أستاذ .

ومن علامات « الغضب الملكى » أن ينادينى يا أستاذ تابعى !

وسكت .. ولكنى القيت نظرة على المصرى وقرأت على صفحتها الاولى ــ وبالبنط الكبير ــ عبارة فحواها ان مصدرا رسميا كبيرا صرح لمندوبها بأن الوزارة قررت عدم اقامة حفلة دينية ..

واتجه فاروق الى المائدة المحاذيه لمائدتنا فى الجانب الآخر من العربة وجلس اليها وهو يقول ..

ــ الحالة فى مصر بأت صلطة ..

وقال فخرى باشا ..

ــ صلطة خالص يا فندم .

وقال فاروق ..

ــ ايوه .. صلطة وعليها سكر ..

وهنا قال حسنين ..

ــ ان شاء الله يا « مولانا » تصبح الحالة كلها سكر ..

والتفت الى فاروق من مقعده .. وسألنى بسخرية :

ــ هيه .. والاستاذ التابعى جاى معنا برضه فيشى ؟

وأحسست أن الدم صعد الى رأسى .. فقد كان المعنى واضحا سافرا وهو ان الملك غاضب على ولا يريد ان أسافر معهم الى فيشى ..

ومع ذلك فاننى لم أكلفه ولم أكلف حكومته او خاصته الملكية مليما واحدا من نفقاتى طول الرحلة لاننى كنت أدفع جميع نفقاتى فى الفنادق وغيرها .. بل وثمن تذكرتى فى القطار الخاص كنت أدفعه الى مندوب شركة « كوك » التى كانت تتولى شئون الرحلة وتنقلاتنا فى اوروبا .. وجميع أفراد الحاشية كانوا يعرفون هذا .. وكدت أسأل « جلالته » هل هو يظن اننى اسافر معهم على حسابه او على حساب الحكومة ؟

ولكننى سكت تأدبا واحتراما .

والواقع ان جميع نفقاتى فى تلك الرحلة التى دامت نحو خمسة أشهر كانت من جيبى الخاص .. حتى جريدة « المصرى » التى سافرت من أجلها لم تدفع لى قرشا واحدا .. لان ماليتها لم تكن

تسمح يومئذ وفى اول عام من حياتها بدفع نفقاتى فى رحلة كهـذه .. سكت اذن ولكن الجالسين لاحظوا ولا شك امتقاع لون وجهى واحمرار اذنى ..

ووقف حسنين باشا .. واستأذن من مولانا وانسحب من عربة البولمان ولعله ذهب الى صالون جلالة الملكة والاميرات .

ومن بعده .. انسحب فخرى باشا بعد أن انحنى ومشى خطوات بظهره الى الوراء ..

وبقيت وحدى فى مقعدى .. وفاروق جالس الى مائدته .. ومن خلفه أحمد الطاهر جالس الى مائدة أخرى ..

وساد الصمت بضع دقائق .. وكان فاروق يتسلى بعد حفنـة من أوراق « البنكنوت » الفرنسية .. كان يعدها ويضعها فى جيب سترته .. ثم يخرجها ويعدها مرة اخرى وهكذا ..

وأخيرا وقف .. ووقفنا .

والتفت الى .. وقال :

ــ أظن نروح بأه عربة الاكل علشان الغداء ..

ولما لم ارد قال ..

ــ مش جاى تتغدى .. ؟

قلت .. ان شاء الله يا افندم

وغادر العربة ، ووراءه يوزباشى أحمد الطاهر ..

وأدركت أنا أن فاروق قد أحس بأنه جرحنى وانه اراد بدعوتى لتناول الغداء أن « يطيب خاطرى » .

ولكنى كنت نويت امرا وهو أن أؤدى واجبى الصحفى فى« فيشى» فارسل برقيتى الى « المصرى » بوصف استقبال الملك والملكة ثم أغادر فيشى على الفور .

وتناولت طعام الغداء بمفردى فى عربة البولمان

***

وصلنا « فيشى » فى الساعة الرابعة بعد الظهر .. وارسـلت برقيتى الى « المصرى » بوصف الاستقبال .

ثم ذهبت الى مكتب « كوك » واشتريت تذاكر السفر اللازمة الى « فيينا » فى النمسا .. وأبدلت مبلغا من المال بالعملة النمسوية .. الى آخره ..

وعرف حسنين باشا ورجال الحاشية بالخبر فأقبلوا يطيبون خاطرى ويؤكدون لى ان « مولانا » لم يقصد اهانتى .. الخ

ولكننى صممت على السفر ..

وفى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى ركبت القطار الى زيوريخ ومنها الى فيينا .

وغادرت مدينة « فيشى » بقطار الصباح وصحبنى الى المحطة الاستاذان على رشيد وأحمد يوسف . وعاود الاثنان الكرة لكى يحملانى على العدول عن السفر . وأخيرا قلت لهما اننى فى الحقيقة اريد ان أتحرى فى « فيينا » حكاية توفيق نسيم باشا والفتاة النمسوية مارى هوبنر لكى أوافى جريدة « المصرى » بالتفاصيل .

وكانت الاخبار قد جاءتنا ان توفيق نسيم باشا رئيس الوزراء الاسبق — رحمه الله — قد أحب فتاة نمسوية من عامة الشعب وهى ابنة صاحب فندق صغير وانه ينوى الاقتران بها

وتمنى لى الصديقان سفرا سعيدا موفقا .

***

ووصلت « فيينا » بعد ظهر اليوم التالى . وكانت « فيينا » يومئذ عاصمة بلا دولة . او كانت هناك دويلة صغيرة .. فقد كانت النمسا خرجت من الحرب العالمية الاولى فقيرة مفلسة . فقدت أمبراطوريتها الواسعة وفقدت معها كل شيء .. وبعد ان كانت « فيينا » عاصمة لامبراطورية تضم نحو سبعين مليونا من السكان .. أمست عاصمة لدولة مقصوصة الاطراف يسكنها نحو ستة ملايين .

وكان يسكن « فيينا » ثلاثة من هذه الملايين الستة . وكان الزائر الاجنبى يشهد مظاهر الفقر والبؤس والجوع فى كل ركن من اركان المدينة الجميلة الانيقة المشرقة .. مدينة الموسيقى والهوى والجمال

وبالمال .. قليل من المال كان الزائر يستطيع أن يشـتري كل شيء وأى شيء بثمن رخيص .. او ثمن معقول مقبول .

حتى الجمال والشباب كانت « أسعارهما » فى العاصمة الجميلة الفقيرة رخيصة اذا قيست بأسعار لندن وباريس !

وكنا لانزال فى شهر يولية ١٩٣٧ اى قبل ان يزحف هتلر على النمسا ويعلن ضمها الى الرايخ الثالث أو ألمانيا الكبرى ، وهو الامر الذى وقع بعد ذلك بثمانية شهور ، أى فى شهر مارس ١٩٣٨ .

***

ولم تطل اقامتى فى « فيينا » أكثر من بضعة ايام .. كذلك لم أحاول ان اتحرى او أستقصى شيئا عن حكاية توفيق نسيم باشـا والفتاة مارى هوبنر .. ولـكنى تذكرت حديث الدكتـور عبـاس الكفراوى وترشيحه للاستاذ نجيب الهـلالى ليـكون رئيسا لديوان الملك فكتبت خطابا لمكرم عبيد باشا رويت فيه تفاصيل الحـديث وأرسلت الخطاب الى عنوانه فى رمل الاسكندرية لاننى كنت أعرف أنه والنحاس باشا وزملاءهما قد عادوا الى مصر .. ولابد أنهم يقضون الصيف فى بولكلى برمل الاسكندرية

وغادرت « فيينا » وذهبت الى الريف بالقرب من مدينة « لنز » مسقط رأس هتلر وأقمت فى فندق بسيط بقرية صـغيرة نحـو أسبوع .. ثم ركبت القطار عائدا الى « فيشى » فقد كان على أن أؤدى واجبى الصحفى حتى النهاية وأن أصحب الملك فاروق فى عودته من رحلته الى مصر .

ووصلت « فيشى » ونزلت فى فندق « ماجستيك » الذى كان يقيم فيه فاروق وأمه وحاشيته .

وفى المساء نزلت الى بهو الفندق وجلست فى مقعد .. وكان يجلس فى مواجهتى السيد عبد الحميد الشواربى والسيد الكريمـة زوجته .. وكان يوجد يومئذ فى « فيشى » عدد كبير من المصريين الذين يزورون مدينة المياه المعدنية للاستشفاء .

وأقبل فاروق من باب فى صـــدر البهو ووراءه يوزباشى احمــد كامل ..

ورآنى « صاحب الجـــلالة » فابتسم ولوح بيــده .. وأقبل نحوى ووقفت ..

وتقدم منى ووضع يده على كتفى وقال : حمد الله ع السلامة ..

قلت : الله يسلمك يا افندم ..

قال : لسه زعلان ؟

قلت : أستغفر الله يا افندم ..!

قال : وايه حكاية توفيق باشا نسيم .. صحيحة الحكاية ؟

قلت : أيوه .. صحيحة ..

ولم أزد لأننى – كما قلت – لم أحاول أن أتحرى عن التفاصيل .

قال : وهو ينظر من طرف عينه الى فتـــاة شقراء جميلة كانت ترتدى ثوب السهرة ، وكانت جالسة فى مقعد قريب منى ولعله ظن أنها جالسة معى .. – قال :

– طيب .. بعد العشا نبقى نشوفك .. يوجد هنا محل لطيف اسمه « لوازيه » (أى الواحة) فيـــه مزيكة ورقص . قريب من اللوكاندة .. نشوفك فيه بعد العشا ..

قلت : ان شاء الله يا افندم ..

ولكنى لم أذهب ..

* * *

وكان «القائمقام» عمر فتحى بك الذى كنا تركناه مريضا فى أحد مستشفيات لندن قد شفى ولحق بالركب الملكى فى فيشى ومعه السيدة زوجته التى كانت طارت الى لندن عندما سمعت بخبر مرضه وأقامت بجانبه ..

واجتمعت بعمـــر فتحى وبأصدقائى من أفراد الحاشية وجلسنا نتحدث عن مصر وأخبار مصر . وعرفت منهم أن مراد محسن باشا حضر الى فيشى – أثناء غيابى فى النمسا – وقابل فاروق .. ثم عاد الى مصر ..

لماذا حضر ؟ ..
ها هى التفاصيل ..

* * *

قلت : ان فاروق رمى برزمة من صحف مصر على المـــائدة أمامى ونحن فى القطار فى طريقنـــا الى فيشى وسألنى ما اذا كنت قرأت « الكلام المكتوب فى جريدة المصرى » .. ؟

.. وانى ألقيت نظرة على « المصرى » فقرأت على صفحتها الأولى – وبالبنط الكبير – عبارة فحواها أن مصـــدرا رسميا كبيرا صرح لمندوبها بأن الوزارة قررت عدم إقامة حفلة دينية ..

وقد عد فاروق هذا الالحاح فى النشر تحرشا به وتحديا لسلطاته .. فانه – أولا – لم يطلب بصفة رسمية اقامة حفلة دينية . ثم هو ثانيا قد تنازل عن فكرة اقامة هذه الحفلة وأبلغ رئيس الحكومة خبر هذا التنازل . وأبلغه فى نفس الوقت برنامج الحفلات التى تقـــام بمناسبة توليه سلطاته الدستورية وليس فى هذا البرنامج ذكر لاقامة حفلة دينية .. فعلى من اذن كان المصدر الكبير الرسمى الذى أشارت اليه جريدة (المصرى) لسان حال الوفد والحكومة عـــلى من كان يرد بتصريحه المذكور .. ؟

وما هى الجهـــة الرسمية التى كانت تقدمت بطلب رسمى لاقامة حفلة دينية حتى تتخذ الوزارة قرارها هذا وتنشره فى صدر صحيفتها بالبنط الكبير ..

أم ترى كانت الوزارة النحاسية الوفدية تريد أن تعلن عن قوتها وشدة بأسها بهذا القرار فتوهم الناس ان هناك اصرارا من احـــدى الجهات على اقامة الحفلة الدينية ، ولكن لما كانت الوزارة هى وحدها التى تقر ما تريد وترفض ما تريد بدون مراجعة أو تعقيب فانها رأت أن تتخذ هذا القرار .. ؟

هذا هو الذى فهمه فاروق ورجال حاشيته ..

وقامت الأزمة .. وطار خبرها الى مصر .. واضطربت الوزارة .

اضطربت لأن النحاس باشا كان لاحظ هو وأصحابه بعد عودتهم من أوروبا ان الأمور لا تسير – بالنسبة لهم – عـــلى ما يرام ٠٠ فالأزهر هائج مضطرب ٠ وأحزاب المعارضة – الاحرار الدستوريون والحزب الوطنى وحزب الاتحاد ، اذ لم يكن هناك يومئذ شىء اسمه الحزب السعدى – أحزاب المعارضة وخصوم الوفد يحركون خيوط الفتنة هنا وهناك ٠٠

٠٠ وصاحب السمو الأمير محمد على توفيق رئيس مجلس الوصاية يصر على اقامة حفلة دينية وحفلة مبايعة يقلد فيها الملك فاروق سيف جده الأكبر محمد على ٠ وتتبع فى هذه الحفلة طقوس وتقاليد جديدة لم تعرف من قبل ٠٠

وقد تبين بعدئذ انه لا يوجد سيف لمحمد على الكبير باقيا حتى اليوم ٠٠ ؟

وأخيرا ذهب النحاس باشا وقابل الأمير محمد على توفيق وقال له انه لم يبق موجب لاستمرار الحديث فى هذه الحفلة الدينية لأن جلالة الملك لم يطلبها ولا يتمسك بها ، وان جلالته قد أبلغ الوزارة برنامج الاحتفال وليس فى هذا البرنامج شىء عن اقامة حفلة دينية ٠

ولكن الأمير محمد على أصر مع ذلك على طلبه وأعلن انه حتى ولو كان الملك فاروق قد تنازل عن اقامة هذه الحفلة فان هذه المسألة تهم الأسرة المالكة كلها وان سموه بصفته الشخصية وبصفته نائبا عن أفراد الأسرة يرى أن يسن هذا التقليد الجديد وأن تقام حفلة دينية وحفلة مبايعة يتقلد فيها فاروق سيف جده الأكبر محمد على ٠

* * *

وكان موقف محمد على توفيق – رحمه الله – وعناده واصراره عـــلى برنامج معين يخالف البرنامج الذى وافق عليـــه فاروق وأبلغته أنا للوزارة ٠٠ هذا الموقف من جانب الأمير رئيس مجلس الوصاية زاد فى سوء الحالة وتفاقم الأزمة ٠٠

وكانت هناك صحف ــ غير وفدية ــ على اتصال بالأمير ورجال دائرته

.. وكانت الصحف المذكورة تؤكد للجمهور فى كل يوم ان هناك حفلة دينية سوف تقام شاءت الوزارة أو لم تشأ .. !

وتجمعت السحب فى الأفق السياسى . وطال الأخذ والرد بين الصحف الوفدية .. والصحف غير الوفدية ..

وفى هذا الجو - جو التوتر والشكوك - راحت السلطات تحسب أيام حفلات التولية وتحدد لكل حفلة تاريخها ويومها ، وهنـــا فقط عرفوا ان أيام الاحتفال الثلاثة أى ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ يوليه تقع فى أيام الخميس والجمعة والسبت .

وأبدى الأمير محمد على توفيق رغبته فى أن يؤدى فاروق صلاة الجمعة فى ثانى يوم من أيام الحفلات فى جامع الأزهر الشريف وأن يتلو شيخ الأزهر دعاء خاصا .. وأبلغ فاروق هذا فوافق عليه .

ولكن النحاس باشا رأى فى هذه الصلاة وفى هذا الدعاء الخـاص رجوعا الى الحفلة الدينية عن طـــريق ملتو ملفوف ! .. واعترض النحاس ورفض .. ورفض أن يوافق على أن يؤدى فاروق صـــلاة الجمعة فى الأزهر الشريف .. !

وقال فاروق - وكان فى فيشى :

- لم أكن وأنا تحت الوصاية أستشير أحدا فى أمر المسجد الذى أؤدى فيه صلاة الجمعة ، فهل يراد منى الآن وبعد أن أتولى سلطاتى كملك أن أستأذن رئيس حكومتى فى اختيار المسجد الذى أؤدى فيه هذه الصلاة .. ؟

ولكن الوزارة كانت ترى من جهتها أن تأدية فاروق صلاة الجمعة فى الأزهر واستقبال شيخ الأزهر وعلماء وشيوخ الأزهر الشريف لفاروق ووقوفهم بعد انتهاء الصــــلاة - كما قيل يومئذ - لكى يتلوا دعاء خاصا .. كانت الوزارة ترى فى هذا كله عودة الى الحفلة الدينية بشكل آخر وان فيه أيضا تشجيعا لحركة الصاخبين الثـــائرين على الحكومة وضربة تذل الوزارة وتنال منها وتضعفها أمام المعارضة .

* * *

تفاقمت الأزمة .. ودارت المخابرات بالتلغراف والتليفون والبريد

بين الملك وحاشـــيته فى باريس وفيشى ٠٠ وبين مجلس الوصاية والوزارة فى مصر ٠٠

وتمسكت كل جهة برأيها ورفضت كل رأى سواه ٠٠

وأخيرا عرض مراد محسن باشا عـــلى مصطفى النحاس باشا أن يسافر الى فيشى لكى يعرض بنفسه على فاروق وجهة نظر الوزارة ٠٠ وأكد للنحاس « باشا » انه مقتنع بوجهة نظر الحكومة وانه ســـوف يؤيدها عند فاروق ٠٠

ووافق النحاس «باشا» ٠ وسافر مراد محسن باشا فعلا الى فيشى وقابل فاروق ٠٠

وكان (المرحوم) مراد محسن باشا جارا لمصطفى النحاس فى مصر الجديدة ٠٠ وكانت هناك علاقة مودة بين الجارين ٠٠

هذا أولا ٠٠ وثانيا كان مراد محسن باشا ينافس حسنين باشا على السلطة وعلى مركز (الرجل الأول) فى القصر ٠٠ ولقد رأى فى هذه المهمة فرصة طيبة لأن يكسب صداقة الوفد والحكومة واعترافهما بجميله ٠٠ ويكسب فى نفس الوقت ثقة فاروق ٠ وأن يظهر حسنين أمام الحكومة الوفدية بمظهر الرجل الذى يعجز عن أداء خدمة لها أو تسوية أزمة تقوم بينها وبين الملك ٠٠ ويظهره أمام فاروق بمظهر الرجل الذى لا «يسد» ولا ينفع فى الملمات ٠٠

★ ★ ★

واستقبل فاروق مراد محسن باشا ٠٠ ورفض فى أول الأمر أن تكون مسألة صلاته فى الأزهر الشريف أو فى أى مسجد آخـــر يختاره موضع حديث أو أخذ ورد لأنه يعد صـــلاته والمسجد الذى يؤديها فيه مسألة تخصه هو وحده دون أن يكون للوزارة وغير الوزارة أية كلمة فى الموضوع ٠٠

وكان المرحوم مراد محسن باشا لا تعوزه الكياسة واللباقة فقـد قال على الفور انه يوافق صاحب الجلالة على هذا الرأى ، وان النحاس باشا نفسه يسلم تماما بوجهة نظر جلالة الملك المعظم ٠٠ بل ان حق (مولانا) فى اختيار المسجد الذى يؤدى فيه الصلاة لم يكن موضع

بحث على الاطلاق وان النحاس «باشا» أول من يقول بحق جلالته فى هذا ، وأول من يحترم ويحافظ على حقوق (مولانا) ٠٠ الى آخره ٠

ولكن النحاس باشا يلتمس من جلالة الملك أن يقـــدر الظروف القائمة ودسائس خصومه وحملات صحف المعارضة وأن يتفضل ويظهر عطفه السامى الكريم على رئيس وزرائه فلا يشمت فيه خصومه ٠ وهذه الشماتة لا محالة واقعة إذا تحقق صـــدق ما قالته صحف المعارضة وهو ان هـذه الحفلة الدينية سوف تقـــام ولو رغم أنف الوزارة ٠

وعاد مـراد محسن باشا وأكد لفاروق ان النحاس باشا يلتمس هذه المكرمة من جلالة الملك ٠٠ !

وقال فاروق :

ـ النحاس باشا قال كده ؟ ٠٠ اذن اطلبه بالتليفون أمامى وقل له هذا الرأى الذى قلته لى الآن ٠٠

وفعلا اتصل مراد محسن باشا بالتليفون من فندق الماجستيك فى فيشى بالنحاس باشا فى مصر ٠٠

وكان فاروق حاضرا ٠٠

وأعاد مراد محسن بالتليفون على مصطفى النحاس حرفا بحرف كل حديثه الى فاروق ٠٠

وأمن النحاس «باشا» على أقوال مراد محسن باشا ودعا لصاحب الجلالة بالعز والتأييد ٠٠

وقال فاروق لمراد محسن :

ـ وهو كذلك ٠٠ ولكن قل للنحاس «باشا» آننى قبلت علشان خاطره هوه بس ٠٠!

وخرج مراد محسن فرحا مسرورا وعاد الى مصر ٠٠ عاد الى مصر ليبشر النحاس «باشا» ووزراءه بأنه نجح فى مهمته عند فاروق ٠

٠٠ ثم يروى فى داره وبين أقاربه وأصهاره – وجميعهم من أصدقاء السيدة لطفية زوجة حسنين باشا – يروى لهم ما رآه وما سمعه فى فيشى ٠٠

وكان بين ما رآه وسمعه شيء كثـــير وكلام أكثر عن الملكة نازلى وأحمد حسنين وكيف توثقت العلاقة بينهما وكيف ·· وكيف ·· الى آخر ما هناك ·· وكان طبيعيا أن تسمع زوجة حسنين بهذه الحكايات والتفاصيل ··

واشتعلت نيران الغيرة فى صدر الزوجة «المهجورة» المتروكة فى مصر ·· خصوصا وكانت ـ رحمها الله ـ قد سمعت ان زوجة القائمقام عمر فتحى قد لحقت بزوجها فى لندن ··

وان زوجة يوزباشى أحمد كامل قد لحقت بزوجها فى فرنسا ··

وان زوجة عبد المنعم رأفت ، والذى كان يتولى حسابات الرحلة قد لحقت بزوجها فى فيشى ··

وهكذا ·· كل من أراد من أفراد الحاشية أن يستدعى زوجته ·· قد استدعاها دون أن يعترض أحد ··

ما عـــدا « هى » ·· ومع ذلك فانها أكبر مقاما من زوجات رجال الحاشية ·· وزوجها – أحمد حسنين – أكبر مقاما ونفوذاً من جميع أفراد الحاشية ··

اذن لابد أن يكون الاعتراض على سفرها اما من زوجها نفسه ·· أو من الملكة نازلى ·· وعلى كل حال فان نازلى صبرى هى السبب ··

وانطلقت السيدة لطفية يسرى كريمة الأميرة شـــويكار تسب وتشتم وتطلق لسانها فى كل مجلس وكل منتدى ·· ضد صاحبة الجلالة نازلى ملكة مصر ·· وضد ابنها فاروق ! وتروى عن نازلى أو «العجوز المتصابية» – كما أسمتها – تروى عنها القصص والحكايات ·

وهكذا تطور المـــوقف وتحول الى «الوضع الصعب أو الوضـــع المستحيل » كما وصفه حسنين باشا بعد ذلك بنحو شهرين ·

★ ★ ★

وبعد عودتى من النمسا الى فيشى بيومين اثنين تحدد موعد سفرنا فى اليوم التالى الى مارسيليا ·· ومنها بالباخرة (النيل) عائدين الى مصر ··

وأراد فاروق ، الذى كان يتضايق من حراسة البوليس الفرنسى له

وتتبعه لكل خطواته وتنقلاته ·· أراد أن ينتقم من رجال البوليس هؤلاء وأن يسخر منهم ويشهر بهم ، فذهب الى مطبخ فندق الماجستيك واستعار من الطهاة عددا من الاوانى النحاسية مثل (الكسارولات) وما أشبه ·· وربطها جميعا بطرف حبل ثم طلب من خادميه الايطاليين بترو وجارو أن يتسللا الى السيارة الصغيرة التى كان يركبها البوليس الفرنسى ويتبع فيها فاروق ·· وان يربطا الطرف الثانى للحبل فى مؤخرة السيارة من غير أن يشعر بهم البوليس ··

وكانت سيارة البوليس واقفة على مقربة من الفندق ·· بينما كان رجال البوليس واقفين بباب الفندق ·· حتى اذا خرج فاروق أسرعوا الى سيارتهم الصغيرة وتبعوه ·· !

ونجح بترو وجارو فى مهمتهما ·· وعادا الى الفندق وأبلغا فاروق ··

وأسرع فاروق بالخروج ·· وقفز فى سيارته وأطلق لها العنان ، وهرول رجال البوليس الى سيارتهم ووثبوا الى مقاعدها ·· وأطلقوا لها العنان وراء سيارة فاروق ··

ومضى فاروق بسيارته يلف ويدور حول الميدان الكبير القائمة حوله متاجر فيشى وحاناتها ودور السينما ·· والمزدحم دائما بالسائرين ··

مضى يدور ويلف ·· ووراءه سيارة البوليس تجر وراءها الاوانى النحاسية على بلاط الميدان ··

وللقارىء أن يتصور الاصوات التى كانت تحدثها هذه الاوانى النحاسية عند ارتطامها بالاسفلت والبلاط ·· !

ووقف المارة فى الطرق وفى الميدان ·· يضحكون ، ويصفرون ·· ويسخرون من رجال البوليس ··

وعاد فاروق الى الفندق ·· ووراءه سيارة رجال البوليس ونزل رئيس قوة بوليس الحراسة من السيارة ·· وفك الحبل الذى كان يربط الاوانى النحاسية الى مؤخر السيارة ورمى بالاوانى أمام باب الفندق ··

وأخرج الرجل منديلا كبيرا من جيبه مسح به العـــرق الذى كان يتصبب من وجهه وقال – دون أن يوجه كلامه الى أحد معين – قال بالفرنسية ما معناه :

ـ دا لعب عيال ·· والذى فعل فينا هذه الفعلة يستحق أن يضرب (علقة) على ··· ؟

وذكر الرجل اسم جزء الجسم الذى يؤدب فيه الصغار ·· !

★ ★ ★

وفى اليوم التالى غادرنا فيشى الى مارسيليا ··

وكانت الباخرة (النيل) مزينة بالاعلام المصرية ·· وقد وقف عند أول درجات السلم المرحوم مدحت يكن باشا ودكتور فؤاد سلطان ، وكان بنك مصر وشركاته قد أوفدهما لكى يكونا فى خدمة فاروق على ظهر الباخرة ··

وسمعنا – وفرحنا – ان المغفور له طلعت حرب باشا أرسل كذلك عددا من الطهاة المشهورين بطهى الالوان الشرقية ·· ومعهم «العاصى» المشهور بعمل الطعمية والفول المدمس اكراما لفاروق ·· !

وتحركت «النيل» فى المساء وأذكر من حديث للمرحوم حسنين باشا أثناء الأيام الأربعة التى أمضيناها على ظهر الباخرة النيل ··

أذكر حديثا قال فيه ما خلاصته ومعناه :

ـ لقد كنا فى أوروبا محيطين بالملك ·· وكان هو يعمل برأينـــا ويصغى لمشورتنا ·· ولكننا نعود الآن الى مصر ·· وأولاد الحرام هناك كثيرون ·· ولن نستطيع أن (نحلق) على (مولانا) كما كنا نفعل فى أوروبا ·· ولن يمكننا أن نمنعه من الاتصال بهذا وذاك ·· كذلك لن نستطيع أن نمنع أولاد الحرام هؤلاء من مقابلته ·· وأرجو منك وقد أصبحت واحدا منا (كذا) أن تساعدنى عند أصحابك الوفديين وأن تقنعهم بأن فاروق غير فؤاد ·· وان سياسة الشـــــدة والعنف مع فاروق لا تنفع ، لأنه عنيد وذو كبرياء ، وقد لمست انت هـــذا بنفسك ·· !

وفى حديث آخر قال رحمه الله :

– قل لأصحابك الوفديين ! (وكانت هذه عبارته دائما كلما تحدث عن الوفديين !) انه ليس فى مصلحتهم ولا فى مصلحة البلد أن يسير (مولانا) فى نفس الطريق الذى سار فيه أبوه الملك فؤاد ·· وكن واثقا انه اذا اضطر (مولانا) أن يقيل الوزارة مرة واحدة ·· أو يحل البرلمان مرة واحدة فانه سوف (يستحلى) – وهذا تعبيره باللفظ ! – سوف (يستحلى) الحكاية ويمشى فيها ·· على طول ! ·· ونصيحتى أن يمشوا معه بالذوق واللين ·· وليذكروا دائما ان أولاد الحرام كثير والطامعين فى السلطة والوزارة كثير ··

* * *

ووصلنا الاسكندرية عند فجر يوم الأحد ٢٥ يولية ١٩٣٧

وكانت مئات الزوارق تملأ ميناء الاسكندرية ·· وفيها فرق موسيقى وطبل وزمر وهتافات ·· ودعوات تتصاعد بحياة فاروق ·· والملك المحبوب ··

كان الشعب يومئذ يعلق آماله على الملك الغلام ولكن ان هى الا سنوات تقل عن عدد أصابع اليدين حتى استحال الحب الى نقمة ·· والدعوات الطيبات الى لعنات يصبها الشعب على رأس الفاجر الطاغية فاروق ·· !

عاد فاروق الى مصر بعد رحلته التى استغرقت نحو خمسة شهور والتى تنقل فيها بين سويسرا وفرنسا وأنجلترا · واستقبله الشعب بزينات الفرح والموسيقى والهتاف والدعاء (للملك المحبوب) ·· !

وعاد حسنين باشا ليجد النـــار مشبوبة فى بيت الزوجية ·· والالغام مهيأة للانفجار ·· وزوجته فى ثورة عاصفة مجنونة ضـــد الملكة نازلى ·· وضد كل من يمت اليها بصلة أو بسبب ·· حتى الملك نفسه ·· فاروق !

ثم سمع حسنين من بعض أصدقائه ومن بعض رجال القصر الذين كانوا أقاموا فى مصر ولم يصحبوا فاروق فى رحلته الى أوروبا ·· سمع من هؤلاء وهؤلاء ان زوجته السيدة لطفية قالت كذا وكذا عن جلالة الملكة ·· وقالت كيت وكيت عن جلالة الملك ·· وكيف انها

– زوجة حسنين باشا – تحدثت فى مجلس خاص فى دار فلان باشا ٠٠ وقصر فلانة هانم ٠٠ واتهمت جلالة الملكة نازلى بأنها (ماشية) مع حسنين وان الملكة عملت كذا وكذا فى باريس ٠٠ وكيت وكيت فى جنيف ولندن وفيشى ٠٠ وان الملك فاروق مغفل ٠٠ مثل أبيه الملك أحمد فؤاد ٠٠ !

سمع حسنين بهذا ٠٠ ثم سمع بما هو أدهى وأخطر ٠٠!

واليك التفاصيل :

★ ★ ★

كانت زوجته السيدة لطفية – يرحمها الله – تزور ذات يوم سيدة من الاسرة ايكنية . وكانت ـ كعادتها فى تلك الايام ـ تنتهز كل فرصة لكى تطعن فى الملكة نازلى وفى سلوكها وتروى عنها القصص والحكايات ٠٠ ومنها قصة زواجها بالملك أحمد فؤاد ٠٠ وكيف هربت نازلى وكيف (ضبطوها) ٠٠ الى آخره ٠٠ والاشاعات التى أحاطت بالزواج المذكور ٠٠ ثم الاشاعات التى انتشرت بعد مولد فاروق ٠٠ الى آخره ٠٠

وهنا اشترك فى الحديث محام شاب وقال ان أديبا اسمه بيرم التونسى كان سجل هذه الاشاعات فى أزجال رددتها شوارع الاسكندرية والقاهرة وتغنت بها ابان ثورة عام ١٩١٩ ، وان الاديب المذكور قد نفى خارج البلاد بسبب هذه الأزجال ٠٠

وكادت لطفية تقفز فرحا ٠٠ وطلبت من المحامى الشاب – وألحت فى الرجاء – أن يحصل لها على نصوص الأزجال المذكورة ٠٠

واستطاع المحامى بعد جهد أن يحصل على أزجال الأديب الشاعر بيرم التونسى ٠

وطبعت لطفية هانم بضعة آلاف نسخة من الازجال المذكورة فى شكل نشرة صغيرة وعملت على توزيعها يوم عودة فاروق وأمه نازلى من رحلتهما الى أوروبا ٠٠

ولكن هذه النشرة أو هذه الازجال لم تحدث أثرا أو ضجة ٠٠ لأن الذين وقعت فى أيديهم اما انهم لم يفهموا الكنايات ، والتلميحات

التى جاءت فيها ·· واما انهم فهموا ولكنهم مزقوها سخطا واشمئزازا لأن فاروق – كما قلت – كان يومئذ «ملكا محبوبا» ! ·· ولأن أمه الملكة نازلى لم تكن قد خرجت بعد على المكشوف ، أو المألوف · وكانت حكاياتها أو قصصها لا تزال محصورة فى نطاق ضيق محدود ·· ولم تخرج بعد الى الشوارع لتصبح مضغة فى الافواه وحديث الناس ·

سمع حسنين بهذا كله ·· وقبل أن أمضى فى سياق الحديث أرى – من باب التسجيل – أن أقف عند أزجال الأستاذ الأديب بيرم التونسى لكى أعطى القراء فكرة عن انفعالات الشعب فى ثورة ١٩١٩ والنظرة التى كان ينظر بها الى العرش وصاحبه السلطان أحمد فؤاد ·· وابنه وولى عهده فاروق ··

وكانت نظرة الشعب ·· نظرة زراية وسخط واستخفاف ·· ثم كانت سلسلة (المسكنات والمرطبات والمهدئات) ·· من دستور وبرلمان وتمثيل سياسى ومقاعد وزارية ومقاعد نيابية ووظائف سياسية ودبلوماسية ·· ازدحم رجالات مصر حولها وتكالبوا عليها ·· !

وهدأت ثورة الغضب ·· واستكان الشعب واستطاع أحمد فؤاد أن يملك ويحكم سبعة عشر عاما ·· وأن يصبح ابنه – الذى هزأ الشاعر وتغنى ساخرا بمولده يوم ولد – يصبح ملكا محبوبا يدعو له الشعب بالعز والتأييد ··

★★★

واتصلت بالأستاذ الأديب بيرم التونسى وسألته أن يبعث الى بهذه الأزجال مع كلمة منه عن الظروف التى كتبت فيها ··

وقال الأستاذ بيرم أنه يذكر منها زجلين اثنين الأول عن زواج أحمد فؤاد ونازلى ·· والآخر عن مولد فاروق وما أحاط بالحادثين من شكوك واشاعات ··

وتفضل وكتب الى يقول :

أخى ···

طلبت الى أن أحدثك عن ثورة عام ١٩١٩ ، كانت يا ولدى ثورة

من النوع الذى لا يبقى ولا يذر . ولقد تركها الانجليز تتأجج وتتآكل الى أن يخمد أوارها ثم يعالجوها بالطرق الناعمة ..

أيقن الشعب أن أمانيه الوطنية أصبحت فى يديه وقال الانجليز : « نعم . وها هو سلطانكم المستقل وبرلمانكم وما عليكم الا ارسال السفراء والقناصل الى كافة نواحى العالم » ..

وكانت جريدة المقطم لسان القائد العام الانجليزى بدأت تتحدث عن الأمير أحمد فؤاد الذى سوف يسند اليه منصب خطير فى الدولة المصرية ..

وتساءل الناس عن الأمير فؤاد لأن رجال ذلك البيت وأميراته لم يكونوا يومئذ موضوعا تخوض فيه الصحف الا بقدر معلوم .

فقال القائلون :

ـ آه .. أحمد فؤاد المقامر الذى لا ترحب به أندية القمار لأنه مفلس ولا يسدد ديون القمار .

ـ .. أحمد فؤاد الذى يركب « الحنطور » ولا يدفع للحوذى أجرته .. !

ـ .. أحمد فؤاد الذى يفتح منازل أصدقائه ليلا ويطلب الطعام !

★ ★ ★

وذات يوم مر موكب عظمة السلطان أحمد فؤاد من شارع رأس التين . وقد جلس فى مركبته التى تجرها ستة من الجياد . وفى شمائل وزينة القرون الوسطى ..

فلما مضى الموكب أخذ الشعب السكندرى يقول :

ـ عامل زى قبانية مينا البصل .. ده أصله شيخ زامة !

ـ شنباته زى شنكل الجزار ..

الى آخره ..

★ ★ ★

وأدرك العارفون ان الحركة الوطنية قد تحولت الى (زفة) عريسها السلطان أحمد فؤاد وموائدها كراسى البرلمان ووظائف السلك السياسى ..

ثم أذاعت جريدة المقطم عزم السلطان « التقى » على الزواج ودقت طبول العرس بين ضجيج المعارك القائمة بين البوليس بقيادة ضباطه الانجليز وبين جماعات الشعب فى كل عاصمة وقرية ..

وأخذ الناس يتحدثون عن العروس « نازلى صبرى » وأسرتها وجدها الأول .. وكيف خطفت وكيف حبست وكيف هربت .. واختلطت أحاديث الناس عن زواج السلطان بأحاديثهم عن بطولة البلاد التى قامت فيها الثورة ..

ما أشجع طنطا .. وما أعظم وطنية دمنهور .. ولله در أسيوط ومدن الصعيد ..

ولم أسمع من يقول (لله در الانفوشى) وهو مسقط رأسى فى حى رأس التين .. وفيه يعيش منذ خمسة آلاف عام أرذل أنواع البشر كما قال علماء الشعوب .

ولم أكن من هواة تحطيم المصابيح أو اشعال النار فى الترام لأنى لا أحب أن أموت « فطيس » برصاصة عسكرى ..

ولكننى أردت أن أشارك الثورة .. وطبقت فرخ الورق « جاير الجاير » على ثمانية أوجه وسميته « المسلة » .. ولما كان بدون رخصة كتبت فى الرأس « المسلة .. لا جريدة ولا مجلة ! »

ولكن ماذا أكتب فى « المسلة » وأنا لا أعرف شيئا فى الدساتير أو فى السياسة ..!؟

سلكت طريقة فتوات الانفوشى عندما يقررون هدم العرس .. يكفى أن تحطم « الكلوب » أو تضع لغما تحت « الموتور » الذى يدير المصنع .. لكى يمسى العرس فى ظلام دامس .. ويتعطل المصنع كله عن العمل ..

و « الموتور » هو السلطان أحمد فؤاد .. والمناسبة حاضرة وهى قصة نازلى وما يقال عنها .. وعن ظروف زواجه بها ..

ومن هنا كانت افتتاحية « المسلة » .. !

وهى على وزن أغنية سورية كانت جاءت حديثاالى مصر وانتشرت فيها ومطلعها :

مرمر زماني ‥ يا زماني مرمر ‥ قلبى تولع فى هواك يا الاسمر ‥ ولها نغمة عذبة مرسلة فلم تحتج الثورة ، البامية السلطانى ، الى ملحن أو موسيقار ‥ وها هى الانشودة :

البنت ماشـــية من زمان تتمخطـــر
والغفلة زارع فى الديوان قرع أخضر
يا راكب الفيتـــون وقلبـــك حامى
اســـبق عـــلى القبـــة وطير قدامى
تلقى العروســـة شـــبه محمل شامى
وجوزها يشبه فى الشـــوارب عنتر

* * *

وحط زهـــر الفل فوقهـــا وفوقك
وهات لها الشبشب يكون على ذوقك
ونزل النونو القـــديم من طـــوقك
يطـلع فى طوعك لا الولـــد يتكبر

* * *

العطفـــة من قبل النظـــام مفتوحـــة
والوزة من قبل الفـــرح مدبوحـــة

الى آخره ‥ الى آخره ‥

والاشارات والتلميحات مفهومة ‥ فالبنت هى نازلى ٠ والغفلة هو أحمد فؤاد وكانت شواربه مبرومة مدببة الاطراف ٠

وأما النونو القديم ‥ والعطفة ‥ والوزة فأمرها متروك لذكاء القراء ‥

* * *

أما الزجل الثانى الذى نظمه بيرم التونسى بعد مولد فاروق ‥ فقد جاء فيه :

الباميـــة فى البستان تهز القـــرون
وجنبهـــا القـــرع الملوكى اللطيف
والـــديدبان يرمح يجيب الـــزبون

وردة الجـــارية تجيب الـــرغيف
شـــوف الميراث حصل ولاد البطـون
ودخل الاغـراب (فاميلية) عـــلى

* * *

يا باديشـــاه دنت ابنك ظهـــر
ربك يبارك لك فى عمـــر الغـــلام
نزل يلعلط تحت بـــرج القمـــر
يا خسارة بس الشهر كان مش تمام

* * *

وكان أحمد فؤاد قبل اعتلائه العرش يقيم فى قصر اسمه قصر البستان ..

وفاميلية على .. يعنى أسرة محمد على ..

و « باديشاه » كلمة فارسية أو تركية ومعناها سلطان !

والشهر كان مش تمام ! ليست فى حاجة الى تفسير ، ومعناها ان فاروق ولد قبل مضى تسعة أشهر على الزواج !

وألقى البوليس القبض على الاستاذ بيرم التونسى ووضعوه على ظهر باخرة .. مسافرة الى فرنسا .. وبقى بيرم فى المنفى نحـــو عشرين عاما ..

* * *

وهذه هى بعض أزجال ثورة ١٩١٩ ، وقد طارت من الاسكندرية الى القاهرة .. وتغنى بها الشعب وقتئذ فى الشوارع والمظاهرات .

وهذه هى الازجال التى طبعتها « المرحومة » لطفية زوجة حسنين ووزعتها يوم عودة فاروق وامه الملكة نازلى ..

سمع حسنين باشا بهذا .. ثم لم يلبث أن جاءه الخبر بأن الملكة نازلى قد سمعت هى أيضـــا بمطاعن السيدة لطفية ضـــدها .. وبالنشرات التى طبعتها ووزعتها وفيها ما فيها من تعريض بهـــا وبزوجها الملك أحمد فؤاد وابنها الملك فاروق .. وان الملكة نازلى — ومن غير أن تقول شيئا لحسنين — ذهبت وأبلغت الأمر لابنهـــا

فاروق ..

وهكذا تعجلت الملكة نازلى سير الأمور .. ووضعت حسنين فى مأزق حرج . وفرضت عليه أن يختار بين أحد أمرين :

اما أن يختارها هى ويختار معها منصبه ونفوذه فى القصر الى جانب الملك .. واما أن يختار زوجته وشريكة حياته وأم أولاده .

ثم لم يلبث أن استدعاه فاروق ليقول له :

ـ مراتك اتجننت يا حسنين ؟ .. شوف لك طريقة معاها .. وبسرعة .. !

وذهب حسنين الى زوجته وقال لها انهـــا ارتكبت جريمة العيب فى الذات الملكية .. وانها عابت فى ذات الملك أحمـــد فؤاد .. وعابت فى ذات الملكة نازلى .. وعابت فى ذات الملك فاروق .. وأن أقل ما يجب عليها أن تفعله الآن انقاذا للموقف ـ وللمظاهر ـ هو أن تلتمس مقابلة جلالة الملكة نازلى وتنكر أمامها كل ما هو منسوب اليها .. وتؤكد اخلاصها وولاءها لها ولجلالة الملك ..

ولكن لطفية لم تتركه يتم حديثه .. بل صاحت فيه :

ـ أنا .. أنا أروح لنازلى ؟

واندفعت تسب وتشتم .. فى نازلى وتقول :

ـ واذا كنت عايزنى أروح لها .. أنا مستعدة أروح .. بس راح أقول لها كل الكلام اللى قلته عنها فى غيابها ..

وتركها حسنين وخرج ليفكر فى هذا الوضع الصعب أو الوضع المستحيل الذى يجد نفسه فيه ..

رائد الملك .. ثم أمينه الأول .

ولكن زوجته تطعن فى ذات الملك .. وفى ذات أمه الملكة .

احتفاظه بزوجته .. وبمنصبه فى القصر .. أمر مستحيل .. ليس أمامه الا أن يضحى بزوجته أو بمنصبه .

وضحى بزوجته ..

وأوقع يمين الطلاق .. واحتفظ بمنصبه .. !

* * *

وكثير من أصدقاء حسنين – وأنا منهم – لم يسمعوا ولم يعرفوا الا بعد وقوع الطلاق بعدة أسابيع ٠٠

وكان سماعى بالخبر من حسنين نفسه فقد ذهبت أزوره ذات يوم ٠٠ وجلسنا نتحدث فى شتى الأمور ٠٠ وفجأة سألنى :

ـ هل تذكر « البارور » الياقوت الذى اشتريته فى باريس هدية لزوجتى ؟

و « البارور » طقم مكون من حلق واسورة وخاتم ٠

قلت : نعم ٠٠

قال : وقد دفعت فيه ثمانمائة جنيه ٠٠ استدنتها لاننى كما تعرف فقير ٠٠

وحنيت رأسى موافقا ٠٠

ومضى حسنين يقول بمرارة :

ـ هل تظن أن الذى يستدين ثمانمائة جنيه لكى يشترى بهـــا من باريس هدية لزوجته ٠٠ يعود الى مصر وفى نيته أن يطلق زوجته ٠٠ ولكن هذا ما يقوله أولاد الحلال !

وسألته أنا

ـ ومن الذى طلق زوجته ! ٠٠ انت ؟

قال : نعم ٠٠

ولأول مرة منذ عرفت أحمد حسنين ٠٠ رأيت فى عينيه دمعـــة حائرة تترقرق ٠٠

وبعد لحظات ٠٠ استرد هدوءه ٠٠ واستأنف حديثه وقص على كثيرا من التفاصيل التى ذكرت بعضها فيما تقدم ومنها انه لما قدم لزوجته لطفية هدية (طقم الياقوت) رمت بها الى الارض وصاحت فى وجهه قائلة :

ـ جايب لى هدية من نازلى ؟ أنا عارفة انك فقير ٠٠ يبقى مين اللى دفع الثمن واشتراها ؟ لازم نازلى ! عايزة تشترينى وتشـــترى سكوتى ؟ ٠٠ والا أنت عايز تعمينى بالهدية وتفهمنى انك لســه بتحبنى ؟ ٠٠

ومشهد آخر من مشاهد الغيرة المجنونة ..

★ ★ ★

وقال حسنين بين ما قاله ..

ـ كتر خيره مراد باشا عمل الواجب وزيادة ! ..

قالها بسخرية ومرارة

.. وفهمت منه أن مراد باشا محسن والروايات والحكايات التى نقلها من « فيشى » الى مصر وحرص على أن يرويها أمام اصـــدقاء وصديقات لطفية لكى تبلغها .. هذه الحكايات والروايات هى التى « شعللت » النار وأخرجت لطفية عن صوابها فانطلق لسانها بالسب والطعن والقذف .. فى حق الملكة والملك ..

ولقد قلت فيما سبق ان مراد محسن كان ينافس حسنين على مركز الرجل الأول فى القصر .. وكان حسنين يعرف هذا .. وكان بين الرجلين منافسة وغيرة فى أكثر من ميدان واحد .

ومن هنا كان طبيعيا ان يعتقد حسنين ان مراد محسن قد عمل عامدا متعمدا على « شعللة » النار فى صدر زوجته لطفية ..

وكانت آخر عبارة قالها فى هذا الموضوع .. وعلى شفتيه ابتسامة باهتة .. قال :

ـ وكان الرسول فى مفاوضات الطلاق بينى وبين لطفية هـــو الاستاذ ابراهيم رشيد ..

والاستاذ ابراهيم رشيد المحامى هو صهر المرحوم مراد محسن باشا

وهكذا طلق حسنين باشا زوجته السيدة لطفية ابنة الاميـــرة شويكار وسيف الله يسرى باشا .. طلقها والدموع فى عينيه .. بعد أن أطلقت لسانها وقذفت فى حق الملك والملكة .. أو ـ على حد قوله رحمه الله ـ عابت فى ذوات ملوك ثلاثة .

ثم رفضت ان تنكر التهمة وتنفى ما نسب اليها .. ورفضت أن تعتذر ..

ورأى حسنين انه أصبح فى وضع صعب بل مستحيل .. وانه لا يمكنه أن يحتفظ بزوجته ويحتفظ معها فى نفس الوقت بمنصبه

في القصر ·

أما الزوجة ·· واما الوظيفة والمنصب وما اليهما من جاه وسلطان ·· ولقد اختار الوظيفة ·

والذين يعرفون حسنين وظروفه لا يستطيعون ان يقسوا عليه بسبب هذا الاختيار ·

ماذا كان يفعل لو أنه آثر الاحتفاظ بزوجته وام أولاده وضحى بالوظيفة والمنصب ؟

كيف يعيش ·· ومن أين ينفق ؟ · لقد كان حسنين طول عمره فقيرا بل ومدينا ·· لا يملك سوى مرتبه من وظيفته ·· وكان جزء من مرتبه يذهب فى تسديد الديون ·

وكانت زوجته السيدة لطفية فقيرة مثله لأن أمها الاميرة شويكار لم تكن قد ورثت بعد ملايين شقيقها الامير سيف الدين بل الذى أعرفه أن الاميرة شويكار كانت فى ذلك الوقت فقيرة تعيش على الاعانة أو المرتب الشهرى الذى يدفع لها بوصفها احدى أميرات البيت المالك ·· وكانت كثيرا ما تلجأ الى الحكومة تطلب منها النجدة العاجلة فى أزمة مالية طارئة ·· ولقد رأيتها فى محطة باريس فى ربيع نفس العام ١٩٣٧ وقد جاءت هى وزوجها الهامى حسين ليودعا النحاس (باشا) والسيدة حرمه عند سفرهما ·· ورأيت شويكار الاميرة حفيدة محمد على تنحنى فوق يد مصطفى النحاس ·· وفوق يد السيدة حرمه ·· مودعة محيية ! ·· ذلك لأنها ـ كما سمعت يومئذ ـ كانت فى حاجة ملحة الى معونة مالية سريعة من الحكومة ·· وكان حسنين بعد هذا أو ذاك قد اعتاد الحياة السهلة حياة الترف والدعة فى القصور الملكية وهى التى كانت من حقه بحكم منصبه فى القصر ·· فكيف يتخلى عنها أو ينسحب ويستقيل منها ليواجه المستقبل المجهول وهو الفقير الغارق فى الديون !

ولقد تساءل بعض أصدقاء حسنين ـ وانا منهم ـ لماذا لم يذهب حسنين الى فاروق ويطلب ـ أو بلغة العهد ـ « يلتمس » منه اعادته الى السلك السياسى الذى كان نقل منه الى منصبه فى

السراى فى عهد الملك فؤاد ! ٠٠ وكانت درجته ومرتبه يؤهلانه يومئذ لمنصب وزير مفوض من الدرجة الاولى !٠٠

وهكذا يخرج حسنين من مصر وتخرج معه زوجته لطفية المغضوب عليها ؟ ٠

واذن لاستطاع حسنين أن يحتفظ بزوجته وان يحتفظ معها بوظيفته ومصدر رزقه الوحيد !

ولكن هل كانت الملكة نازلى وابنها الملك فاروق يرضيان بهذا الحل أو يكتفيان بهذه الترضية ٠٠ وهى ابعاد السيدة لطفية عن مصر ؟ ٠٠

ربما كان فاروق قد قبل ٠٠ أما نازلى فمن المؤكد قطعا أنها كانت ترفض ٠٠ ولا أقل من الطلاق ٠

والى هنا وقد حاولت ان انصف حسنين ٠٠ وأسجل ما كان لفقره وديونه من وزن واثر فى قراره ٠

ولكننى مطالب كذلك بانصاف الحقيقة والمنطق ٠ والحقيقة تقول ان حسنين كان ذا مطامع واسعة ٠٠ وانه كان رسم سياسة لتحقيقها ٠٠ وان من أسس هذه السياسة بقاءه فى القصر الى جانب صاحب العرش ٠٠ وسيطرته فى نفس الوقت على الملكة أم الملك وصاحبة النفوذ والاحترام يومئذ عند ابنها الملك ٠٠

كيف اذن ٠٠ يغادر مصر والقصر والملك والملكة ويرضى أن يذهب الى الخارج سفيرا أو وزيرا مفوضا لبلاده ؟ ٠٠

وهو الذى كان حريصا من أجل تحقيق مطامعه على البقاء فى مصر وفى القصر بالذات حيث يسهل عليه وضع اصبعه فى أى وقت على نبض الحوادث ٠٠ ومتابعة سير الأمور وانتهاز الفرص كلما لاحت فرصة سانحة !

هذا كله ٠٠ تقوله الحقيقة ٠ وهنا يقول المنطق أن حسنين نفسه كان يرفض مغادرة مصر والقصر الى الخارج لو أن اقتراحا بهذا المعنى كان عرض عليه !

وهكذا ٠٠ وكيفما قلبت الأمر على أى وجه فانك تصل الى هذه

النتيجة وهى أن حسنين لم يكن أمامه سوى أن يطلق زوجته ..

وقد فعل وفى حلقه غصة وفى عينيه دمعة حائرة ! لقد كان يحب زوجته شريكة حياته وام أولاده .

ولكن حبه لمطامعه كان أكبر وأعمق .. ولقد كان حسنين كما سبق أن قلت يلبى دائما نداء العقل ويصم أذنيه عن صراخ القلب والعاطفة مهما كانت الظروف . وكان عقله حليف مطامعه .

★ ★ ★

وانتقل الآن الى مشهد جديد فى هذه المسرحية ..

الان وقد طلق زوجته .. وأصبح حرا طليقا .. هل تراه ذهب وأخذ الملكة نازلى بين ذراعيه .. أو تركها تأخذه بين ذراعيها ؟

لم تكن هذه سياسة احمد حسنين . حسنين العالم العليم بطبائع النساء وخصوصا من تجاوزت منهن مثل الملكة نازلى سن الشباب .. ومن كانت لها ـ مثل نازلى ـ أهواء ونزوات !.. جارية رقيقة أسيرة هوى فى المساء وملكة مستعلية متكبرة فى الصباح

تعتصر الثمرة .. وتلفظ نواها .. وترشف الخمر .. وتحطم القدح .. امرأة تسير على هواها .. وهواها ألا تحفظ عهد هوى .

وكان حسنين يعرف هذا ويقيم له كل وزن فى خططه وحسابه

★ ★ ★

وهنا أترك الحديث لمراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية وتقريرا للواقع احب أن أقول ان حديث المرحوم مراد باشا لم يكن معى بل كان مع شخص موثوق به ولست فى حل من ذكر اسمه لأنه لا يريد ان يذكر اسمه فى هذه القصة .

تحدث مراد محسن باشا فى يوم الجمعة ٥ يوليه ١٩٤٠ الى الشخص الموثوق به المذكور وعاد بحديثه نحو ثلاث سنوات الى الوراء .. وهذا الحديث مسجل مكتوب حرفا بحرف كما أفضى به صاحبه

قال مراد محسن باشا

ـ ان حسنين باشا اخطر رجل فى مصر · وهو ممثل يجيد التمثيل خيرا من يوسف وهبى ، وانا لا انسى يوم جاءتنى الملكة نازلى تقول انها تحب حسنين ولا تستطيع الحياة بدونه وانها تعسة لأن حسنين صارحها بأنه لا يستطيع ان يقربها لأنه لا يحب الحرام ·· ثم قالت الملكة نازلى أنها كانت أوفدت الى حسنين احدى وصيفاتها ·· أوفدتها الى حسنين لتسأله عن سر بروده مع صاحبة الجلالة فقال لها انه يتعذب وانه يمسك بعواطفه لأنه يحبها ـ أى يحب الملكة نازلى ـ ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا يغضب الله ·· وانطلقت الملكة نازلى فى شكواها لمراد محسن باشا تقول ··

ـ يعنى أعمل ايه أنا ؟ ·· لا هو يسمح لى أن أعرف رجلا سواه ·· ولا هو يريد أن « يأخذنى » !·· لا عاوز يرحم ولا يخلى رحمة ربنا تنزل ! (واستغفر الله للمرأة الآثمة) ·

★ ★ ★

ومضى مراد محسن باشا فى حديثه يقول ··

ـ ولقد دهشت من هذا التصرف من حسنين فأنا أعرفه جيدا وأعرف انه فى حياته الخاصة وسلوكه الشخصى ليس شيخ الازهر ! ولكن حسنين كان يمثل دورا · وكانت النتيجة ان ازداد وجد الملكة نازلى وتضاعف هواها وحبها لهوأصبحتتعتقد انه رجل غريب ·· رجل يجد ملكة بين يديه ويرفض ان يقربها ·

وذات يوم قالت له ··

ـ أنا أعطيك انذارا نهائيا ، اما أن تعاملنى كامرأة واما سأقطع كل علاقة بيننا وأصبح حرة أفعل ما اشاء ··

وأجاب حسنين ـ وهو يتظاهر بالبكاء ـ انه لا يستطيع أن يقربها الا اذا تزوجها على شرع الله وسنة رسوله ·· ثم أسرع يقول

ـ ·· وغير معقول أن أتزوج الملكة ··

وهنا صاحت الملكة نازلى ·

ـ طظ فى لقب الملكة !

ولكن حسنين قال ..

ـ معنى هذا أن جلالة الملك سيطردنى وانا أفقر من أن أستطيع العيش على معاشى لأن الديون تأخذ جانبا كبيرا منه

قالت الملكة نازلى ..

ـ أنا مستعدة لأن أضع ثروتى كلها بين يديك

قال ..

ـ ولكننى لا أستطيع أن أعيش على حساب زوجتى وسوف أشعر بمرارة انك دفعت لى ثمن هذا الزواج .

وصاحت هى ..

ـ يعنى عايزنى اعمل ايه ؟ .. زوجة .. لا ! .. رفيقة .. لا ! .. عاوزنى ابقى ايه ؟! ..

قال حسنين :

ـ عاوز ملكة !

قالت ..

ـ يعنى قطعة جماد ! .. طوب .. حجارة ؟ . لا يا سيدى . انا بنى آدم .. انا دم ولحم . انا امرأة . انا حرمت كل حياتى من الحياة عاوزه أعيش .. سيبنى أعيش ..

قال حسنين ..

ـ أنا خايف على سمعتك وسمعة السراى والا لتركتك تفعلين ما تشائين .

★ ★ ★

وهنا انفجرت قائلة ..

ـ طيب ! .. سأبهدل سمعة السراى ! .. أنا أخذت ايه من السرايات ؟ .. غير المرض والبؤس والشقاء ! . أنا عشت تمنتاشر سنة فى ثلاجة ..

ولكن حسنين أصر أمامها على انه يخشى الله ولا يستطيع أن يفعل شيئا يغضب الله !

وهنا قالت الملكة نازلى ..

ـ اذن سأذهب الى فاروق وأقول له اننى سأتزوجك ..
قال حسنين ..
ـ اذهبى . ولكنه سيرفض .

★ ★ ★

ومضى مراد محسن باشا فى حديثه يقول ..

ـ وذهبت الملكة نازلى فعلا الى الملك فاروق .. وكانت مقابلة عاصفة ! فقد قالت لابنها انها تحب حسنين باشا وتريد أن تتزوجه
وقال فاروق ..
ـ رافقيه أحسن !
قالت .. انه يرفض أن يكون عشيق الملكة !
قال صاحب الجلالة ..
ـ سأصدر اليه أمرا ملكيا بذلك !
ولعل فاروق كان يسخر من امه !

وعلى كل حال فانه لم يفاتح حسنين فى هذا الموضوع وكان طبيعيا أن أعتقد أن الملك سوف يغضب ويحقد على حسنين ويطرده من السراى ولكن شيئا من هذا لم يحدث ولعل جلالته آمن باخلاص حسنين باشا وان هذا الاخلاص هو الذى يحول بينه وبين ان تكون له بالملكة علاقة غير شريفة !

وكان الملك لا يزال يثق فى حسنين وفى اخلاصه . فقد حدث أيام كان الملك وأمه الملكة نازلى فى لندن ان أرادت الملكة أن تذهب الى ناد ليلى معين لترقص فيه فذهب اليها حسنين وقال لها .. (اذا رقصت فى هذا النادى فسوف أضعك هنا فى مستشفى المجاذيب) .. وذهبت الملكة نازلى تشكو حسنين الى فاروق وتهديده اياها .. ولكن الملك فاروق لم يفعل شيئا ولم يقل شيئا لحسنين ... وهذا هو الامر العجيب الذى يحيرنى !
ثم قال مراد محسن باشا ..

ـ ومع ذلك فأنا أعرف أكيدا ان الملك يكره حسنين فى قرارة نفسه . ولكنه ـ كما يظهر ويبدو من تصرفاته ـ يخافه ويتقى شره !

•• وحسنين يعرف ذلك •• ومن هنا يعمل من جانبه على اتقاء بطش الملك به عن طريق السيطرة التامة على أم الملك •• الملكة نازلى !

وذات يوم جاءتنى الملكة نازلى تقول انها قررت أن تهب حسنين باشا خمسمائة فدان وطلبت منى بصفتى ناظر الخاصة ووكيلا عنها أن أعد العقود الخاصة بهذه الهبة ونقل الملكية وحاولت ان أراجعها فى قرارها ولكنها أصرت عليه •• وهنا ذهبت الى الملك فاروق وأبلغته الخبر فثار وهاج وقال لى ••

ـ ان هذه الخمسمائة فدان بتاعتى أنا •• لاننى أنا الذى أرث الملكة ••

ولكنه لم يفعل شيئا ولم يحدث أمه أو حسنين فى هذا الموضوع واكتفى بأن طلب منى أن أذهب الى « رفعة » شريف صبرى «باشا» شقيق الملكة وأروى له الحكاية • وذهبت الى شريف «باشا» وقلت له ان جلالة الملكة تريد أن تهب حسنين باشا خمسمائة فدان •

ولكن شريف صبرى لم يفعل شيئا •• وبينما انا فى حيرة ماذا أفعل اتصل بى حسنين باشا ليقول لى انه يرفض هذه الخمسمائة فدان ••

وبعده بقليل اتصلت بى الملكة نازلى وقالت ان حسنين باشا شتمها وقال لها : « انت عاوزه تهزئينى أمام بتوع السراى ؟ انت عاوزه تنتقمى منى ؟ كيف تتصورين ان آخذ منك أنا فدادين ؟ •• انت امرأة مجنونة ! »

★ ★ ★

ومضى مراد محسن باشا فى حديثه يقول

ـ وهكذا استطاع حسنين باشا برفضه هذه الهبة الكبيرة ان يزيد فى قوته ومقامه فى عين الملكة نازلى وان يشعرها انه من الأنبياء والقديسين لا تمكن رشوته ! •• وأنا أعتقد ان سياسته أو هدفه الذى كان يسعى اليه فى آخر الأمر هو ان يحمل الملك فاروق على أن يرجوه بنفسه ان يتزوج أمه الملكة نازلى زواجا عرفيا

٠٠ وعندئذ ينحني حسنين أمام رغبة « مولانا » ويصـــدع بالأمر بحجة انه انما يخدم الملك والأسرة بهذا الزواج !! واما لماذا رفض أن يكون عشيقا للملكة نازلى فربما خوفا من بطش الملك ٠٠ أو ربما لأنه كان يعرف حق المعـــرفة انه لو رضى ان يكون عشيقا للملـكة لزهدت فيه بعد شهر واحد أو شهرين وتخلصت منه وتركته ٠٠ ومن هذا رسم لنفسه هذه السياسة ٠٠ سياسة التعالى والخوف والبعد عن كل ما يغضب الله ٠٠ وهكذا ٠ يضمن ان يبقى الملـكة نازلى ملهوفة عليه والهة ويضمن بواسطتها نفوذه عند الملك وبقاء السلطة طول حياته فى يده ٠٠ ولكنى لا أعرف هل يستطيع حسنين أن يستمر طول حياته فى تمثيل هـــذا الدور ولعب البهلوان والمشى على السلك المشدود أم انه سيقع يوما وتندق رقبته ٠

* * *

قال مراد محسن باشا :

ـ وكان الملك فاروق يغضب أحيانا ويستبد به الغضب ويثور بسبب حب أمه الملكة نازلى لحسنين ، هذا الحب المفضـوح الذى أصبح حديث جميع من فى القصر ٠٠ بل حديث أعضاء الاســـرة المالكة ٠٠ كان يثور ويقسم انه سوف يضرب حسنين بالرصاص ! ٠٠ ولكننى كنت أدخل عليه مكتبه فى اليوم التالى فأجده جالسـا يمزح ويضحك مع حسنين !

وحدث مرة فى العام الماضى (أى فى ١٩٣٩) أن تلقى جلالـــة الملك تقريرا جاء فيه أن جلالة الملكة نازلى تسهر الى الصباح عنـــد حسنين ، وقرر الملك أن يضبطهما معا متلبسين وأخذ معه خادمه الارناؤوطى محمد عبد الله وذهب الى بيت حسنين باشـــا وترك سيارته بعيدا عن الدار ٠٠ ثم دخل البيت من احدى النوافذ ٠٠ وعرف أن الملكة وحسنين فى الدور العلوى ٠ واعتقد انهما فى غرفة النوم ! ٠٠ وصعد السلم على أطراف أصابعه ٠٠ وهو يضع دائما فى قدميه حذاء ذا نعل من « الكاوتش » لا يحدث صوتا ٠٠ وتسلل الى غرفة النوم ٠٠ وفتح بابها فوجدها خالية ٠٠ وفتح الغرفـــة

التى بجوارها فرأى منظرا أذهله ! ٠ رأى حسنين باشا جالسا على الأرض وأمامه الملكة نازلى جالسة كما تجلس التلميذة أمـــــــام أستاذها ٠٠ وكان حسنين يتلو عليها آى الذكر الحكيم من مصحف بين يديه !

وذهل الملك من هول المفاجأة فلم يجد شيئا يقوله ٠٠ وأغلـــق عليهما الباب وغادر الدار !

ومضى مراد محسن باشا فى حديثه فقال :

ـ وعندما سمعت هذه القصة من الملك ازداد اعتقادى بأن هذا الرجل ـ (يقصد حسنين باشا) ـ بهلوان ! والا فكيف استطاع أن يمثل دور الرجل الصوفى المتدين مع الملكة نازلى ٠٠ وان يحملهـا على الجلوس امامه تصغى الى تلاوته للقرآن وهى التى لا تكاد تجلس فى مكان ما دقائق معدودات حتى تهب واقفــة وهى تصيح ٠٠ « أنا أختنق هنا !٠٠ تعالوا نبحث عن سهرة نرقص فيها ! » ٠

ثم قال ٠٠

ـ ان جلالة الملك يعتقد أن حسنين هو الرجل الوحيد الذى تخافه الملكة وتطيعه ٠٠ والرجل الوحيد القادر على ترويض الملكة باعتباره مروض وحوش أو انه اذا خرج حسنين من القصر فان الملكة نازلى سوف تنفجر وتترك هى أيضا السراى ٠٠ و « تمشى على حـــــل شعرها » ٠٠ ولكننى لست من هذا الرأى بل أعتقد أن حســنين هو الذى يضفى على نفسه كل هذه الأهمية ٠٠ بحركاته وتمثيلـه وبهلوانيته والا فما الذى تستطيع أن تفعله الملكة نازلى اذا وضعهـا الملك فى قصر وأغلقه عليها ؟ ٠٠ ولكن الملك يرفض المناقشة فى هذا الموضوع ٠٠ وهو كلما يسمع أن الملكة تريد ان ترتكب حماقة صاح ٠٠ (الحقونى بحسنين) !

★★★

انتهى حديث المرحوم مراد محسن باشا ٠٠

وقد برهنت حوادث الأيام والسنوات التالية على انه رحمه الله كان مخطئا فى رأيه وفى التهوين من شأن أحمد حسنين لأنه لـــم

يكد حسنين يلقى حتفه ويوارى فى التراب حتى انطلقت نازلى « على حل شعرها »

* * *

تدلهت ملكة مصر وتهتكت فى حب حسنين · ولم تخجل من أن تعلن حبها له امام رجال القصر ·· ثم امام ابنها الملك فاروق ·· تنسى مقامها كملكة ، وأرملة ملك وأم ملك ! ونسيت حرمة سنها وقد جاوزت الأربعين

وكانت الصدمة النفسية قاسية عنيفة على فاروق الذى كان يومئذ فى الثامنة عشرة من عمره ·· ميلادية ! أو التاسعة عشرة هجرية !

وكان فاروق يحب أمه ·· ولم يكن يفوق حبه سوى احترامه لها ·· كانت تناديه أمامنا وأمام رجال الحاشية وخدم الفنادق « فاروق » ·· وكان هو يخاطبها أو يناديها دائما « ماجستيه » أى صاحبة الجلالة !

وكان يخشاها ويتقى غضبها ويعمل لها حسابا ·· وكانت كلمتها عنده لا ترد ··

كثيرا ما سمعتها ــ أثناء رحلتنا الى سويسرا وفرنسا وانجلترا ــ سمعتها تنهاه أمامنا علنا عن قيادة سيارته بنفسه ·· أو تنهره وتطلب منه أن يترك سيارته ويركب معها فى سيارتها لأنها كانت تخاف عليه من تهوره فى قيادة السيارات بسرعة جنونية ··

وكان يخضع دائما ويطيعها ·· ولا يرى غضاضةأو بأسا ــ وهو الملك ــ فى أن ينزل على ارادتها مثل أى طفل صغير !

هكذا كان مقدار حب فاروق واحترامه لأمه نازلى ·· ثم ها هى ذى تتدله وتتهتك فى حب موظف من موظفى القصر ·· وتذهب تشكو حبها لناظر الخاصة ولا تخجل من أن تعلن أمام موظفى القصر انها عاشقة ملهوفة على أحمد حسنين !·· بل ولا تخجل من أن تصارحه هو ــ ابنها الملك ــ بأنها تحب هذا الموظف أحمد محمد حسنين ·

.. وأنهـــا قدمت نفســـها وجسمها ولكنه يرفض ! ثم تصرخ وتصيح انها من لحم ودم .. ! وتطلب من ابنها أن يزوجهـــا من حسنين !

كانت الصدمة النفسية قاسية عنيفة .. على فاروق . وتهاوت المثل العليـــا التى كان يراها فى أمه ـ صاحبة الجلالة ـ تهـاوت وتحطمت تحت قدميه .. وكان كما اسلفت لا يزال فى سن الثامنة عشرة ..

وكانت مثل عليا أخرى قد أخذت تتهاوى وتتحطم فى نفس الوقت تحت أقدام فاروق ..

زعماء البلاد الكبار وشيوخها الكبار وساســـتها الـكبار .. رآهم فاروق واحدا بعد واحد ينحنون فوق يده ويقبلونها وينسحبون من « حضرته الملكية العلية » وهم يمشون بظهورهم الى الوراء ..

.. وسمعهم واحدا بعد واحد يقولون له انهم جاءوا ليلتمســـوا منه « توجيهاته السامية وارشاداته الغالية » ..

وقرأ لهم جميعا فى الصحف تصريحات افضوا بها وقالوا فيها انهم « تشرفوا بمقابلته ليتلقوا نصائحه الغالية وارشاداته الحكيمة »

ولم يكن فاروق غبيا . كلا . فقد كان يعرف انه لم ينـــل من العـــــلم الا قليلا ... وانـــه جاهـــل أو نصف أمى .. وان تغنى هؤلاء الساسة والزعمـاء الكبار بحكمته ونصائحه ليس سوى نفاق ورياء .. وان كل ما يسعون اليه هو الحكم وكراسى الحكم !

وهكذا ! المثل العليا .. فى أمه وفى رجال مصر .. تهـــاوت وتحطمت .. ودخلت المرارة فى نفس الفتى ابن الثامنة عشرة .

ومع المرارة والسخرية والاستهتار بالمثل العليا ـ وأين هى ؟ وبالمبادىء والقيم والاخلاق .. وبكل ما فى هذه الدنيا من نبـل وعلاء .

لم يجدها فاروق فى أمه .. ولم يجدها فى رجال دولته .. لا فى الساسة ولا فى الزعماء .

وانطلق فاروق يسخر ويهزأ بكل شيء ·· ويدوس بقـــدمه كل مقدسات هذا البلد ·

ولقد كنت كتبت مقالا مطولا في هذا المعنى فى أعقاب الثـورة وبعد خلع فاروق فى صيف ١٩٥٢ وكان عنوان المقال « مأساة الملك فاروق » ·

وعدت اليوم الى نفس المعنى أو الموضوع لكى أقرر هذه الحقيقـــة مرة أخرى ··

وهى أن هذه القصة أو هذه الفضيحة ــ فضيحة نازلى وتهتكها ــ كانت من العوامل الرئيسية التى حـــولت فاروق من ملك محبوب مأمول الى طاغية وفاجر مستهتر ·· أو مخلوق بلا أخلاق ولا مبادىء ولا مثل عليا ! وان شئت فقل « حيوان فى رسم انسان » ·

★ ★ ★

وأعود الى سياق الحديث أو القصة ··

انتهت نازلى ملكة مصر الى هذه النتيجة وهى أن حسنين يرفض أن يعاملها كامرأة · ويتخذها عشيقة لأنه ــ كما قال لها ولوصيفتها ــ يخاف الله ·· ولا يستطيع أن يقربها الا على شرع الله وسنة رسوله ·· ثم هو لا يستطيع أن يتزوجها خوفا من أن يطرده الملك فاروق ·· وهو ــ أى حسنين ــ رجل فقير لا يملك سوى مرتبه الذى يناله من وظيفته ··

اذن ماذا ؟

كان حسنين فى الواقع يرمى من وراء هذا الدور الذى مثله بمهارة عجيبة ــ كان يرمى وكما قال المرحـــوم مراد محسن باشـــا ــ الى أن يحمل الملك فاروق على أن يستدعيه ويأمره أو يرجوه أن يتزوج أمه الملك نازلى !

واذن ··· يصدع حسنين بأمر « مولانا الملك » ويتزوج من جلالة الملكة !

كان هذا هو الهدف الذى يسعى اليه حسنين ·· ولم يكن تحقيقه مستحيلا أو صعب المنال · لأن حسنين باشا رحمه الله كان قد أفلح فى

اقناع فاروق ـ بطريق غير مباشر ـ بأنه ـ أى حســـنين ـ الرجل الوحيد فى مصر أو فى القصر القادر على كبح جماح الملكة نازلى ٠٠ وانها لولاه ولولا نفوذه عليهــا « لخرجت على حل شعرها » وتركت السراى وانطلقت على هواها !

هذا ما كان يعتقده فاروق كما قرر مراد محسن باشا ٠٠ ولهذا لم يكن أمرا مستحيلا أن يطرح فاروق عواطفه ويصغى لحكم العقل والحكمة ويطلب من حسنين أن يتزوج جلالة الملكة !

ولكن فاروق لم يفعل ٠٠ وحسنين لم يتراجع أو يتزحـــزح عن موقفه ٠٠ اذن ماذا ؟٠٠ ماذا تفعل الملـــكة التى تريد ان تعـــامل كامرأة ٠٠ من لحم ودم ؟

* * *

هزت نازلى كتفيها فى وجه حسنين ٠٠ وشقت عصا الطاعة ٠٠ وانطلقت تغازل وتمرح وتسهر وتشرب وترقص مع من يعجبها من شبان ٠٠ ووقع اختيارها أول ما وقع على تشريفـــاتى بالقصر كان ملحقا بحاشيتها ٠٠

وبدأت الاشاعات والحكايات تخرج من القصر ودوائر القصر الى الاندية والقصور ٠٠

الملكة نازلى « ماشية » مع « ح » التشريفاتى ! الملكة نازلى أمضت ليلة أمس فى الزمالك فى شقة فلان صـــديق (ح) ٠٠ الذى كان موجودا ٠٠ الى آخره ٠٠ الى آخره !

لعل أحمد حسنين يغار ويغضب ويثور ٠٠ ويعاتبها وينتهى الامر بتسوية !

ولكن أحمد حسنين عرف كيف يصبر ويسكت ٠٠ بل ويبتسم رثاء لها اذا ما قابلها فى احدى حفلات السراى !

وكان فاروق هو الذى غضب وثار ٠٠ وكان لسان حاله يقول (لم يبق الا التشريفاتية وصغار الموظفين) ! تقرن أسماؤهم باسم أمه الملكة ٠٠ وتروى عنهم وعنها قصص الغزل والمرح والسهرات والشراب

وقابل فاروق ذات صباح التشريفـــاتى المذكور (ح) فى احدى

ردهات القصر فاستوقفه وصاح فيه :

ـ حضرتك عامل ايه في حـــواجبك ؟٠٠ ناتف شـــعرها زى الستات !٠٠ وكمان يظهر انك بتحط بودرة ٠٠ واحمر ؟!

وأصدر أمرا ملكيا بنقل التشريفاتي الى احـــدى وظائف وزارة الخارجية ٠٠٠

وخشى الرجل عاقبة لهوه مع الملكة نازلى فانقطع عنها ٠٠٠ ولعل حظه الحسن هو الذى جر عليه غضب فاروق لانه لم يلبث أن استقال من خدمة الحكومة واشتغل بالأعمال الحرة وأثرى وأصبح من كبـار رجال الأعمال والشركات ٠٠

★ ★ ★

ورأت الملكة نازلى ان ابنها فاروق يضيق عليها الخنـاق ٠٠ وان حسنين مصر على موقفه منها ٠٠ فهزت أكتافها مرة أخرى وسافرت الى أوروبا ٠٠

★ ★ ★

ومرت شهور الصيف ومن بعده الخريف ٠٠ واقترب موعد سفرى الى أوروبا فقد كنت اعتدت أن أمضى فصل الشتاء فى سويسرا ٠٠ وقرأت فى الصحف أن جلالة الملكة نازلى تزمع العودة من رحلتها فى أوروبا الى مصر وانهـا تغادر ميناء مرسيليا فى يوم كذا فتصـل الاسكندرية فى يوم كيت من شهر نوفمبر ٠

وركبت أنا الباخرة من ميناء بورسعيد فى مساء ١٧ نوفمبر ٠٠ وقدرت أننى سوف أصل الى مرسيليا فى نفس اليوم الذى تصل فيه الملكة نازلى الى الاسكندرية ٠٠

ومن مرسيليا أخذت القطار الى باريس فوصلتها بعـد منتصف الليل ٠ وذهبت الى الفندق الذى كنت اعتدت النزول فيه وهو فندق جورج سانك أو جورج الخامس ٠٠

ورأيت علم مصر الأخضر يرفرف على الباب الرئيسى للفنـدق ، وعجبت ٠٠ ترى من يكون الزائر المصرى الكبير المقيم بالفندق والذى يرفع الفندق علم مصر تكريما له !

وسألت موظف الفندق ــ وأنا أسجل اسمي في الدفتر ــ فقال :
ــ جلالة ملكة مصر !

اذن فالملكة نازلى لا تزال فى باريس ••• وصحف مصر كانت مخطئة فى نشر خبر عودتها ؟

كذلك لم أكن أعرف ان جلالتها تنزل فى فندق جورج الخامس لأنها سبق لها أن زارت باريس مع ابنها ثم وحدها وأقامت مرة بفندق ده كريون ومرة بفندق ريتز والمرة الثالثة والاخيرة بفندق بلاتزا اتنيه •• وها هى فى فندق جورج الخامس •••

ولو عرفت •• لكنت ذهبت الى فندق آخر وذلك لأن العلاقات يومئذ بين فاروق والوفد كانت سيئة للغاية •• وكنت وفديا ومجلتى « آخر ساعة » وفدية •• وكان فاروق غاضبا على ••

وكنت حريصا فى تلك الأيام على أن أتحاشى القصر والذين فى القصر وكل أحد له علاقة بالقصر أو فاروق ••

وهأنذا أنزل فى نفس الفندق الذى تقيم فيه أم فاروق وأفراد حاشيتها !

* * *

وفى مساء اليوم التالى ــ وكنت جالسا فى أحد صالونات الفندق ــ دخل تشريفاتى الملكة نازلى محمود أسعد بك ومعه زوجته السيدة فتحية أبو اصبع ••• ولحق بهما بعد قليل الاستاذ حسنى نجيب وزوجته السيدة نايلة سلطان •

وتبادلنا التحية •• واذ نحن نتحدث أقبل من يعلن نزول جلالة الملكة •• من جناحها الخاص ••

ووقف الجميع ودعونى للذهاب معهم لقضاء السهرة ولكنى اعتذرت من عدم الذهاب بحجة التعب •• وأسرعوا بالخروج ليلحقوا بجلالة الملكة ولم أر وجه الملكة نازلى •• ولقد حرصت بعدئذ على عدم الجلوس فى صالونات حتى لا أقابلها أو أقابل أحدا من أفراد حاشيتها •• وكنت أغادر الفندق فى الصباح ••• وأعود فى المساء الى غرفتى مباشرة ••

وهكذا أمضيت نحو أسبوعين في باريس ... ثم سافرت الى زيوريخ فأقمت فيها بضعة أيام ومنها الى سان موريتز .

ووجدت فيها خطابا من مصطفى أمين . وكان الخطاب محولا من فندق جورج الخامس ..

وفي الخطاب يقول مصطفى ان النقراشي باشا ـ رحمه الله ـ وكان يومئذ وزيرا للداخلية استدعاه الى مكتبه وقال له ان التابعي في باريس ويقيم في فندق جورج الخامس الذى تقيم فيه جلالة الملكة نازلي .. وانه ـ أي النقراشي باشا ـ يطلب منى أن لا أثير متاعب له ولنفسي .. ومن ثم يرجوني أن أغادر باريس على الفور .. أو على الاقل أترك فندق جورج الخامس .. الى فندق آخر ..

وهذه خلاصة الخطاب .. ويظهر ـ على الارجح ـ انه كان يوجد بين حاشية الملكة نازلي من كان يرسل تقارير الى فاروق .. عن أمه الملكة وماذا تفعل ومن تقابل ومع من تخرج .. الى آخره .

وعرف فاروق انني أقيم في نفس الفندق .. ولعله خشي أن أعرف عن أمه وسيرتها في باريس ما لا يصح أن يعرفه أحد وخصوصا صحفيا وفديا .. وكانت الخصومة كما قدمت على أشد ما تكون وقتئذ بين فاروق والوفد ..

خشي فاروق أن أطلع على أمور قد يستعملها الوفد في دعايته ضده فطلب من النقراشي أن يعمل على ابعادى عن باريس .. الى آخره ..

وهذا ما فهمته من خطاب الصديق مصطفى أمين .

وعلى كل حال فقد كانت الاشاعات يومئذ في مصر كثيرة ... ومنها مثلا أنني غادرت مصر الى أوروبا منفيا بأمر من الملك فاروق .. ومنها كذلك ان فاروق طلب من الوزارة تجريدى من الجنسية المصرية . الى آخره .. الى آخره ..

ولما عدت الى مصر وسمعت بهذه الاشاعات كتبت عنها في « آخرساعة » وسخرت منها ومن الذين اختلقوها وأذاعوها .

* * *

وكانت الملكة نازلى كما عرفت وسمعت فى سويسرا قد زارت « فيينا » و « بودابست » .

وفى « بودابست » عرفت شابا جميلا هو ابن الاميرال هورتى الوصى يومئذ على عرش المجر .. وقد قتل بعد ذلك فى حادث طائرة فى روسيا سنة ١٩٤٣ .

وطابت لها الاقامة فى « بودابست » .. بعد أن وجدت فيها الرجل الذى يرضى أن يعاملها كامرأة من لحم ودم !

ثم غادرتها الى باريس .. حيث وجدتها .. ثم عادت جلالتها مرة أخرى الى بودابست ..

وأخيرا عادت الى مصر ولحق بها الشاب هورتى وجاء مصر ونزل فى فندق شبرد ..

وكانت حكايتها مكشوفة .. وأكثر من مكشوفة ! ومرة أخرى صاح فاروق : « الحقونى بحسنين » !..

وأصدر صاحب الجلالة أمره الملكى الى حسنين .. « أن يشوف له طريقة مع جلالة الملكة نازلى .. ويضع حدا لحكايتها مع الشاب هورتى .. لأن الحكاية أصبحت فضيحة مكشوفة » .

وصدع حسنين بالامر .. ونزولا على ارادة «مولانا» ذهب حسنين واسترضى الملكة نازلى وتصالح معها ..

وبعد أيام من عقد الصلح أحس الشاب هورتى ابن الوصى على عرش المجر أن بقاءه فى القاهرة أصبح أمرا غير مرغوب فيه من الملكة نازلى نفسها .. ومن سلطات مصر العليا .. فغادر مصر عائدا الى بلاده !

واجتمع الشمل .. وكثرت الحفلات والسهرات التى كان يقيمها أصدقاء الملكة نازلى أو أصدقاء حسنين .. لكى يجتمع فيها الحبيبان نازلى وأحمد حسنين ..

وذات يوم ذهب الامير محمد على الى القصر يشكو لفاروق من تصرفات أمه الملكة نازلى وكيف أن سيرتها مع حسنين باشا أصبحت على كل لسان !

* * *

وقد ورث فاروق عن أبيه الملك أحمد فؤاد كرهه للامير محمد على توفيق ونفوره منه ..

وكان أحمد فؤاد يعمل دائما على مضايقة ابن أخيه الامير محمد على .. وكان محمد على يلجأ الى « المندوب السامى البريطانى » فى مصر أو الى السلطات البريطانية العليا فى لندن لكى تأخذ له بحقوقه من عمه الملك أحمد فؤاد ... ولكى توقفه عند حده وتأمره بالكف عن مضايقة صديقها الامير محمد على توفيق ..

روى المرحوم عبد العظيم راشد باشا وزير الاشغال الاسبق فى مذكراته « التى لم تطبع ولم تنشر » ـ روى فى مذكراته ان اللورد لويد المندوب السامى البريطانى قال له انه ذهب مرة وقابل الملك فؤاد ووبخه بسبب بعض تصرفاته مع الامير محمد على ، وان الملك فؤاد بكى ساعتئذ بكاء شديدا ثم قال لورد لويد :

ـ وماذا أستطيع أن أفعل مع ملك يبكى كلما وبختــــه وذكرته بواجباته كملك ؟!

* * *

كان الملك فؤاد يكره ابن أخيه محمد على توفيق . وقد ورثفاروق عنه هذه الكراهية ...

وكان الأمير محمد على توفيق لا يكف عن انتقاد أسرة عمه الملك فؤاد أفرادا وجماعات . وكان يشهر بها وبتصرفاتهـــا فى مجالس الأسرة .

وكان فاروق يعرف هذا ...

حدث مرة أن أقيمت مأدبة كبيرة فى قصر عابدين وحضرها الأمير محمد على توفيق وكان جالسا الى يمين الملك فاروق . وأبدى « سموه الملكى » اعجابه بنقوش وزينة سقف قاعة الطعام .

وهنا التفت اليه فاروق وقال وهو يغمز بعينه للحاضرين من كبار رجال القصر ..

ـ الحمد لله اللى وجدت عندنا حاجة تعجبك !

وفهم الأمير غمزة الملك . وابتسم الحاضرون .

* * *

وسمع الامير محمد على توفيق بالحكايات التى تروى عن الملكة نازلى وعلاقتها بحسنين باشا ...

وكان طبيعيا أن ينتهز هذه الفرصة لكى يشهر ويندد بتصرفات عائلة أحمد فؤاد ..

وذهب « سموه الملكى » وقابل رئيس الديوان « رفعة » على ماهر باشا وقال له ان سمعة الملكة نازلى زفت بسبب علاقتها بحسنين .. وطلب من السيد على ماهر ابعاد أحمد حسنين عن السراى ...

ولكن على ماهر « باشا » كان أحرص وأذكى من أن يقحم نفسه فى مسألة شائكة كهذه . ومن هنا لم يجد الامير محمد على بدا من أن يذهب ويقابل الملك فاروق نفسه ويشكو اليه أمه الملكة وكيف ان الناس تقول انها قد أصبحت عشيقة أمينه الأول أحمد محمد حسنين.

وقال فاروق :

ـ أنا سمعت الاشاعة .. وحققت فيها بنفسى وتأكدت انها غير صحيحة .

ولكن الأمير محمد على أصر على الاتهام وقال :

ـ أنا واثق أن بين حسنين والملكة نازلى علاقات غير شريفة .

★ ★ ★

وسمع حسنين رحمه الله بهذه المقابلة وبالحديث الذى دار فيها فأرسل الى الامير محمد على يقول له :

ـ أنا آسف اذ أرانى مضطرا لأن أنسى انى موظف فى السراى وانك ولى العهد ، ولهذا فانى أدعوك للمبارزة كما يفعل أى رجل وأترك لك حرية اختيار السلاح وشهودك .

ولم يكد الأمير محمد على يتلقى رسالة حسنين حتى فزع واستنجد بالأمير عمر طوسن .

واتصل الامير عمر طوسن بحسنين باشا وسأله كيف يجوز للامين الاول لجلالة الملك أن يبارز ابن عمه وولى عهده ؟

وقال حسنين أن هذا الامر ليست له حقيقة سابقة فى «البرتوكول» .. ولكن لم يسبق كذلك لولى عهد أى بلد ان قال كلاما كاذبا فى

حق رجل آخر دون أن يتحمل مسئوليته ·
ثم قال حسنين انه رغبة فى عدم احراج أى أحد · فقد رفع الى جلالة الملك الخطاب الآتى :

« لما كان ولى عهدك قد أهانني ولما كنت لا أقبل هذه الاهانة · ولما كان وجودى فى خدمتك يقيدنى فانني أقدم استقالتى من منصبى لكى أستطيع ان أعامل ولى العهد معاملة رجل حر لرجل حر » ·

وهنا قال الأمير عمر طوسن :

ـ لكن ولى العهد يرفض المبارزة ·

وأجابه حسنين :

ـ فى هذه الحالة سوف أنتهز فرصة وجوده فى نادى محمد على وألطمه على وجهه واعتبر الحادث منتهيا !

★ ★ ★

واتصل الامير عمر طوسن بالملك فاروق ورجاه أن يتوسط فى الامر ولكن فاروق أجابه بأن حسنين قد استقال من منصبه ولم يعد فى خدمته !

وكان فاروق يضحك ويريد أن يسخر من ابن عمه محمد على توفيق ثم يرى الى أى مدى سوف يدفعه جبنه وخوفه !

وعندئذ اتصل عمر طوسن بالأمير محمد على وقال له ان حسنين مصمم على مبارزتك · وهو قد استقال من منصبه فى السراى ولم يعد فى خدمة الملك ··· ولقد وسطت الملك ولكنه اعتذر من عدم الوساطة لهذا السبب ·

وهنا ركب الأمير محمد على سيارته وقصد الى دار حسنين باشا وكان رحمه الله يسكن وقتئذ فى مصر الجديدة ·

ودخل سموه على حسنين باشا يقول انه جاء لكى يقدم اعتذاره وقال حسنين ان هذا لا يكفى !·· ويجب أن يذهب سموه ويقدم اعتذاره لجلالة الملكة نازلى ·

وخرج الأمير محمد على وذهب بسيارته الى قصر القبة واستقبلته احدى الوصيفات · وقدم اعتذاره ورجا من الوصيفة أن تبلغ اعتذاره

هذا لجلالة الملكة نازلى مع التماسه مقابلتها ٠

وعادت الوصيفة تقول ان جلالة الملكة ترفض مقابلته !

وازداد الأمير محمد على رعبا وخوفا فعاد وزار حسنين مرة أخرى وسأله أن يتوسط لدى الملكة نازلى لكى ترضى بمقابلته ولكنها أصرت على الرفض ٠

ثم حدث بعد ذلك أن تقابل مع الملكة نازلى عند الأميرة نعمت مختار ٠ وانتهزت نازلى الفرصة لكى تهزأ منه فقالت له :

ـ ان حسنين باشا ليس عشيقى كما تقول ٠ لا لأننى لا أريد أن أكون عشيقة له بل لأنه هو يرفض أن يكون عشيقا لى !

وراح صاحب السمو الملكى يعتذر ويعتذر وينحنى أمام الملكة نازلى ويردد عبارات الاسف والندم والاعتذار !

وكان من نتائج هذا الدرس الذى أعطاه اياه حسنين باشا أن مكث الامير محمد على ستة أشهر لا يفتح فمه بكلمة واحدة عن السراى وما يجرى فى السراى بل عن أى شخص كبير أو صغير فى السراى !

كذلك كان ـ رحمه الله ـ كلما سمع حكاية أو كلمة تروى أو تقال فى نادى محمد على عن حسنين باشا أسرع يبلغه اياها وكيف أن الوزير فلان يقول عنك ـ أى عن حسنين ـ كذا وكذا ، وكيف أن النبيل علان يقول كيت وكيت !

★ ★ ★

وذات يوم ذهب الامير محمد على وزار حسنين باشا وقال له :

ـ لقد انتهزت فرصة مقابلتى أمس لجلالة الملك وقلت له انك أشرف رجل فى مصر وان وجودك فى السراى نعمة من الله !

وقال حسنين :

ـ كتر خير أفندينا !٠٠ لقد خربت بيتى !

وانزعج أفندينا محمد على وقال :

ـ كيف خربت بيتك وأنا مدحت فيك ؟

قال حسنين :

ـ هذا بالضبط ما لا أريده · لأن مدحك يضرني ويؤذيني !

وسأله الأمير في لهفة ماذا يفعل الآن لكي يصلح خطأه ؟

وقال له حسنين :

ـ اذهب الى الملك وقل له انك اكتشفت انني رجل خائن ويجب التخلص مني وطردي من السراي ·

واستعاذ الأمير محمد علي بالله من الشيطان الرجيم وقال انه لا يستطيع أن يقول هذا !

ولكن حسنين قال :

ـ اذا أردت حقيقة أن تنفعني وتصلح خطأك فاذهب للملك وقل له هذا ···

★ ★ ★

وعاد الأمير وطلب مقابلة فاروق ··· وقال له :

ـ لقد قلت لجلالتكم في مقابلتي الأخيرة أن حسنين مخلص ولكن جاءتني بعد ذلك معلومات أكيدة تثبت انه خائن وغير مخلص ·

وكان فاروق يستمع اليه وهو يكتم ضحكة بصعوبة ·· لأن حسنين كان أطلعه أولا بأول على كل ما دار بينه وبين ولي العهد الأمير محمد علي توفيق ؟

وخرج محمد علي من مقابلة الملك وذهب الى حسنين وقال له :

ـ لقد فعلت كل ما طلبته مني ···

ثم سكت قليلا قبل أن يقول :

ـ ولكني لا أفهمك ··· عندما اشتمك تدعوني الى المبارزة ··· وعندما أمدحك تقول اني خربت بيتك ··· قل لي ··· ماذا تريد ؟

★ ★ ★

وجلس حسنين يرحمه الله يروي هذه التفاصيل في يوم الاثنين ١٨ ابريل عام ١٩٤٠ ويعود بنا وبالذاكرة الى حوادث عامي ١٩٣٧ و١٩٣٨ ثم قال :

ـ ولم أجب طبعا على سؤال الامير محمد علي وهو ماذا أريد ··· ولم أقل له ان كل ما كنت أريده هو أن أسخر منه وأكشفه أمام

الملك وأمام أمراء الأسرة وكيف انه رجل لا أخلاق ولا قيمة له مطلقا وأن « كلمة توديه ٠٠ وكلمة تجيبه » ٠

ومع أن الأمراء كانوا جميعـــا يكرهون الأمير محمد على توفيق بسبب بخله الشديد وتزمته واستعلائه عليهم الا أن الامير عمـــر طوسن انتهز مع ذلك أول فرصة تقابل فيها مع حسنين باشا ليقول له أن الامراء زعلانين منه أى من حسنين ٠٠٠ اذ كيف يجرؤ مصرى على أن يطلب أميرا ووليا للعهد للمبارزة ؟!

أما فاروق فانه لم يذكر لحسنين شـــيئا عن غضب وزعل الامراء منه ٠

وكان كل ما قاله له :

ـ ألا تعرف يا حسنين أن القانون يحمى ولى العهـــد وان ذاته مصونة لا تمس ؟

وأجاب حسنين :

ـ أعرف هذا يا مولانا ٠٠٠ ولكن عندما يشتم ولى العهد الناس فانه بذلك يتنازل عن مركزه وحصانته ويصبح من حقى أن أرد عليه شتائمه وأن أعامله كأى فرد مساو لى فى الحقوق !

★ ★ ★

والآن وقد لخصنا فى الفصول السابقة قصة الملكة نازلى وأحمـــد محمد حسنين خلال السنوات الثلاث التى تلت وفاة الملك أحمد فؤاد ٠٠ وعرضنا للحوادث والمناورات والتمثيليات التى تخللت فصـــول القصة ٠

الآن نصل بالقراء الى أوائل عام ١٩٤٠ وكان الموقف كما يأتى :

عرف الناس أن هناك شيئا ما ، أو علاقة ما بين ملكة مصر نازلى وبين أحمد حسنين باشا وأصبحت هذه العلاقة موضوع حديث فى النوادى والمجتمعات والسهرات ٠

أما الخاصة ـ دوائر القصر وأوساط الاسرة المالكة ـ فكانت تعرف أن نازلى هى التى تحب حسنين و « تجرى وراه » وتعرض نفســـها عليه وتطلبه زوجا لها وتقدم له مئات الافدنة من أراضيها هدية خالصة

.. وانه يرفض ويعرض عنها ويتأبى عليها ويستغفر الله ويعلن انه رجل يكره الحرام ويخاف الله ولا يمكنه ان يقرب امرأة الا على شرع الله وسنة الرسول !

وان الملـكة نازلى ثارت وهددت .. ثم حاولت أن تثير الغيرة فى صـدر حسنين ولـكنه لم يأبه ولم يتحرك .. وان الملك فاروق كان يفزع الى حسنين ويطلب منه النجدة فى كل مرة يخشى فيها أن تخرج أمه الملكة على العرف المألوف ومقامها السامى كأرملة ملك وأم ملك .. وان حسنين يلبى نداء الملك ويسرع الى نازلى ويفلح فى تهدئتها وكبح جماح أعصابها الثائرة .

.. وان نازلى صارحت صاحب السمو الامير محمد على ولى العهد بأنها عرضت نفسها عشيقة على حسنين وان حسنين رفض ..

.. وان الامير محمد على آمن بنبل وشرف حسنين وان وجوده فى خدمة الملك وفى السراى نعمة من الله ..

.. وان فاروق نفسه حاول ان يجد شيئا ضد حسنين .. كأن يضبطه مثـلا فى موقف مريب مع أمه نازلى فلم يوفق . بل على العكس ..

.. فقد وجدهما فى خلوة وراء باب مغلق فى دار حسنين ..

.. ولكن !.. كان حسنين يتلو القرآن الكريم من مصحف بين يديه بينما كانت نازلى جالسة أمامه فى خشوع تصغى لآيات الذكر الحكيم !؟ وهكذا بدا حسنين أمام الملك وولى العهد وأمراء وأميرات البيت المالك كرجل شريف أبى النفس مخلص لمولاه والبيت المالك ، حريص على سمعة البيت وكرامة الملك .

وانه .. أهل للثقة .. ولولاه ولولا نفوذه على الملكة نازلى لكانت نازلى هذه قد خرجت على العرف والتقاليد وأثارت فضائح لا حد لها .

كان هذا رأى الجميع ما عدا قلة لا تذكر . ومن بينها مراد محسن باشا ناظر الخاصة الذى كان ينافس حسـنين على نفوذه فى القصر ويغار منه ويتهمه بأنه ممثل قدير وانه يلعب دوره مع الملكة نازلى بمهارة يحسده عليها يوسف وهبى !

والملك فاروق ؟! بماذا كان يشعر نحو أمينه الاول ورائده أحمد حسنين ؟..

قلت انه كان يلجأ الى حسنين فى كل مرة تثور فيها نازلى وينادى « الحقونى بحسنين » ! وقلت انه لم يجد ما يأخذه على حسنين .

ولكن ما من شك فى أنه بدأ ـ منذ ذلك التاريخ ـ يكره حسنين ! كان يكفى أن يسمع من فم أمه نفسها انها تحب حسنين وتريده .. وان حسنين يعرض عنها !

كان يكفى فاروق أن يسمع من أمه هـذا الكلام لكى يكره هـذا الرجل الذى تريده أمه والذى « تمرمط » من أجله كرامتها وسمعتها . حتى ولو كان موقف هذا الرجل لا غبار عليه .

من يومها بدأ فاروق يكره حسنين ..

يكرهه ويخشاه فى وقت واحد .

يكرهه للسبب الذى ذكرته .

ويخشاه لأنه محتاج اليه لأنه الرجل الوحيد القـــادر على كبح جماح أمه الملكة نازلى .. والرجل الوحيد الذى كانت تخشاه نازلى وتطيعه وتصدع بأمره وكان فاروق لا يزال يومئذ حريصا على سمعة أمه وسمعة القصر وسمعة البيت المالك .. بل وسمعة مصر !..

وكان حسنين وحده ـ هكذا كان فاروق يؤمن ـ كان حسنين وحده وبيده القويه الممسكة بزمام نازلى وأعصابها ، القادر على انقاذ هذه السمعات جميعا !

ومن هنا وبسبب هذا الخوف كان فاروق يعمل لحسنين حسابا .. وينزل الى حد كبير على رأيه ومشورته ويحرص على ألا يفعل شـيئا لا يرضى عنه حسنين .. وان فعل أوصى من حوله أن يكتموا الامر عن حسنين !..

واذا سمع حسنين بما حدث أسرع اليه فاروق يعتذر ويعد بألا يعود مرة أخرى الى ما فعل !

وهكذا يمكن للمؤرخ الساخر أن يزعم ـ وهو على حق ـ ان علاقة نازلى بحسنين وسيطرته عليها ونتيجة هذا وهى خوف فاروق من

أمينه الاول ــ كان هذا كله نعمة « على مصر » نعمة لأجل محدود !٠٠ اذ أنها أخرت انفجار الفضائح وانفجار فاروق بضع سنوات ٠

ولقد توفى حسنين فى ٩ فبراير عام ١٩٤٦ وقبل وفاة حسنين ، وقبل فبراير ١٩٤٦ لم يكن فاروق يغشى أندية القمار ويمضى سهراته حتى مطلع الفجر فى أندية الميسر ولم يكن يزور الراقصات فى دورهن ٠٠

ولم يكن قد تمادى فى السرقة والاختلاس من أموال الدولة ٠٠

ولم يكن يهرب أمواله الى الخارج ٠٠ ولم يكن قد تمادى فى الاعتداء على الاعراض وانتهاك الحرمات والعبث بكل مقدسات البلاد ٠

ولم يكن اسم مصر قد أمسى فى الحضيض ٠٠

ولم تكن صحف العالم ــ وصحف أمريكا بوجه خاص ــ قد نشرت تقول ان رجال الاعمال أصبحوا ينفرون من ممارسة أى نشاط تجارى أو صناعى فى مصر لأن جميع من فى مصر من أكبر عظيم فيها فما دون يطلبون « العمولة أو البقشيش » ! نعم ! شىء من هذا لم يكن قد حدث قبل وفاة حسنين لأن حسنين ــ رحمه الله ــ كان « الفرملة » الوحيدة القادرة على وقف فاروق ٠٠

وبعد وفاته انطلق فاروق ! أما قبل وفاته فقد كان كل ما يفعله فاروق هو التردد على بعض المطاعم فى شارع الهرم والحلمية ٠٠ حيث الرقص والموسيقى ومن ذلك فانه لم ينج من تقريع حسنين ٠ وقد اضطر فاروق أن يوعز الى أحد أفراد حاشيته أو خاصته أن يضع كتابا ــ يطبعه وينشره ــ ويقول فيه « مولانا جلالة الملك فاروق » ليس الملك الوحيد الذى يزور المطاعم العامة لأن ملك يوغوسلافيا وملك اليونان يترددان فى معظم سهرات الاسبوع على مطعم الأوبرج بشارع الاهرام ٠ وكان الملكان المذكوران يقيمان يومئذ فى القاهرة بعد فرارهما من بلديهما اثر احتلال الالمان ليوغوسلافيا واليونان ٠

وقال لى زميل ــ كان متصلا يومئذ بالقصر ورجاله ، ان فاروق كان يريد أن يطلق زوجته «الملكة فريدة» منذ عام ١٩٤٢ لولا معارضة حسنين ٠٠ وانه ــ أى فاروق ــ هم أكثر من مرة بطلاق فريدة ولكن

حسنين وقف أمامه يعارض ويبصره بالنتائج الوخيمة التى تنجم عن هذا الطلاق ٠

ولكنه طلقها بعد وفاة حسنين !

وأذهب الى أبعد من هذا فأقول انه لو كان حسنين قد امتد به الأجل وعاش لما سافرت الملكة نازلى وبناتها الى أوروبا وأمريكا لتثيرمن المشاكل والفضائح ما زلزل قوائم العرش وهى لم تسافر الا لأنها لم تعد تطيق الحياة فى مصر بعد وفاة حسنين !

ولما وقعت المخازى التى جعلت اسم مصر سبة فى الأفواه ومنها مثلا ما ارتكب من جنايات فى حق الوطن وحق الجيش أبان حرب فلسطين ٠٠ ولكن حسنين لم يعش وكأنما موته كان دقة الناقوس التى أنذرت بقرب هبوب العاصفة على العرش وأسرة محمد على !

حقائق سريعة ٠٠ موجزة مركزة ٠ فيها الرد على الذين زعموا أو يزعمون أن حسنين كان المسئول عن فسق وفجور فاروق ٠٠ وانه كان عامل الانحلال والفساد فى حكم فاروق ٠٠ وأنا هنا ــ فى هذه الفصول ــ أقول ما للرجل وما عليه ٠ ومع ذلك فأنا أعرف اننى قد أغضبت أصدقاء حسنين ٠٠ وأغضبت خصوم حسنين ! أغضبتهؤلاء لأننى أنصفت الحقيقة ولم أهتف مع الهاتفين بأن حسنين كان بطلا وشهيدا وقديسا مبرأ من كل عيب !

وأغضبت أولئك لأننى فندت اتهامهم وهو أن حسنين كان المسئول الاول عن فساد فاروق ! ولأننى قلت ان حسنين كان مرشدا وهاديا وقائدا لا قوادا لفاروق !

* * *

ونصل الآن الى أوائل عام ١٩٤٠ ٠٠

وفى العام المذكور عرف حسنين المطربة أسمهان وأعجب بها كما قالت هى ٠٠ وكما أحس أصدقاؤه أو أعجب بصوتها فقط كما قال هو !٠٠

وكانت أسمهان ــ يوم عرفها حسنين ــ تقيم بفندق مينا هاوس ٠ وكان حسنين يزورها فى الفندق المذكور وكان اذا لم يجدها يترك

لها رسالة بخطه ٠٠ وعرف نزلاء الفندق والموظفون أن كبير رجال حاشية الملك فاروق يتردد على المطربة الشابة ٠ وكان طبيعيا ان يخرج هذا الخبر من فندق مينا هاوس وينتشر هنا وهناك الى أن يصل الى القصر والذين فيه ! ودهش الذين يعرفون حسنين ويعرفون مبلغ حذره وحرصه وتكتمه ٠٠ دهشوا لقلة احتياطه ولعدم مبالاته ان يعرف الناس ان له علاقة بالمطربة أسمهان وذات مساء ـ وكان حسنين رحمه الله ـ جالسا فى غرفة مكتبه بقصر عابدين ـ انطلق صوت أسمهان باحدى أغنياتها المعروفة !

وروى لى حسنين نفسه التفاصيل فقال : وظننت أن أحد أجهزة الراديو العديدة فى السراى هى مصدر الصوت وأنها تنقله من محطة الاذاعة ٠٠٠ وانتهت الاغنية ٠٠ وأعقبتها أغنية أخرى لاسمهان ٠٠٠ ثم أغنية ثالثة ٠٠ عجبت وقلت ترى هل تذيع محطة الاذاعة هـذه الليلة برنامجا خاصا لاسمهان !! ولكن عندما انطلق صوت أسمهان بأغنية رابعة وخامسة شككت فى الامر وقمت من أمام المكتب ومشيت الى النافذة وأطللت منها فرأيت « جلالة الملك » واقفا وأمامه على مائدة صغيرة جهاز فوتوغراف والى جانبه أحد خـدم القصر يحمل بضع اسطوانات ٠٠٠ ورفع الملك رأسه ورآنى وقهقه ضاحكا وصاح :

ـ مبسوط يا حسنين ؟

* * *

وأدرك حسنين ان حكايته مع أسمهان أو اعجابه بصوتها كما كان يقول لا بد أن تكون قد وصلت الى مسامع الملكة نازلى ٠٠٠

فهل جزع أو اهتم ؟ كلا ! بل استمر فى اعجابه وفى تردده عـلى أسمهان ٠٠٠

وليس لهذا التصرف من جانبه سوى تفسير واحد وهو انه كان يتعمد اثارة غيرة الملكة نازلى ٠٠٠ جريا على سياسـته معها وهى اثارتها واثارة غيرتها ووجدها والتياعها اليه من وقت الى آخر والا ـ وكان رحمـه الله يعرف طبيعة الملـكة نازلى حق المعـرفة ـ فان نار الشوق التى فى صدرها لا تلبث أن تهدأ ثم تبرد وتخمد وتموت !

ولم يكن موت هذه النار من برنامج سياسته !
وذات يوم جاءتنى أسمهان تشكو وتقول :
ـ ايه حكاية صاحبك ده ؟
قلت :
ـ صاحبى مين ؟
قالت :
ـ صاحبك اللى اسمه حسنين !
ضحكت أنا وقلت :
ـ دلوقتى بقى اسمه « صاحبى اللى اسمه حسنين » !··
وعمل ايه صاحبى اللى اسمه حسنين ؟··
قالت :
ـ كلمنى اليوم بالتليفون ومن غير بونجور أو سعيدة أو سلامات قال « قولى لى يا مدام أطرش · هل صحيح اننى أزورك فى بيتك ؟ » وقبل ان أستطيع الرد أو سؤاله عن ايه الحكاية ··· عاد يسألنى ···
ـ وهل صحيح انك بتزورينى فى بيتى ؟!··
وقبل أن أرد مضى يجيب هو على نفسه ويقول ···
ـ مش كده ··· لا أنا أزورك ·· ولا أنت تزورينى !·· الحمد لله ·· متشكر يا مدام أطرش !·· وأنهى المحادثة وأقفل التليفون !
وضحكت أنا طويلا وقلت لها :
ـ ولم تفهمى ايه الحكاية ؟
قالت :
ـ لا ·· لم أفهم ؟
قلت :
ـ حسنين كان يكلمك والى جانبه شخص آخر لا بد انه كان يحقق معه فى علاقتك به ·· ولقد أراد حسنين أن يبرىء نفسه من هذه التهمة فطلبك فى التليفون ووجه اليك الاسئلة وتولى هو الاجابة عليها ولكن بطريقة يفهم منها الشخص المذكور انها اجابتك أنت ··

وصاحت أسمهان غاضبة ··

ـ تهمة !·· معرفتي تهمة ؟··

وانطلقت رحمها الله تسب وتشتم ··· ثم كأنها تذكرت شيئا كانت نسيته فسألتني ··

ـ ومن يكون هذا الشخص الذى يحقق مع حسنين ؟

قلت :

ـ الملكة نازلى

وزال في الحال غضب أسمهان · وابتسمت غبطة وسرورا !·· فقد أرضى كبرياءها ان تكون غريمتها التى تغار منها صاحبة الجلالة الملكة نازلى ·

واضطر حسنين بعدئذ أن يقتصد فى اعجابه بأسمهان وان يكف عن زيارتها في دارها واستقبالها فى داره ···

وقابلت أسمهان هذا الفتور من جانب حسنين بعدم المبالاة · أو على الاقل تظاهرت بعدم المبالاة ومع ذلك فقد كان لا يمر شهر دون أن يتحدث الاثنان معا بالتليفون ··· وكان هذا الحديث بالتليفون يطول ساعات ·

كان يسمع لها مثلا أغنية جديدة من الاذاعة فيطلبها فى دارها بالتليفون ويبدى اعجابه بالاغنية ··· أو يشرح لها ما فى الاغنية من قوة أو ضعف ·· ويقترح عليها كذا وكيت ·· وقال لها ذات مرة أن صوتها هو أصلح صوت لغناء قصائد المرحوم الشيخ على محمود · بل انها تغنى قصيدة :

(يا نسيم الصبا تحمل سلامى) خيرا مما يغنيها الشيخ على محمود نفسه !

وكانت أسمهان تلقاه مثلا في حفلة ساهرة تغنى فيها ويكون هو بين المدعوين اليها · ثم تلاحظ أنه غادر الحفلة قبل نهايتها ·· فتعود الى مسكنها وتطلبه بالتليفون لتعاتبه وتسأله هل صوتها لم يعد يعجبه والا فلماذا غادر الحفلة قبل أن يسمع الوصلة الاخيرة ؟!

وهكذا ··· ولكنهما كفا عن تبادل الزيارات ··· ومع ذلك فان

الملكة نازلى لم تكن مطمئنـــة تماما الى وفاء حسنين ٠٠٠ ولم تكن غيرتها وشكوكها تهدأ يوما الا لتثور أياما ٠ وذلك لان حسنين لم يكن (أولا) حريصا على اطمئنان الملكة نازلى وثقتها فى وفائه ٠ بل العكس هو الصحيح ٠ أى أنه كان حريصا على أن يثير دائما غيرتهـا عليـــه وشكها فى اخلاصه ووفائه ٠٠ ولأنه (ثانيا) كان يجتاز مرحلة السن الحرجة التى يمر بها كل رجل وامرأة ٠ وكان رحمه الله يومئذ فى الخمسين من عمره ٠٠

وكان حسنين طول عمره موضع اعجاب النساء ٠ فقد كان فيه كل ما يعجب المرأة ٠٠ كان ممشوق القامة ، حلو الحـــديث حسن الهندام ٠٠ جذابا ، مؤدبا ٠٠٠ اذا أقبل على سيدة يتحدث معها خيل اليها ان حسنين لا يرى سواها ولا يهتم بسواها ٠٠٠ وكان الى جانب هذا رياضيا ممتازا وبطلا مبرزا من أبطال السيف ، ورحالة مشهورا جاب مجاهل الصحراء وجابه أخطارها واكتشف واحة أو واحتـــين ودوى نبأ اكتشافاته فى جوانب العالم وكرمته الدول والهيئـــات العلمية العالمية ٠٠ ونال من الاوسمة والنياشين الاجنبية مالم ينل مصرى فى مثل سنه ٠

وكانت ثقافته واسعة متعددة الالوان ٠ كان يستطيع ان يتحدث بسهولة وانطلاق فى ــ مثلا ــ الشعر العربى القديم والشعر العربى الحديث ٠٠٠ وفى المسرح ٠٠٠ والفرق بين المدرسة الانجليزية فى التمثيل والمدرســـة الفرنسية ٠٠٠ وفى الصيد والقنص ٠٠ وفى الطيران ٠٠٠ وكان يتحدث فى « الموضة » وتطوراتهـــا ٠٠٠ وكان يمكنه أن يناقش ــ وعلى قدم المساواة ــ أية سيدة خبيرة فى الازياء !

لم يكن عجيبا اذن أن تقبل عليه السيدات ٠٠٠ وان يلقى عندهن من الحظوة والقبول ما لا يلقاه كثير من الرجال !

وقد قالت عنه ابنة رامزى ماكدونالد زعيم حزب العمال السابق ورئيس أول وزارة بريطانية للعمال ٠٠٠ قالت عن حسنين انه أجمل رجل قابلته فى حياتها ٠

وقالت عنه الرحالة الانجليزية روزويتا فوربس انه ســاحر خطر مخيف !

كان يمكنه اذن وبحكم منصبه الرفيع وبفضل الاوساط والبيئات النى يتحرك فيها .. كان يمكنه أن يختار أى عدد يشاء من الصداقات والصـديقات من بين ما نسميهن (سيدات الطبقة الراقيـة) ولكن حسنين كان « ذواقة » وكان ذوقه شعبيا أصيلا !

كان يجد راحة ومتعة ما بعدهما راحة ومتعة فى الجلوس ـ فى غير كلفة ـ مع بنات الشعب من الراقصات والمغنيات !

وكان حديثه ممتعا حقا وهو يشرح لون الجمال أو « الحلاوة » فى كل منهن !..

ما أجمل المطربة ل ... مثلا ما أجملهـا لو لبست الملاية اللف وعقصت منـديل الظرافة على جبينها فوق الحاجبـين ... ودقات « شبشبها » مع رنة الخلخال !

ويحاول رحمه الله أن يقنع المطربة المذكورة بلبس الملاية اللف ومن تحتها القميص التوللى !

وهكذا ... دخلت أسمهان ثم خرجت من حياته ولو الى حين !

ودخل معها فى نفس الوقت عدد عديد من المغنيات والراقصات .

وأمسى رجال القصر والحاشية يتندرون « بغزوات » حسنين ... مع الراقصة فلانة أو المطربة علانة .

ووجد فاروق فى هذه القصص مادة يتشفى بها من أمه الملكة نازلى التى جحدت ذكرى أبيه الملك أحمد فؤاد ... وفرطت فى واجبات مقامها السامى بصفتها أم ملك مصر .

مضى فاروق يتشفى ـ ولم يدر أنه يخدم مصلحة حسنين بنقل هذه الاخبار الى أمه الملكة نازلى .

وأخيرا فاضت كأس الصبر ... وحزمت الملكة نازلى حقائبهـا وسافرت غاضبة ثائرة الى فلسطين ...

ولم يكن فى وسعها ـ والحرب العالمية الثانية قائمة ـ أن تسافر الى أوروبا .

سافرت اذن الى فلسطين وأقامت فى القدس بفندق الملك داود .. وكان هذا فى أواخر عام ١٩٤٢ .

وطالت غيبتها عن مصر ·· وبدأت الاخبار ترد على القصر وكيف ان صاحبة الجلالة نازلى ملكة مصر أمضت السهرة فى رقص متواصل مع بعض الضباط الانجليز ··

وكنا ـ كما قلت ـ فى زمن الحرب ··· وكانت القـــدس مملوءة بالضباط الشبان الانجليز !

ومرة أخرى لجأ فاروق الى حسنين وطلب منه ان ينقذ الموقف وان يسافر الى القدس ويعود ومعه الملكة نازلى ···

ولكن حسنين رفض فى هذه المرة ان يلبى نداء « مولاه » وينقذ الموقف · واعتذر من عدم السفر بأسباب شتى لم يكن من بينهـــا السبب الصحيح ··

وكان السبب الصحيح لامتناعه عن السفر الى القدس هو خوفه من أن يقابل أسمهان فى فندق الملك داود فان أسمهان كانت قد عادت الى زوجها حسن الاطرش أمير جبل الدروز وعقد قران الاثنين فى شهر أغسطس ١٩٤١ فى حفلة كبيرة أقيمت فى دمشق وشهدها الجنرال كاترو ··

وكانت أسمهان تضيق بالحياة مع زوجها ··· وبالحياة فى جبــل الدروز ··· ومن ثم كانت تقوم برحلات عديدة فى كل شهر تقريبا الى القدس وبيروت ··· وخصوصا القدس وكانت تختـــار الاقامة بفندق الملك داود ·

وكان حسنين يعرف هذا ·· ومن هنا اعتذر من عدم السفر الى القدس · والا فماذا يكون الموقف أو ماذا يكون موقفه وماذا يفعل اذا التقى بأسمهان ؟·· هل يتجاهلها ؟·· أو يحييها كما يجب أن يحيى الصديق صديقه ؟!

وماذا يكون موقفه اذا وجد نفسه فى احدى قاعات الفندق ··· أو فى قاعة الرقص مع نازلى ملكة مصر ··· وأسمهان أميرة جبـــل الدروز ؟

وكانت أسمهان اذا دار الشراب برأسـها قادرة على عمـــل كل شيء ··· جسورة جريئة لا تهاب أحدا ولا تبالى بشيء ·

وكان حسنين يعرف هذا . ومن هنا رفض ان يسافر لانه خاف من أن تنتهز أسمهان فرصة وجوده ووجود الملكة نازلى لكى تفتح «محضر تحقيق» مع نازلى ... تحقق فيه معها فى موضوع «محضر التحقيق» الذى كانت جلالتها أجرته بشأنها مع حسنين ؟!

وتظهر الحقيقة ويقع حسنين بين مطرقة الملكة نازلى وسندان أسمهان !

وهكذا اعتذر حسنين من عدم السفر ... ولكنه اقترح على الملك فاروق ان يعهد بهذه المهمة الى « رفعة » رئيس الوزراء مصطفى النحاس « باشا » وقال ان رفعته هو خير من يصلح للقيام بهذه المهمة لأن جلالة الملكة نازلى وفدية (هكذا !) مثل المرحوم والدها عبد الرحيم صبرى باشا الذى كان من أخلص الوفديين وأصدقهم تأييدا للزعيم سعد زغلول ... ولانها تحترم النحاس « باشا » وتكن له صداقة أكيدة ... ومن هنا لن ترفض لرفعته طلبا أو مشورة .

وفوتح مصطفى النحاس «باشا» فى الأمر ... وسر «رفعته» سرورا كبيرا وقال انه يعد هذا التكليف من جانب « الفاروق » شرفا وثقة يعتز بهما مدى الحياة !

وسافر السيد مصطفى النحاس ومعه السيدة حرمه الى القدس .. ونجح فى مهمته واستجابت الملكة نازلى فعلا لرجائه وعادت الى مصر ..

عادت ولكن على شرط ... ولا أعرف ما اذا كانت نازلى قد فاتحت النحاس «باشا» فى موضوع (شرطها) هذا أو لم تفاتحه .. ولكنى أعرف انها لم تكد تعود الى مصر حتى فاتحت ابنها الملك فاروق فى أمر زواجها برئيس ديوانه أحمد محمد حسنين .. وطلبت منه ان يصدر أمره الى حسنين بأن يتزوجها ! لأن حسنين ــ كما سبق ان قدمت ــ كان صارحها بأنه لا يمكن ان يتزوجها خوفا من أن يطرده الملك من خدمته وهو رجل فقير ... الى آخره .

ولكن اذا أمره الملك أن يتزوجها فلا خوف عليه اذن من الطرد .. وهل يطرد فاروق زوج أمه ؟!

ولم يشأ فاروق ان يتقهقر أمام أمه نازلى أو يسلم لها بطلبها دون

قيد أو شرط ٠٠ لأنه وافق ولكن بشرط ٠٠

وهذا الشرط ان تكتفى نازلى بعقد زواج عرفى

وهكذا كان ٠ وتزوج أحمد حسنين ابن المرحوم الشيخ محمد حسنين العالم الازهرى بالملكة نازلى أرملة الملك أحمد فؤاد ووالدة صاحب الجلالة فاروق الاول ملك مصر ٠٠

وكان أحد شهود عقد الزواج المرحوم الاستاذ سليمان نجيب مدير دار الاوبرا ٠٠٠ وكان حسنين يثق كل الثقة فى حذره وكتمانه ٠٠ ومثله الملك فاروق ٠

ولقد حاولت أن أعرف اسم الشاهد أو الشهود الآخرين ٠٠٠ وكذلك اسم المحامى الشرعى الذى عقد هذا الزواج العرفى فلم أوفق ٠٠

وربما كان الشاهد الآخر هو المرحوم مراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية ٠٠ أو لعله كان أحد خدم فاروق المقربين ٠٠

ربما ٠٠ وربما ٠ ولكنى لا أستطيع أن أقطع بقول ٠

★★★

واختارت الملكة نازلى سراى الدقى التى ورثتها عن أبيها عبدالرحيم صبرى لتكون دارا للزوجية ٠٠ تقابل فيها «عريسها» حسنين ! لأن نازلى ــ ولعلها المرة الاولى ــ خجلت أو استحيت من ابنها أن تقابل زوجها فى جناحها بقصر القبة أو بقصر عابدين حيث كان يجتمع بها زوجها الاول الراحل ٠٠ أحمد فؤاد !

ولم تمض شهور معدودات على عقد هذا الزواج حتى بدت أولى ثمراته ٠٠ يوم رشح فاروق رئيس ديوانه أحمد حسنين رئيسا للوزارة الجديدة التى كان مقدرا لها أن تخلف وزارة النحاس باشا فى شهر ابريل عام ١٩٤٣ ٠

وسوف أتناول بالتفصيل هذه المرحلة من حياة أحمد حسنين حين أعرض للجانب السياسى منها واكتفى الآن بعرض رءوس المسائل أو العناوين :

١ ــ قامت وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢ برئاسة مصطفى النحاس «باشا»

على كره من الملك فاروق وحسنين الذى كان يعد حادث ٤ فبراير لطمة على وجهه وفشلا مخجلا لسياسته كرئيس لديوان الملك ٠

٢ ـ أقسم حسنين لفاروق على أن يرد له اعتباره ٠٠٠ وان ينتقم من السفير البريطانى مايلز لامبسون ٠٠ ومن رئيس الوفد مصطفى النحاس ٠

٣ ـ قدر حسنين ان الفرصة مواتية لاقالة مصطفى النحاس ووزارته من الحكم ٠٠ فى ابريل عام ١٩٤٣ ٠

٤ ـ قال فاروق لحسنين باشا انه يطلق يده فى الموضوع وان يعهد اليه شخصيا بتشكيل الوزارة الجديدة التى تقوم بالحكم بعد اقالة مصطفى النحاس باشا ووزارته ٠

٥ ـ اختار حسنين باشا فعلا أعضاء وزارته ٠٠ وأعد كشفا بأسمائهم ٠٠

وبينما اجراءات الاقالة وتشكيل الوزارة الجديدة فى مراحلها الاخيرة ٠٠٠ كانت عيون الانجليز بالمرصاد !

واتصل الخبر بمايلز لامبسون ٠٠٠ وأبرق الى لندن بالتفاصيل ٠٠ وجاء الرد فورا من لندن فى شكل انذار وهو ان الحكومة البريطانية ترى أن الحرب توشك أن تدخل فى مرحلة دقيقة حاسمة وهى غزو أوروبا التى‌تحتلها جيوش‌هتلر ومن ثم فانها ـ أى لندن ـ لا تسمح باجراء أى تغيير أو تعديل فى الاوضاع القائمة فى مصر ٠٠ وتنصح ببقاء وزارة الوفد ومصطفى النحاس باشا فى الحكم !

وحمل السفير البريطانى مايلز لامبسون هذا الانذار الى الملك فاروق ٠٠

وطويت وزارة حسنين باشا !

* * *

وكنت أود أن أقف بالحديث هنا عن قصة نازلى وحسنبن ٠٠ وحسنين وأسمهان ٠٠ وأن أنتقل الى الجانب السياسى من حياة أحمد حسنين باشا ٠٠

ولكننى وقد عرضت لعلاقة حسنين بأسمهان ٠٠ أرى أن أمضى فى

القصة الى نهايتها ٠٠ وكيف ان أسمهان عادت واتصلت بحسنين فى عام ١٩٤٤ ٠٠ وما كان لهذا الاتصال من أثر فى حياة زوجها المرحوم أحمد سالم ٠٠٠ وبسببه أطلق عليها الرصاص ثم حاول الانتحار ٠٠ الى آخره ٠٠

وما كان لهذا كله من أثر فى العلاقة بين الزوجين الملكة نازلى وحسنين ٠٠

والقال والقيل اللذان أحاطا بحسنين عقب حادثة أحمد سالم وأسمهان ٠٠

ووزارة الوفد وكيف أرادت أن تستغل هذه « الفضيحة » ضد عدوها رئيس الديوان أحمد حسنين ؟

وهل كان هذا كله ـ أى لحكاية حسنين وأسمهان وأحمد سالم ـ هل كان سببا لعدم اختيار حسنين باشا لرئاسة الوزارة التى خلفت وزارة النحاس باشا التى أقيلت فى ٨ اكتوبر ١٩٤٤ ؟ مع انه كان المرشح الوحيد لرئاسة الوزارة قبل ذلك بعام أو نحو ذلك فى ابريل سنة ١٩٤٣ ٠

كانت أسمهان قد ضاقت بحياة الزوجية وقيودها ٠ وضاقت بغيرة زوجها حسن الاطرش ٠ وضاقت بالحياة المملة الرتيبة فى قصر زوجها بالسويداء عاصمة جبل الدروز ٠٠ ومن هنا راحت تلتمس أوهى الاسباب للسفر حينا الى بيروت وحينا الى القدس ٠٠ حيث الحياة مرحة طليقة لاقيود ولا رقابة زوج محب غيور !٠٠

بل وأمكنها أن تقنع زوجها الامير حسن الاطرش بالحضور معها الى مصر مرة ومرتين ٠ ونشرت الصحف خبر حضور سعادة الامير حسن الاطرش محافظ جبل الدروز ومعه زوجته الاميرة آمال الاطرش !

وآمال هو اسمها الحقيقى ٠٠ أما « أسمهان » فاسم مستعار لدنيا المسرح والغناء ٠

★ ★ ★

عادت اذن الى مصر ٠٠ فى صحبة زوجها وفى يدها جواز سفر

دبلوماسي أعطتهـا اياه سلطة الانتداب الفرنسي في سـوريا بصفتها زوجة زعيم درزي كبير ومحافظ لجبل الدروز .

وكان الاستاذ زكي سـعد أحد مديري البنك الدولي الآن .. كان يومئذ مديرا لادارة الجوازات والجنسية .. وأنا أعرف ـ ومما سمعته منه ـ شخصيا ـ انه لم يكن يحسن الظن كثيرا بالمطربة أسمهان، وانه كان يعارض في اقامتها بمصر . وكان يرفض تجديد الاذن لها بالاقامة . بل وحدث مرة انه استمضى رئيس الوزراء والحـاكم العسكري العام ـ وكان يومئذ صاحب الدولة حسين سري باشا ـ استمضاه أمرا باخراج أسمهان من الديار المصرية .

وجاءتني أسمهان يومئذ تبكي ! وزرت « صاحب الدولة » رئيس الوزراء في مكتبه .. وتفضل الرجل يومها واسـتجاب لوساطتي وألغى أمر الاخراج وأمر وكيل وزارة الداخلية بتجديد اذن الاقامة لاسمهان لمدة عام !

وها هي ذي أسمهان تعود الى مصر .. والاستاذ زكي سـعد لا يستطيع أن يمنعها من الدخول . فقد عادت بصفتها زوجة لرجل له جاهه ونفوذه ومقامه الرسمي في قطر عربي شقيق .

وطابت لها الاقامة في مصر .. ولما عادت الى سوريا مع زوجهـا بعد الزيارة الاولى .. غادرت مصر وهي كارهة .

وفي الزيارة الثانية لمصر .. كانت اسمهان قد انتوت أمرا وهو ان لا تعود مع زوجها الى جبل الدروز ..

وطلبت منه أن يطلقها . ورفض هو الطلاق . وهنا فعلت ما كانت تفعله في كل مرة تريد فيها الطلاق .. وهو محاولة الانتحار وتناولت عددا كبيرا من أقراص الاسبيرين وطلقها زوجها حسن الاطرش .. وتركها في القاهرة وعاد وحده الى جبل الدروز .

وغاب عن أسمهان أن زواجها كان « حصانة » لها عنـد سلطات الامن العام وادارة الجوازات ... فلما طلقت سقطت عنها « الحصانة » المذكورة .

ولم يتردد الاستاذ زكي سـعد في أن يصدر أمره بخروجهـا من مصر .

وخرجت أسمهان من مصر ··· وسافرت الى القــــدس وأقامت كعادتها فى فندق الملك داود ·

وكانت تمضى أيامها فى التنقل بين بيروت « فندق سان جورج » وبين القدس ·· ولكنها لم تجرؤ على العودة الى سوريا أو جبـــــل الدروز لانها كانت تعلم ان زوجها السابق الامير حسن الاطرش حاقد عليها وانه صاحب نفوذ وسلطان وأتباع موالين مخلصين مطيعين طاعة عمياء ·

وان رصاصة طائشة ــ أو يقال عنها كذلك فى محضر التحقيق ــ قد تصيب منها مقتلا !

ومن هنا وزعت أيامها كما قلت بين القدس وبيروت ·· ولم يلبث المال الذى كان بيدها أن تبدد فقد كانت رحمهـــــا الله مسرفة كل الاسراف وجاء يوم عجزت فيه عن تسديد حساب الفندق ·

وحجزت ادارة فندق الملك داود على حقـــائب ثيابها واضــــطرت أسمهان أن تبيع الحلى القليلة التى كانت تقتنيها وان تقترض من هنا ومن هناك ···

★ ★ ★

وبينما هى فى هذه الورطة أو هذه المحنة زار القدس الاســــتاذ اســكندر الوهابى وكان يشغل يومئذ منصبا كبيرا بوزارة الخارجية المصرية ·· وأعجب بأسمهان وسحره صوتها وفتنتها ·

وكان طبيعيا أن ترجوه أسمهان أن يتوسط بما له من نفوذ فى أمر السماح لها بالعودة الى مصر ·· لكى تستأنف الغناء والعمل فى السينما ·· وعاد الاستاذ اسكندر الوهابى الى مصر وتحــــدث الى الاستاذ حسين سعيد خال الملكة فريدة ــ وكانت لا تزال يومئذ ملكة مصر ــ وأطنب له فى وصف أسمهان وفى جمال صوتها وفى فتنتها وسحرها ··· الخ ·

وكان الأستاذ حسين سعيد يشغل يومئذ منصب مدير ســتوديو مصر للسينما وسافر حسين سعيد الى القدس وقابل أسمهان ·

ووقع بدوره أسير فتنتها وسحر صوتها ·

ووقع معها ـ بالنيابة عن ستوديو مصر ـ عقدا للعمل فى الافلام التى تنتجها وتخرجها شركة مصر للسينما والتمثيل ونص فى العقد على أن أجر أسمهان عن عملها فى أول فيلم هو ثلاثة عشر ألف جنيه وهو مبلغ يزيد كثيرا على الاجر الذى كانت تحصل عليـــه كبيرات الممثلات والمطربات فى ذلك الوقت ٠

وعاد الاستاذ حسين سعيد الى القاهرة ليبذل مساعيه الحميدة من أجل الاذن لاسمهان بالعودة الى مصر وسمعنا يومئذ أنه بذل هــذه المساعى عند السيدة حرم « رفعة » رئيس الوزراء يومئذ مصطفى النحاس « باشا » ٠

ونترك القاهرة ٠٠ ونعود الى القدس ٠٠٠ حيث كانت أسمهان لا تزال مقيمة بفندق الملك داود فى انتظار وصول الاذن لها بالعودة الى مصر ٠

هذا وقد سددت ديونها للفندق من العربون السخى الذى حصلت عليه بموجب نصوص عقدها مع شركة مصر للسينما والتمثيل ٠

وذات يوم نزل بالفندق الاستاذ أحمد سالم والفنــــانة المعروفة تحية كاريوكا وكلاهما كان صديقا لاسمهان ٠

غير أن تحية لم تلبث أن غادرت القدس الى لبنان وحلب لاحيـــاء بعض حفلات الرقص التى كانت تعاقدت عليها ٠

وتركت أحمد سالم فى القدس ينتظر عودتها ٠٠٠ ولكنها عندما عادت من حلب وجدت أن أحمد سالم قد تزوج أسمهان بعقد زواج شرعى صحيح ٠

★ ★ ★

ونعود الآن الى القاهرة والى ادارة الجوازات والجنسية ٠٠٠ وجدت الادارة المذكورة أن أمامها طلبا قويا مؤيدا بأسباب قوية مشروعة ٠٠ هذه السيدة ـ أسمهان ـ كانت تعمل فى مصر وفى محطة الاذاعــة كمطربة محترفة ٠٠٠ وأفراد أسرتها ٠٠٠ والدتها وشقيقاها الاثنان يقيمون فى مصر ٠٠٠

٠٠٠ وبيدها عقد اتفـــاق على العمل مع شركة مصر للســـينما والتمثيل ٠٠

ثم هى أصبحت بموجب عقد شرعى صحيح زوجة لمصرى هو أحمد سالم « رحمه الله » .

وفوق هذا وذاك لا يمكن لها أن تغفل وساطة أو شفاعة السيدة حرم رئيس الوزراء .

وأخيرا لا آخرا بسبب قوى آخر لعله أقوى الاسباب وقد قص على الاستاذ زكى سعد نفسه هذه التفاصيل ونحن فى قطار القاهرة ـ دمياط ذات يوم فى صيف عام ١٩٤٥ . قال سيادته ـ وهو كما قدمت لم يكن يحسن الظن كثيرا بأسمهان ـ قال لى :

ـ كان فى امكانى ألا أقيم أى وزن لعقد أسمهان مع ستوديو مصر للسينما . وان أرفض الاذن لها بالعودة الى مصر .. كذلك لم يكن لزواجها من أحمد سالم أى وزن من الجهة القانونية لأن أسمهان رعية أجنبية والقانون القائم يومئذ لا يعترف بزواج المصرى من أجنبية الا بعد موافقة وزارتى العدل والداخلية .. فاذا لم يحصل الزوجان على هذه الموافقة فان زواجهما لا يمكن أن تترتب عليه أية نتائج بالنسبة لنا فى ادارة الجوازات والجنسية ..

ومضى الاستاذ زكى سعد فى حديثه وقال :

ـ كان يمكننى اذن أن أرفض الاذن لها بالدخول الى مصر ولكنى تلقيت تقريرا من قنصلية مصر بالقدس جاء فيه ان الامير حسن الاطرش أقام قناصة من الدروز على الحدود بين فلسطين وسوريا وأمرهم باطلاق الرصاص على زوجته السابقة أسمهان اذا هى حاولت العودة الى سوريا . وهذا الخطر القاتل قد يكمن لها كذلك عند حدود لبنان ـ فلسطين ! ولهذا السبب راجعت نفسى وضميرى اذ لم يكن فى استطاعتى أن أحكم بالنفى المؤبد على أسمهان فى القدس أو بالموت اذا هى حاولت مغادرة فلسطين الى سوريا أو لبنان ..

راجعت نفسى وسمحت لها بدخول مصر والاقامة فيها وقد زارتنى فى مكتبى عقب وصولها الى القاهرة فحدثتها طويلا عن السبب الحقيقى الذى حملنى على السماح لها بدخول مصر ثم قلت لها « اننا نعدك ابنة لمصر لانك أمضيت فيها من سنى حياتك أكثر مما أمضيت

فى وطنك ·· ولا مانع عندنا مطلقا من أن تقيمى فى مصر ما شاءت أو طابت لك الاقامة فيها ولكن على شرط أن لا تسمع عنك السلطات الا ما يسر » ·

★ ★ ★

وهكذا عادت أسمهان الى مصر ···

ولقد فهمت هى من حديث الاستاذ زكى سعد معها ان السماح لها بالعودة الى مصر لم يكن بسبب عقدها مع ستديو مصر ·· ولا بسبب زواجها من أحمد سالم ·· وكانت تزوجته لكى تستطيع العودة الى مصر ·

ولكن هذا الزواج لا دخل له بموضوع اقامتها فى مصر ·· ولا يقدم ولا يؤخر كما فهمت من حديث مدير الجوازات والجنسية ·

وكان لهذه الحقيقة أثر فى نفس أسمهان · أثر لم يلبث ان بدأ فى سلوكها مع زوجها أحمد سالم وذلك أن اسمهان بدأت تضيق بحياة الزوجية وبقيود الزواج وبغيرة أحمد سالم وبسؤاله أين كانت ؟·· وأين أمضت سهرتها ؟ ومع من ؟·· ومن الذى كان يحدثها بالتليفون ؟·· ولماذا قطعت حديثها التليفونى عندما دخل ؟!

وبدأ الخلاف والخصام بين الزوجين ··

وذات يوم ·· ذهبت أسمهان الى مسكن تحية كاريوكا تطلب مقابلتها ·

وكان طبيعياً ان تعجب تحية وتدهش ·· ما سر هذه الزيارة وما وراءها ؟··

لقد كانت آخر مقابلة بينهما ـ بين تحية وأسمهان ـ بفندق الملك داود بالقدس يوم عادت تحية من حلب «سوريا» ووجدت أسمهان قد اختطفت منها أحمد سالم وتزوجته ··

وكان شتم وسب وخصام بين أسمهان وتحية !

وها هى أسمهان تزور تحية ·· وتطلب أن تقابلها ! وتحية طيبة القلب ·· ولقد رحبت باسمهان وأحسنت استقبالها ·

وقالت أسمهان :

ـ عاوزه منك خدمة ··
ـ بكل سرور ··
قالت :
ـ عاوزه تطلبى أحمد سالم اليوم بالتليفون فى الساعة كذا ·· وسوف أرد أنا على التليفون ·· وتطلبى منى أن تكلمى زوجى أحمد سالم ··

وشرحت أسمهان لتحية السر والسبب ··

ووافقت تحية ·· وأية امرأة لا توافق فى مثل ظروفها على السخرية والهزء من رجل كان تخلى عنها من أجل امرأة أخرى ··

وكانت أسمهان وأحمد سالم يعيشان معا فى ذلك الوقت فى « فيللا » استأجرتها أسمهان بشارع الهرم ·

★ ★ ★

وفى الساعة المحددة دق جرس التليفون عند أسمهان وكان زوجها أحمد سالم موجودا معها · وتناولت هى السماعة ··

وسمعها أحمد سالم تقول ·· « أيوه موجود !·· ومين عاوزه ؟! وعايزاه ليه ؟·· طيب·· حاضر·· ماتزعليش··آهو جاى يكلمك !»

ثم التفتت الى أحمد سالم وقالت بابتسامة ذات معنى أو معان :

ـ تحية كاريوكا عايزه تكلمك ياسى أحمد !

وكانت مفاجأة للمسكين ·· وقام وتناول سماعة التليفون وقد وقفت بجانبه أسمهان ·· تنصت الى الحديث ··

ولم يكد أحمد سالم يقول (آلو) حتى انطلقت تحية بصوت عال مجلجل تعاتبه وتوبخه على اخلافه وعوده ومواعيده وتقول له انها لم تطلب مقابلته وانه هو الذى طلب مقابلتها وألح وألحف فى الرجاء حتى قبلت ·· وحددت له الساعة فلماذا لم يحضر فى الميعاد المتفق عليه ··· ودى مش أخلاق ·· ومش آداب ·· الى آخره ··

هذا والمسكين فاغر فاه ـ وقد أخذته المفاجأة ـ لا يعرف ماذا يقول !

وأنهت تحية حديثها وقطعت المواصلة التليفونية ·· ولم تترك له

أسمهان وقتا يفيق فيه من دهشته ·· بل أخذت بخناقه تهـزه بعنف وتقول له :

ـ يا أنا ·· يا أنت في البيت ! مش ممكن أعيش معـــاك ·· طلقني !

ومشهد عاصف ·· وبكاء ودموع ·· واقسام وايمان ·· وأسرع أحمد سالم ـ رحمه الله ـ الى غرفة الحمام وتناول زجاجة ما فيها مطهر مما يستعمله النســـاء في بعض أمورهن وأفرغ ما في الزجاجة في جوفه يريد الانتحار ··

وعلا الصراخ والعويل ·· ودقت تليفونات ·· وأسرع الى «الفيللا» أصدقاء وصديقات الزوجين ·

وحضر الطبيب على عجل ·· وغسلت معدة الزوج المسكين وتم الصلح بين أحمد وأسمهان ··

وخرجت أسمهان من المعركة ·· في شكل « شهيدة » يخونهـا زوجها ·· ويغازل امرأة أخرى ·· ومع ذلك تصفح عنه وتغفر له وترضى بالحياة معه !

ومن حق هذه الزوجة بعد ذلك أن تقول لزوجها « حسبك » ولا تشدد معي في الحساب أين كنت ومع من كنت !··

ولكن أحمد سالم لم يكن ذلك الزوج ·· فقد مضى يدقق في الحساب ويحاسب زوجته عن كل كبيرة وصغيرة وعن كل ساعة لا تمضيها معه ·· أين كانت ·· ومع من كانت !

وأخيرا داخله الشك في أمرها ·· ولكنه لم يصارحها بشكوكه ·· بل مضى يراقبها ويتبعها دون أن تعلم !

ورآها ـ دون أن تراه ـ رآها تخرج من دار حسنين باشا بميدان عبد المنعم في الدقي ··

وذهب الى دكان بقالة قريب وطلب حسنين باشا بالتليفون في داره ·· ولما رد حسنين قال له انه لا يعرف كيف يبدأ حديثه ·· فهو يحترم حسنين باشا ويقدر صفاته الممتازة ·· ولكنه كزوج يغار على زوجته وله حقوق ··· ثم قال :

ـ ومن حقى أن أسأل رفعتك ماذا كانت تفعل زوجتى عندك ؟٠٠ ولماذا تزورك من غير علمى ومن غير اذن منى ؟٠٠ بل ـ وأنت جنتلمان ـ لماذا تستقبل فى دارك سيدة متزوجة من غير أن يكون زوجها معها ؟٠٠

فاذا كنت دعوتها لزيارتك فان من حقى أن أسألك لماذا لم تدعنى معها ؟٠٠ واذا كانت هى قد زارتك من غير أن تدعوها فان المسألة تحتاج الى تحقيق فى الاسباب والظروف ٠٠

الى آخره

وأصغى حسنين الى « عتاب » أو حساب أحمد سالم فى صبر حليم٠ ولما تكلم كان فى صوته حزن وأسف !

حزن وأسف المظلوم البرىء الذى اتهمه أحمد سالم فى أغلى ما يعتز به وهو شرفه وعفته ونزاهته !

قال رحمه الله بصوت هادىء حزين :

ـ عيب يا أحمد ! دا انت زى ابنى ٠ ومراتك زى بنتى ٠٠ وأنا كنت فاكر انها قالت لك وانك عارف بزيارتها لى ٠٠

ومضى حسنين يقول انه ـ مثل جميع من فى البلد ـ يعجب بصوت آمال « اسم أسمهان الحقيقى » ويهمه حقيقة ان لا تغنى الا ما يوافق طبقات صوتها ٠٠

ومضى حسنين باشا رحمه الله فى حديث فنى عن الموسيقى والاغانى والصوت وطبقاته ٠٠

ثم قال ان آمال زارته لكى تستأنس برأيه فى أغانى فيلمها الجديد القادم ٠٠ « وكان فيلم غرام وانتقام » ٠

وانتهت المحادثة !

وتظاهر أحمد سالم بأنه صدق حسنين واقتنع ٠٠ ولكنه ـ طبعا ـ لم يصدق حرفا مما قاله حسنين ٠٠

وعاد الى داره أو دار أسمهان ليسألها لماذا زارت حسنين باشا ولماذا لم تستأذنه فى هذه الزيارة ؟

وأجابت بأن حسنين صديق قديم وانها عرفته من قبل أن تعرف

أحمد سالم .. وليس فى نيتها ان تقاطع أصدقاءها القـــدامى من أجله .. كما انه ليس من عادتها أو طبعها أن تســـتأذن أحدا فى زياراتها .. وانها حرة تزور من تشاء فى أى وقت تشاء ...

ـ واذا لم يعجبك هذا .. فأنت حـــر ! وطلقنى وأرح بالك وبالى ..

وكلام كثير فى هذا المعنى .

ومرة أخرى حاول المسكين الانتحار .. وأسعفوه وأنقذوه .

★ ★ ★

وبدأ أحمد سالم يسرف فى شرابه .. يحاول ان يخدر أعصابه الثائرة .

وكانت أسمهان كذلك تدمن الشراب ..

وهكذا مضت الحياة بينهما فى شراب وعراك .

وذات مساء انتصف الليل ولم تعد أسمهان .. وجلس أحمد سالم ينتظر ...

والساعة الاولى صباحا ولم تعد أسمهان . وتناول أحمد ســالم التليفون وسأل عنها فى دار صديقة لها ـ كانت تكثر يومئــذ من التردد عليها ـ وقالت الصديقة المذكورة ان أسمهان كانت زارتهـا بعد ظهر اليوم ولكنها انصرفت قبل الثامنة مساء ..

وأخيرا .. وفى نحو الساعة الثالثة صباحا عادت أسمهان ووجدت زوجها قائما ينتظر ! وشىء ما فى عينيه أخافها وحبس ألفاظ التحدى فى فمها .

سألها أين كانت .. فتلعثمت واضطربت . وأخيرا قالت انهـا كانت عند صديقتها فلانة !

وذكرت اسم الصديقة التى كان أحد سالم سألها وعرف منها أن أسمهان تركتها قبل الساعة الثامنة مساء !

قال رحمه الله وهو يصر على أسنانه :

ـ كنت عندها لدلوقت ؟

قالت : نعم ..

قال : ولكنى سألتها عنك فقالت انك انصرفت من قبل الســـاعة الثامنة ؟

وسكتت أسمهان ٠٠ فقد أحست للمرة الاولى بالخوف من زوجها أحمد سالم !

وعاد يسألها :

ـ كنت فين لدلوقت ؟٠٠ عند حسنين ؟

ووثب واقفا ٠٠ ولكنها كانت أسرع منه الى الباب ! وكان رحمه الله قد أخرج من جيبه مسدسا ٠٠ صوبه اليهـــا وهى تجرى وأطلق النار ٠ ولكنه لم يصبها ٠٠ وهربت أسمهان ولجأت الى دار أحـــد جيرانها حيث أمضت ما بقى من الليل ٠

واتصلت بالتليفون باللواء سليم زكى حكمدار بوليس القـــاهرة يومئذ وكانت صديقة له ولأسرته وأبلغته أن زوجها أحمد ســـالم أطلق عليها الرصاص يريد قتلها وطلبت منه ان يحميها ٠

وأوفد اللواء سليم زكى رحمه الله الاميرالاى امام ابراهيم ليحاول اصلاح الامر ما بين الزوجين ٠ وكان سليم زكى يعرف بحكم صداقة أسرته لاسمهان أو آمال الاطرش ٠٠ كان يعرف كل ما يحدث فى بيت الزوجية ٠

* * *

وذهب الاميرالاى امام ابراهيم الى « الفيللا » التى كانت أسمهان تقيم فيها هى وزوجها أحمد سالم ٠٠

ووجد أحمد سالم متمددا فوق فراشه ٠٠ وقد شد فوقه الغطاء ٠٠ وكأنه يحاول أن يخفى تحته شيئا ما كان بيده !

وانطلق أحمد سالم يسب ويشتم فى أسمهان وفى حســـنين وحاول امام ابراهيم أن يهدىء من ثورته ٠٠٠ ثم حاول أن يقترب منه ولكن أحمد سالم صاح به ان يقف فى مكانه ولا يقترب وأعلن ان بيده مسدسا وانه سوف يطلق الرصاص على كل من يحاول القبض عليه !

ودارت مناقشة بين الرجلين ٠٠٠

امام ابراهيم يتكلم بهدوء ولطف يحاول أن يهدىء من ثورة أحمد سالم وأن يقنعه ان ليس هناك ما يخشاه ٠٠٠ ويحاول فى نفس الوقت ان يقترب قدما بقدم وخطوة بخطوة من الفراش الممدد فوقه أحمد سالم !

وأحمد سالم يصف أسمهان بأقبح النعوت ويروى ما فعلته وما تزال تفعله معه وكيف أنها تخونه مع أحمد حسنين ٠

٠٠ وفى لحظة ما اعتقد امام ابراهيم انه أصبح على قرب كاف من الفراش ٠ فوثب على أحمد سالم محاولا الامساك بيده التى تمسك بالمسدس ٠٠

وانطلقت رصاصة أصابت الاميرالاى امام ابراهيم وأعقبتها رصاصة أخرى دخلت فى صدر أحمد سالم واستكنت فى احدى رئتيه !

وكانت الضجة الكبرى ٠٠ وخرجت الصحف تحمل العناوين بالبنط الكبير وتروى مأساة أحمد سالم وأسمهان ٠

ولكن الصحف لم تنشر شيئا من أقوال أحمد سالم عن أحمد محمد حسنين باشا رئيس ديوان الملك ٠٠ لان البوليس والسلطات كتمت الامر عن الصحف ورجال الصحافة ٠

* * *

ونقل الجريح أحمد سالم تحت الحراسة ـ أو مقبوضا عليه ـ الى مستشفى القصر العينى ٠٠ وقد بقى أياما طويلة فى خطر الموت ٠٠

٠٠ وقد وجهت اليه تهمة الشروع فى قتل زوجته أسمهان ٠

وتهمة مقاومة واطلاق الرصاص على الاميرالاى امام ابراهيم أثناء القيام بواجبه ٠

* * *

قلت ان الصحف لم تنشر شيئا من أقوال أحمد سالم عن أحمد باشا حسنين لأن البوليس كتم الامر عن الصحف ٠٠ ولان النيابة لم تستطع استجواب أحمد سالم بسبب خطورة حالته ٠

ولكن الحكومة ـ حكومة الوفد أو وزارة ٤ فبراير ـ سمعت طبعا

بكافة التفاصيل وكذلك سمع بها القصر وجميع من فى القصر .

وعرفت نازلى ان زوجها أحمد حسنين قد « عاد » الى أسمهان ... أو أن أسمهان قد عادت الى حسنين !

أما الوفديون فقد سروا سرورا كبيرا وحمدوا الله الذى مكن لهم من عدوهم رئيس الديوان أحمد حسنين ...

وأعود هنا بالقارىء الى الوراء .

سبق ان قلت ان حسنين باشا كان أقسم بعد حادث ٤ فبراير الذى عده لطمة على وجهه ... أقسم على أن ينتقم للقصر ولنفسه من سفير بريطانيا مايلز لامبسون ومن مصطفى النحاس .

... وانه اعتقد فى شهر ابريل ١٩٤٣ ان الفرصة مواتية للانتقام ولاقالة الوزارة ... ورد اللطمة للسفير ولمصطفى النحاس .

ولكن لندن أرسلت انذارا الى القصر تقول فيه انها لا تسمح فى الظروف الحاضرة بتغيير الوزارة أو اجراء أى تعديل فى الاوضاع .

وعرف الوفديون يومئذ ان انقلابا أو اقالة كانت توشك ان تقع ... وان وراءها حسنين باشا رئيس الديوان !

وأضمروا الشر للرجل .

وأصبح العداء سافرا بين حكومة الوفد ورئيس الديوان وذات يوم ـ وقبل حادث أحمد سالم وأسمهان بشهور قليلة ـ ذات يوم تقدم نائب وفدى الى « معالى » وزير المعارف بسؤال عن المدارس الصناعية التابعة لوزارته وعن نشاط « ورشها » فى صناعة الاثاث والرياش .. وهل لهذه المدارس ديون عند بعض كبار الموظفين ؟..

ووقف وزير المعارف يجيب على السؤال ويقول ان الموظف الكبير الوحيد المدين لاحدى المدارس الصناعية هو صاحب المقام الرفيع أحمد حسنين باشا رئيس الديوان وان رفعته كان أوصى احدى المدارس الصناعية على صنع طقم كذا وعدد موائد ومقاعد كيت .

وان المدرسة الصناعية المذكورة أنجزت الطلب وأرسلت الاثاث المطلوب الى حسنين باشا ... وبعثت معه بالفاتورة وقدرها كذا جنيها وكذا مليمات .

ولكن حسنين لم يدفع وان المدرسة طالبته مرة ومرتين ··· فلم يدفع ··

وأخيرا حولت المدرسة الاوراق الى وزارة المعـــارف ومضى وزير المعارف يقول ان الوزارة قد بح صوتها من مطالبة حسنين باشا بسداد الدين ··· ولكنه لم يدفع !

وكانت فرصة !·· ووقف أكثر من نائب وفدى ليخرج لســانه لرئيس الديوان ويسخر منه ويشمت به ويطالب الحكومة بأن تكون حازمة وان تفعل كذا وكذا مع هذا المدين المماطل الذى اسمه أحمد محمد حسنين !

ووقف النائب الاستاذ فكرى أباظة يدافع عن حسنين باشـــا ويقول للنواب الوفديين ـ وكان صديقنا يومئذ كما كان دائما من نواب المعارضة ـ وقف يقول لهم ما معناه أن هـــذا الدين ينهض دليلا على شرف ونزاهة وأمانة أحمد محمد حسنين !·· وان هذا الرجل الذى يشغل هذا المنصب الكبير الخطير فى القصر والذى كان يمكنه أن يستغل منصبه كما فعل آخرون غيره ـ ليجمع ثروة طائلة ·· هذا الرجل عاجز عن سداد دين لا يزيد عن مائة أو مائتين من الجنيهات ··

··· عاجز عن سداد الدين لانه رجل فقـــير وشريف ونزيه وأمين ··

وهاج النواب الوفديون ضد صديقنا فكرى أباظة ··· وعاد هو يقول ان حملتهم هذه ضد رئيس الديوان هى صغار فى صغار !··

واشتد هياجهم وصاح بعضهم ان فكرى أباظة يشتم المجلس ··
واستمر فكرى أباظة فى الكلام ·

وأخيرا طلب منه رئيس المجلس أن يكف عن الكلام وأن يجلس ··
ولكن فكرى مضى فى كلامه ولم يجلس ···

هذا وثورة النواب تزداد وهياجهم يزداد وفكرى أباظة ماض فى الكلام والدفاع عن رئيس الديوان وأخيرا أمره رئيس المجلس بأن يخرج ويغادر قاعة المجلس ورفض فكرى أباظة ان يخرج ·

ودقت الاجراس .. وأسرع حرس المجلس ... وأمرهم الرئيس باخراج النائب المحترم فكرى أباظة من قاعة الجلسة .

وحمل الحراس صديقنا فكرى أباظة ... وخرجوا به وهو يصيح بأعلى صوته مخاطبا نواب الوفد .. (يا مساكين .. انكم تلعبون بالنار .. انكم تلعبون بالنار !)

★ ★ ★

وبعد ساعة واحدة من هذا الحادث فى جلسة مجلس النواب ذهب سير والتر سمارت الموظف الكبير يومئذ بالسفارة البريطانية وقابل رئيس الوزارة مصطفى النحاس وقال له ما معناه ان الحكومة البريطانية التى تؤيد بقاء وزارة رفعته ضد رغبات القصر تعد نفسها والحالة هذه مسئولة عن تصرفات الوزارة ... وانها لا تقر تصرفات نوابه فى جلسة اليوم وتنظر الى هذه الحملة ضد رئيس الديوان بعدم الارتياح ... وترجو من رفعة رئيس الوزارة ان يعمل شيئا يزيل به الاثر السىء الذى خلفته هذه الحملة الظالمة فى النفوس .

واقترح جنابه ان يحذف من مضبطة الجلسة كل ما دار وكل ما قيل حول هذا السؤال وحول حسنين باشا .

ووافق السيد مصطفى النحاس ...

وفى اليوم التالى اجتمع مجلس النواب ... ووقف النائب فكرى أباظة وبيده مضبطة الجلسة السابقة وقال ان فى المضبطة نقصا يريد ان ينبه اليه !

وسأله رئيس المجلس عن النقص المذكور فقال ..

ـ لم أجد شيئا فى مضبطة الجلسة عن حادث طردى من المجلس ؟

وصاح النواب المحترمون :

ـ ماحصلش ..

وسألهم فكرى أباظة :

ـ ألم تطردونى من الجلسة ؟

ـ أبدا ••• ماحصلش !••

ـ والكلام اللى قلتوه عن حسنين باشا ؟

ـ ماحصلش •••

ـ والكلام اللى قلته أنا ؟

ـ ماحصلش •••

وفهم فكرى أباظة •• وسأل قبل ان يجلس :

ـ يعنى ماحصلش سؤال •• وماحصلش جـــواب من وزير المعارف •• وماحصلش حاجة أبدا ؟••

وصاحوا جميعا :

ـ برافو عليك • أدنت فهمت !•• ماحصلش !

وهكذا انتهت هــذه المهزلة •• ولكنها خلفت ورائها فى نفوس الوفديين حقدا جديدا ـ ان جاز هذا التعبير ـ ضد رئيس الديوان حسنين باشــا لان حذف كل ما دار حوله فى الجلســة السابقة قد فوت على الوفديين غرضهم فى النشر والتشهير به !

ومن هنا كان سرورهم كبيرا بحادث أحمد سالم وبأسمهان •• وبالدور الذى لعبه عدوهم حسنين باشا فى الحادث المذكور •

وأرسلوا أحدهم الى أحمــــد ســـــالم فى مستشفى قصر العينى يعرض عليه ان يوكل عنه أحد كبار المحامين الوفديين ••

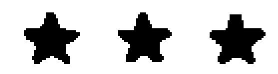
وكان غرض الوفديين هو أن يقف المحامى الوفدى الوكيل عن أحمد سالم ••• يقف فى محكمة الجنايات ويزوى علنا وعلى رءوس الاشهاد قصة حسنين وأسمهان •• وكيف أن أحمد ســــالم هو الضحية المسكينة لرئيس الديوان الى آخره •• الى آخره •

وما من شك فى انها كانت تكون الضربة القاضية على أحمــــد حسنين !

ولكن القدر شاء غير ما دبر الوفديون •• ذلك أنه لم تمر أيام على الحادث المذكور حتى سافرت أسمهان بسيارتها الى رأس البر •• وانقلبت بها السيارة فى الترعة •• وغرقت ولاقت منيتها قبل الاوان •

وكان هذا فى شهر يوليه ٠

وفى شهر اكتوبر ـ وقبل أن تعرض قضية أحمد سالم على محكمة الجنايات أقيلت وزارة الوفد ٠ وهكذا نجا أحمد حسنين من أكبر فضيحة كان يمكن ان تهدد مستقبله ولكنه لم ينج من أثرها وكان من آثارها انه بعد أن كان فى شهر ابريل ١٩٤٣ المرشح الوحيد لرئاسة الوزارة التى تخلف وزارة الوفد ٠٠ عدل عن اختياره الى اختيار المرحوم الدكتور أحمد ماهر ٠



وكانت ثورة الغضب فى صدر أحمد سـالم قد ماتت بموت أسمهان ٠٠ ومن هنا لم يقل شيئا عن حسنين باشا عندما نظرت قضيته أمام محكمة الجنايات ٠



الكتاب الثاني

أحمد محمد حسنين

في الحياة العامة

على ماهر والاعتداء على الدستور والحياة النيابية

المذكرات التى أدونها هنا نقلا عن أحمد حسنين باشا لم أسمعها منه فى جلسة واحدة أو فى جلستين بل فى عدة جلسات تمت بين عامى ١٩٤١ و١٩٤٢ ٠

والذى لاحظته ـ وأسجله هنا ـ أن حسنين كان حريصا أو محترسا الى حد ما فى حديثه عن على ماهر أيام كان هذا رئيسا للديوان ثم رئيسا للوزارة ٠ ولم يتحدث حسنين معى بصراحة ويفرغ ما فى صدره أو معظم ما فى صدره عن على ماهر الا بعد خروج على ماهر من رياسة الوزارة ٠

كذلك ربما كان لموقف المعارضة الشديدة الذى وقفته دائما من على ماهر أثر فى اطمئنان حسنين الى وهو يتحدث عن صاحب المقام الرفيع ٠

* * *

١ ـ قال لى حسنين بصراحة انه هو المسئول الى حد كبير عن تعيين على ماهر رئيسا لديوان الملك وانه قال لفاروق ذات يوم « أظن يا مولانا انه قد حان الوقت لكى نعين على ماهر رئيسا للديوان » ٠

٢ ـ وان على ماهر أخطأ فى اقالة الوزارة النحاسية الوفدية فى ديسمبر ١٩٣٧ لانه كان من رأيه ـ رأى حسنين ـ ان يبقى النحاس فى الحكم أطول مدة ممكنة حتى « تبان » سيئات حكمه وحكم الوفديين أمام الشعب بشكل قاطع حاسم ٠

٣ـ وان الملك فاروق كان يثق فى أول الامر فى على ماهر وكان لعلى ماهر عند فاروق نفس النفوذ الذى كان يتمتع به مكرم عند النحاس ٠ ولكن على ماهر بدأ يدس لمحمد محمود رئيس الوزراء بعد أسبوعين اثنين من أيام وزارته ٠٠

٤ ــ وان على ماهر كان دائما يدس لخصومه على أساس ان هـذا ذو ميول انجليزية وان ذاك ليس كذلك .. فبعد ثلاثة أسابيع بدا على ماهر يصب فى اذن فاروق كلاما عن محمد محمود وكيف انه ذو ميول انجليزية . وهكذا نجح فى اضعاف ثقة فاروق فى محمد محمود .

٥ ــ وان على ماهر عندما تولى منصب رئيس الديوان كان له نفوذ كبير عند فاروق الى درجة ان فاروق كان يخافه ويعمل له حسابا . بل كان اذا تأخر دقائق عن موعد ما مع على ماهر أقبل يعتذر لعلى ماهر عن تأخره عن الميعاد .

ويقول أحمد حسنين ان على ماهر نجح كرئيس للديوان فى أول الامر نجاحا كبيرا .. « ويومئذ حمدت الله » .. هكذا يقول حسنين .. فقد وفيت الدين الذى وضعه الملك فؤاد فى عنقى وأديت أمانتى وهأنذا قد نجحت فى تعيين رئيس ديوان يعرف واجبه .

٦ ــ يعتقد حسنين ان على ماهر كان أفضل رئيس ديوان وانه لولا مطامعه وشهوته فى تولى رياسة الوزارة لكان خيرا له ولفاروق وللبلد لو بقى رئيسا للديوان .

٧ ــ بعد أقل من شهر واحد من تولية محمد محمود رياسـة الوزارة ــ بعد اقالة وزارة النحاس ــ بدأ على ماهر يدس له عنـد فاروق ويضع العراقيل فى طريق الوزارة .

وعندما وضح الهدف الذى يسعى اليـه على ماهر وهو اسـقاط محمد محمود لكى يتولى هو رياسة الوزارة . وأدرك فاروق ما هنالك هبطت قيمة على ماهر فى نظره الى حد ما ... بعد ان عرف ان على ماهر له مطامع شخصية وشهوات وأغراض مثل غيره من زعمـاء مصر .

ومن هنا فقد على ماهر كثيرا من نفوذه عند فاروق . وبعد ان كان فاروق يعتمد على .. على ماهر .. أمسى على ماهر هو الذى يعتمد على تأييد فاروق .

٨ ــ كان على ماهر هو الذى أشار باقالة وزارة النحاس فى شهر

ديسمبر ١٩٣٧ وباسناد رئاسة الوزارة الىمحمد محمود • ومع ذلك فقد سعى ـ بعد شهور قليلة ـ الى مقابلة النحاس سرا وفى ظلام الليل على كورنيش رمل الاسكندرية لكى يتآمر معه على اسقاط وزارة محمد محمود • ولما عرف فاروق بخبر هذه المقابلة مط شفتيه •• وتوالى هبوط أسهم على ماهر •

٩ ـ كان على ماهر وهو رئيس للوزارة يقول لفاروق « جاءنى السفير مايلز لمبسون اليوم وطلب منى كذا ولكننى رفضت وقلت له مش ممكن ••• » •• ثم يعود بعد يومين ويقول لفاروق « جاءنى السفير اليوم وطلب منى كيت وكيت •• وأظن يا مولانا نقدر نساوم ونعطيه ما كان طلبه منذ يومين فى مقابل ان يتنازل عن طلباته الاخيرة » •

وهكذا أدركنا فى القصر ان على ماهر كان يلبى طلبات الانجليز بينما هو يتظاهر بأنه صامد أمامهم كالطود الشامخ •

١٠ ـ لما توفى حسن صبرى باشا كان على ماهر هو السياسى الوحيد الذى استشاره فاروق يومئذ فى الموقف • ولم يعرف أحد بهذا الخبر أو بمقابلة على ماهر لفاروق لان المقابلة لم تنشر فى بلاغ ديوان كبير الامناء •

ولقد خرج على ماهر يومئذ من مقابلة فاروق وقال لخاصته « الوزارة فى جيبى » ويظهر انه كان رشح لرئاسة الوزارة صديقه محمد محمود خليل الذى أشاع الخبر بين أصدقائه وتلقى منهم التهانى •

١١ ـ ولكن حسنين رشح لرئاسة الوزارةحسين سرى • وكانت مفاجأة غير سارة لعلى ماهر •

هذه هى المذكرات التى وجدتها مدونة فى كراسة • ولعل القراء قد لاحظوا انها مدونة بأسلوب أشبه ما يكون بالاختزال •• بل هى تكاد تكون رءوس موضوعات •• كل رأس منها يصلح موضوعا لحديث مستفيض •

ولكننى أكتب هنا قصة أحمد محمد حسنين لا قصة على ماهر أو

مصطفى النحاس أو محمد محمود . ومن هنا لن أعرض لأحد من هؤلاء الا بالقدر الذى يقتضيه الحديث عن المرحوم أحمد حسنين .

وأبدأ برئاسة الديوان ..

★ ★ ★

قلت فى الفصول السابقة ان المرحوم أحمـــــد حسنين كان ذا مطامع واسعة . وكان يسعى لأن يكون الرجل الاول فى الدولة بعد الملك .. وكان البرنامج الذى وضعه ذا خطوات ..

الخطوة الاولى رئاسة ديوان الملك .

الخطوة الثانية رئاسة الوزارة .

وبين الخطوتين .. خطوة لا بد منها للتثبيت والتأمين .. ودعم المركز .. وهى الزواج من نازلى أم الملك ..

ولكن بعض أصدقاء حسنين ينكر على قولى أنه كان ذا مطامع .. وانه كان يريد رئاسة الوزارة .. ويحاول ان يدفع عن حسنين هذه « التهمة » كانما الطموح نقيصة أو سبة يجب أن تدفع وتفند ..

وقد يجد هذا البعض من أصدقاء حسنين فى صدر هذا الفصل ما يؤيد قوله .. فيسألنى لماذا أشار حسنين على فاروق بتعيين على ماهر رئيسا للديوان .. ولم يطلب المنصب لنفسه اذا كان ـ كما نقول ـ طموحا طامعا فى المناصب ؟

والجواب ان حسنين كان يعرف يومئذ ـ فى أواخر عام ١٩٣٧ ـ ان الوقت لم يحن بعد لتوليه المنصب المذكور .. وان فاروق يحب على ماهر ويثق فيه الى حد كبير باعتباره « رجل أبيه » الملك أحمد فؤاد وموضع ثقته .. وان فاروق يريد ان يعين على ماهر رئيســا للديوان لكى يقف بجانبه كما وقف الى جانب أبيه أحمد فؤاد .

وكانت الخصومة وأسباب الخلاف قد ظهرت وتعددت بين فاروق وحكومة الوفد برئاسة مصطفى النحاس .. وكانت رئاسة الديوان فى حاجة يومئذ الى رجل قوى أو « أزرق الناب » فى السياســـة ومناوراتها لكى يستطيع الوقوف فى وجه الاغلبية الوفدية الـكبيرة .. ولم تكن لفاروق ثقة كبيرة يومئذ فى كفاءة حسنين كســياسى ومناور أزرق الناب .

كذلك لم يكن من مصلحة أحمد حسنين ان يصطدم يومئذ بالوفد وحكومة الوفد ومصطفى النحاس وهو الاصطدام الذى كان لا بد من وقوعه بين الوفد وبين الذى يتولى رئاسة الديوان ٠

وأمر آخر يعرفه كل الذين عرفوا أحمد حسنين ودرسوا أخلاقه ٠٠ وهو انه كان يريد الشيء ٠٠ ولكنه ينكر أنه يريده أو يشتهيه ٠٠ وكان يتطلع الى المنصب ولكنه يزعم انه زاهد فيه لا يريده ٠

كانت سياسته ـ اذا أراد أو اشتهى أمرا ما ـ ان يناور ويداور ويحاول ان يحمل أصحاب الشأن على أن يعرضوا عليه الامر أو الشيء الذى يريده ويشتهيه ٠٠ تماما كما فعل فى أمر زواجه من الملكة نازلى ٠

اما أن يطلب الشيء صراحة ٠٠ فلا ٠٠ لم يكن هذا من خلق أو سياسة حسنين ٠٠ وفى ضوء هذه الحقائق وهذه الاخلاق وهذه السياسة نفهم لماذا تطوع حسنين وأشار على فاروق بتعيين على ماهر رئيسا للديوان ٠

لأن فاروق كان يحب ويثق الى حد كبير فى على ماهر ٠٠ ولان على ماهر كان الوارث الطبيعى للمنصب المذكور ٠٠ ثم سبب آخر وهو أهمها جميعا ٠٠ كان حسنين يعرف على ماهر ٠٠ ويعرف عنه ما لا يعرفه فاروق ٠٠ وكانت الوسيلة الوحيدة لأن « ينكشف » على ماهر أو « يكشف عن حقيقة نفسه » هى تعيينه فى منصب رئيس الديوان بالقرب من فاروق ٠٠

أو بعبارة أخرى كان تعيين على ماهر فى رئاسة الديوان هو الخطوة الاولى للقضاء على نفوذ على ماهر عند فاروق ٠

وقد صح ما توقعه حسنين ٠٠٠ ونجحت سياسته « وانكشف » على ماهر أمام فاروق ٠٠ وهبطت أسهمه ٠٠ هبطت أثناء توليه رئاسة الديوان ٠٠ وتوالى هبوطها بعد توليه رئاسة الوزارة ٠٠

ثم لم يمض عام ١٩٤١ حتى كان على ماهر قد فقد نفوذه القديم عند فاروق ٠٠

وأعود الآن الى بداية الحديث عن رئاسة الديوان ٠

قلت فى فصل سابق ان الدكتور عباس الكفراوى طبيب فاروق فاتحنى ذات يوم وكنا فى قصر كنرى هاوس بالقرب من لندن ـ فى أمر منصب رئيس الديوان الشاغر واقترح على أن أفاتح حكومة الوفد فى أمر تعيين الاستاذ نجيب الهلالى فى المنصب المذكور .

وأعتقد أن عباس الكفراوى لم يرشح نجيب الهلالى لرئاسة الديوان الا بعلم واذن فاروق . ولكن حكومة الوفد لم توافق على هذا الترشيح لان الاستاذ نجيب الهلالى لم يكن يومئذ وفديا صميما بل كان لا يزال حديث العهد بالوفدية ..

ولأنه كان خصما للاستاذ محمود فهمى النقراشى الذى كان له نفوذه ولم يكن قد خرج أو أخرج بعد من الوفد .

وثالثا وأخيرا لأن حكومة الوفد كانت ترغب فى تعيين الاستاذ عبد الفتاح الطويل المحامى المعروف رئيسا للديوان . وكان الاستاذ الطويل قد تولى من قبل منصب الوكيل البرلمانى لشئون القصر .

* * *

وكان حسنين ـ اذا عرضنا قبل عودتنا الى مصر لحديث المنصب الشاغر وأسماء المرشحين لرئاسة الديوان ـ كان يقول : « ياريتنى كنت أنفع . لكن يا خسارة ماانفعش أبدا لانى يا محمد زى ماأنت عارف ماأفهمش حاجة فى السياسة . وده منصب سياسى عاوز واحد يفهم فى السياسة » .

وكان يكررها لعل وعسى أن أقاطعه وأقول .. « بل انت تنفع .. أو انت خير من يصلح رئيسا للديوان » ؟..

وعدنا الى مصر فى أواخر شهر يوليه ١٩٣٧ وواجهت حكومة الوفد فى أول شهر من تولية فاروق سلطاته الدستورية عدة مسائل أو مشاكل منها حكاية المرحوم يوسف الجندى ويمين الولاء التى يقسمها الجيش وهل تكون للملك وحده أو للملك والدستور .. وحكاية التاج التى أشرت اليها فى فصل سابق ... ثم منصب رئيس الديوان ..

وقد رشحت حكومة الوفد على التوالى للمنصب المذكور الاستاذ

عبد الفتاح الطويل • الاستاذ نجيب الهـــلالى • الدكتور حافظ عفيفى • الاستاذ محمد أمين يوسف •

ورفض فاروق هذه الاسماء ورشح منجانبه على ماهر • ورفضت حكومة الوفد هذا الترشيح •

* * *

قالت نازلى ملكة مصر السابقة ذات يوم عقب وفاة زوجها الملك أحمد فؤاد •• قالت لشقيقها حسين صبرى باشا ••

ـ ان فاروق طفل •• وعنيد وأنا أخاف عليه من هذا « الطقم » القديم الموجود فى السراى ! (طقم) سعيد ذو الفقار وشوقى وعبد الوهاب طلعت وغيرهم •• وأخشى ان يملأوا رأسه بالكلام الفارغ ضد الوفديين أو يوغروا صدره ضد مصطفى النحـــاس كما كانوا يفعلون مع « المرحوم » أبيه •• وهذه تكون مصيبة لأن فاروق اذا اصطدم بالوفد فسوف يأكله مصطفى النحاس •• وأنا أعلم ان لك أصـــدقاء بين كبار الوفديين وأطلب منك ان تذهب وتقول لهم بلسانى ونيابة عنى أن نازلى تقول لكم « فاروق ابنكم فخذوه وربوه وعلموه • وانها تضعه أمانة فى أيديكم • ولكنها تنصحكم فى نفس الوقت ان تبعدوا عنه بل وعن السراى كل هذا «الطقم» القديم •••»

وهكذا قدرت الملكة الام أن تنقذ ابنها الغلام وتنقذ عرشه اذا هى أسلمته أمانة الى الوفديين الاقوياء أصحاب الحكم والاغلبية «يربونه ويعلمونه » •• ويبعدون عنه رجال « الطقم » القديم •

أو بعبارة أخرى لقد أرادت نازلى أن تلجأ الى شهامة الوفديين • وكان رجال الطقم القديم ـ كما أسمتهم ـ هم سعيد ذو الفقـــار كبير الامناء •• وشوقى باشا السكرتير الخاص • وعبد الوهاب طلعت باشا مدير الادارة العربية •

وذهب حسين صبرى باشا الى صديقه السيد عبد الحميد البنان وأبلغه رسالة شقيقته الملكة السابقة ونقل عبد الحميد البنانالرسالة الى أحمد ماهر ومصطفى النحاس ••

ولكن الوفد أو حكومة الوفد لم تعمل بمشورة نازلى فلم تطلب

اقصاء أو طرد أى موظف كبير من موظفى القصر ٠٠ بل أبقوا القديم على حاله ٠ ولو انهم كانوا عملوا بنصيحة نازلى وتقدموا الى مجلس الوصاية طالبين فصل أو نقل فلان وفلان وفلان من كبار موظفى السراى لأجابهم مجلس الوصاية الى طلبهم ٠٠ خصوصا ان رئيس المجلس المذكور الامير محمد على توفيق كان يكره جميع كبار موظفى السراى بالجملة وبالقطاعى ٠

وشريف صبرى عضو المجلس هو شقيق الملكة السابقة نازلى ٠ وكان طبيعيا ان ينفذ مشورة شقيقته ٠

والعضو الثالث عبد العزيز عزت باشا كان رجلا مسالما ويميل - اذا مال - الى جانب الوفديين ٠

ولكن حكومة النحاس الوفدية أهملت أو لعلها استهانت بالامر كله ولم تر داعيا أو ضرورة لعمل أى شىء ٠

وكان الوفديون يعتقدون يومئذ ان الجو قد صفا لهم ٠ وانهم باقون فى الحكم الى ما شاء الله ٠٠ فخصمهم القوى العنيد الملك أحمد فؤاد قد مات ٠٠ وأسباب الخصام والصدام بينهم وبين الانجليز الذين كانوا أصحاب الكلمة الاولى فى شئون مصر وحكم مصر ٠٠ هذه الاسباب قد زالت بعد عقد معاهدة عام ١٩٣٦ ٠٠ وعلى العرش غلام صغير أو « ولد » - كما كانوا يصفون فاروق فى مجالسهم الخاصة - ولد صغير لا يجرؤ على الوقوف أمامهم ٠٠ وهم أصحاب الاغلبية الساحقة فى مجلسى البرلمان ٠

صفا لهم الجو اذن وطاب ٠٠ فما الحاجة اذن وما الضرورة لاجراء عملية قاسية مثل فصل أو طرد عدد من كبار موظفى السراى ٠٠

وهكذا بقى « الطقم » القديم ٠ وتولى فاروق سلطاته الدستورية وليس فى القصر كله مسئول واحد أو موظف كبير واحد يحب الوفديين أو يرضى أن يقول فيهم كلمة واحدة طيبة ٠٠ حتى ولو كانت كلمة يفرضها العدل والانصاف٠٠لانهم جميعا كانوا من رجال الملك أحمد فؤاد ٠٠ الطاغية المستبد الذى لم يكن يؤمن بشىء اسمه الشعب أو حقوق الشعب أو الدستور أو الحياة النيابية ٠٠ وكان

« رجاله » هؤلاء من نفس رأى « مولاهم » أحمد فؤاد ·

واقترحت حكومة الوفد أول ما اقترحت تعيين الاستاذ عبدالفتاح الطويل رئيسا لديوان جلالة الملك · وقالت فى تأييد أو فى تزكية هذا الاقتراح ان الاستاذ الطويل سبق له ان تولى منصب الوكيل البرلمانى لوزارة شئون القصر ·· وانه والحالة هذه على علم وخبرة بهذه الشئون وانه على علاقات طيبة مع جميع موظفى القصر ·· الذين يذكرونه ويذكرون العمل معه بالحمد والثناء ·

وهنا قال كبار موظفي القصر نعوذ بالله من عبد الفتاح الطويل والعمل مع عبد الفتاح الطويل ·

لقد كان كذا وكذا ·· ولقد قاسينا من العمل معه كيت وكيت ·· ثم ·· ما معنى أن يكون رئيس الديوان وفديا من صميم الوفديين ··

وكان هذا هو اعتراض فاروق ·· فقد قال : ان رئيس الديوان بطبيعة عمله ومنصبه هو حلقة الاتصال بين الملك أى رئيس الدولة وبين الوزارة ·· وهو الحكم والميزان ·· وهو مطالب بتسوية أى مشكلة أو خلاف فى الرأى قد يقوم بين القصر والوزراء ·· ومن هنا يجب أن يكون رجلا مستقل الرأى محايدا لا يميل مع الهوى ·· لا رجل حزب قد أقسم يمين الولاء والطاعة لرئيس حزبه مصطفى النحاس ·· والا فكيف يمكن لرجل حزبى مثل عبد الفتاح الطويل اذا اختلف القصر مع الوزارة فى أمر من الامور ·· كيف يمكن له ان يتحرر من هواه الحزبى وان لا يميل بكفة الميزان ؟·· غير معقول ·

ثم قال فاروق :

ـ أنا أريد أن يكون الى جانبى رئيس ديوان يقول دائما كلمة الحق ·· ويسوى المشاكل ويصون حقوقى ·· لا رجل وفدى سوف يكون همه أن يأخذ منى لكى يعطى حكومة حزبه ·· واذا وقعت فى خلاف مع النحاس وجدت أننى قد وقعت فى خلاف مع النحاس وعبد الفتاح الطويل ·· وتصبح المشكلة مشكلة مع رئيس الحكومة ومع رئيس الديوان ·

وطبعا لم يكن هذا الرد المنطقى القوى من تفـــكير فاروق الذى كانت سنه يومئذ ثمانية عشر عاما هلالية ·· أو ســبعة عشر عاما ميلادية ·· والذى كان نصف أمى لم ينل من العلم الا قشورا بل أقل من القشور ·· والواقع أنه كان الرد الذى لقنه اياه الســيد عبد الوهاب طلعت ··

وكان عبد الوهاب طلعت لا يزال يومئذ الصديق المخلص للسيد على ماهر ·· وكان يقوم بدور همزة الوصل أو «ضابط الاتصال» بين على ماهر وفاروق ·· ينقل الى على ماهر أولا بأول كل ما يدور بين القصر والوزارة ·· ويعود بآراء على ماهر وفتاواه فى المشاكل وبما ينبغى أن يقوله فاروق لرئيس الحكومة ·

وعدل مصطفى النحاس عن ترشيح الاستاذ عبد الفتاح الطويل · وعرض بدلا منه اسم دكتور حافظ عفيفى سفير مصر يومئذ فى لندن وهو يقول :

ـ لقد اعترضتم على تعيين رجل وفدى فى منصب رئيس الديوان ·· وها هو حافظ عفيفى ·· رجل مستقل كان موضع ثقة المرحوم الملك أحمد فؤاد ·· ولم يكن وفديا فى يوم من الايام ·· بل لقـد كان فى وقت ما حرا دستوريا ومن ألد خصوم الوفد والوفديين ·

وجاء الرد من القصر :

ـ كله الا كده ·· كله الا حافظ عفيفى ·· انه رجل متهم بالعيب فى الذات الملكية ·

وكيف ذلك ؟

كان فاروق قد زار انجلترا صيف عام ١٩٣٧ قبل عودته الى مصر · وكان الدكتور حافظ عفيفى قد « تشرف » بالمقابلة بصفته سفير مصر هناك ··

وجاء « ابن الحلال » الذى قال لفاروق ان حافظ عفيفى خرج بعد المقــابلة يقول : « ده لسه عيل صغير وبكره الوفــديين يحطوه فى جيبهم » وهذه هى تهمة العيب فى الذات الملكية التى تمنع من تعيين حافظ عفيفى فى منصب رئيس الديوان ·

وكيف تطلبون تعيين حافظ عفيفي رئيسا لديوان الملك وهو الذى قال عن الملك انه « لسه عيل ؟ » ·

وأثناء هذه المفاوضات والمناقشات حـول رئيس الديوان ومن يرشح له ·· كان الخلاف قد بدأ بين الاستاذ مكرم عبيد وعثمـان محرم من جانب والنقراشي ومحمود غالب من الجانب الآخر ·

وتطور الخلاف واشتد ·· وقرر النحاس أو مكرم عبيد أو كلاهما معا ان التعاون مع النقراشي وزميله محمود غالب داخل هيئة الوزارة أصبح أمرا مستحيلا ·· وانتهى الامر بخروج الاثنين من الوزارة ·

ورأى الوفد ـ أو النحاس ومكرم عبيد ـ ان من الصواب استرضاء النقراشي الذى كان معدودا يومئذ من كبار أقطاب الوفد وله نفوذه وله أنصاره وخصوصا بين شباب الوفد وأعضاء الهيئة الوفدية·· رأوا أن يسترضوه فعرضوا عليه منصب مندوب الحكومة المصرية لدى شركة قناة السويس وكان المنصب شاغرا يومئذ ·· ولمن يشغل هذه الوظيفة أو هذا المنصب مكافأة سنوية قدرها خمســـة آلاف جنيه ·

وتم العرض فى « بيت الامة » وفى مكتب سعد زغلول · وكان الوفد لا يزال يجتمع ويعقد اجتماعاته فى بيت سعد·· وكان رئيس الوفد مصطفى النحاس يستقبل زائريه فى مكتب سعد زغلول ·

وفى هذا المكتب استقبل النحاس « زميله » النقراشي وعرض عليه المنصب المذكور وأبدى النقراشي شكره وقد بدا عليه التأثر الشديد وقام وعانق مصطفى النحاس · واعتقد الجميع أن المســألة قد سويت ·· وان السحابة انقشعت وان خروج النقراشي من الوزارة لن يؤثر على علاقاته مع زملائه أعضاء الوفد ·· أو على مركزه فى هيئة الوفد ·

ولكن جريدة « البلاغ » لم تسكت بل انتهزت هذه الفرصـــة وخرجت بمقال لصاحبها الصحفى الكبير تعاتب فيه ـ أو تعيب فيه ـ على النقراشي قبوله للمنصب ذى الخمسة آلاف جنيه ·

وجريدة البلاغ كانت معدودة يومئذ لســـان حال القصر وكان

صاحبها المرحوم الاستاذ عبد القـــادر حمزة قد بدأ يشن هجومه العنيف على الوفد ورئيس الوفد وحكومة الوفد ..

وقالت الجريدة في مقالها المذكور انها لا تصدق هذا الخـبر بل وترفض ان تصدق ان رجلا مشهودا له بالنزاهة والاعتزاز بالنفس مثل محمود فهمى النقراشي يرضى أن يساوم على مبادئه وعلى نزاهته .. فيتراجع عن خطوة خطاها .. الى آخره .

وكلاما كثيرا فى هذه المعانى . وكان للمقال أثره المقصود .. وأعلن النقراشي ـ رحمه الله ـ انه لم يقبل المنصب المعروض وانه ماض فى سياسته وفى معارضة مشروعات عثمان محـــــرم وزير الاشغال .

وتكهرب الجو من جديد .. وعاد الخلاف الى ما كان عليه .. وبدا أن فصل محمود النقراشى من عضوية الوفد المصرى أمر لا بد منه .. وهنا ارتفعت أسهم الاستاذ عثمان محرم الذى كان اختلف مع النقراشى .. ومكرم عبيد الذى كان اختلف مع محمود غالب .. وارتفعت كذلك أسهم نجيب الهلالى .. لانه ـ كما ذكرت فى مقال سابق ـ كان خصما للنقراشى وكان بين الاثنين عداء أو كراهيـــة لا يعرف أحد على وجه التحقيق كيف بدأت ...

ارتفعت أسهم الاستاذ الهـــلالى فى دوائر الوفد .. وبين يوم ويوم أصبح مقربا من رئيس الوفد مصطفى النحاس وسكرتير الوفد مكرم عبيد ومعدودا من كبار أقطاب الوفديين ..

وتذكر النحاس ومكرم عبيد ان محمد التـابعى كان أرسل اليهما من انجلترا خطابا ذكر فيه خلاصة حديث دار بينه وبين الدكتـور عباس الكفراوى طبيب فاروق الخاص .. وكيف ان طبيب الملك يرشح نجيب الهلالى لمنصب رئيس الديوان ... تذكرا هذا الخطاب وهذا الترشيح .. فتقدما الى القصر يقترحان تعيين الاستاذ الهلالى رئيسا للديوان .

وقال فاروق : « اشمعنى دلوقت ؟ لقد رفضتم تعيين الهلالى أيام كان مستقلا والآن ترشحونه بعد أن أصبح وفديا ؟.. كلا .. »

وأصر فاروق على أن رئيس الديوان يجب أن يكون رجلا مستقلا ·· ومن غير رجال الاحزاب ··

★ ★ ★

وعادت حكومة الوفد ورشحت لمنصب رئيس الديوان المرحـــوم الاستاذ محمد أمين يوسف الذى كان يشـــغل منصب وزير مصر المفوض في واشنطون وكان موجودا يومئذ فى مصر « فى أجازة » ·

وعاد رسول الوفد يحمل رد القصر على هـــــذا الترشيح ·· بالرفض ·· لماذا ؟ لان فاروق كان قد اجتمع بمحمد أمين يوسف على ظهر الباخرة النيل أثناء عودة «جلالته» من رحلته الى أوروبا ·· وعودة المرشح المذكور بالاجازة من أمريكا وقد لاحظ فاروق ان وزيره المفوض كثيرا ما يرفع الكلفة بينه وبين « مولانا » فيضـــحك مثلا أمامه بصوت عال · وفي كلمة واحدة فان «مولانا» لم يستخف دم الاستاذ محمد أمين يوسف ···

★ ★ ★

وانتهى الوفد الى هذه النتيجة وهى ان فاروق مصمم على رفض أى مرشح وكل مرشح تقدمه حكومة الوفد ·· لانه يريد تعيين على ماهر رئيسا للديوان ··

وبعث مصطفى النحاس رسولا الى القصر يقول بلسانه ان على ماهر رجل (مستحيل) والتعاون معه أمر مســـتحيل كما تدل السوابق ·· وان حكومة الوفد النيابية الدستورية لا يمكنها ان تقر تعيين السيد على ماهر فى هذا المنصب الخطير لانه رجل سبق له ان اشترك مع محمد محمود باشا ثم مع اسماعيل صدقى باشا ومن قبلهما مع أحمد زيور باشا فى الاعتداء على الحياة النيابية وعلى الدستور ··

·· والوفد حامى الحريات وحامى الحياة النيابية وحامى الدستور لا يستطيع ان يوافق على تعيين هذا الذى اعتدى على الحريات وعلى الحياة النيابية وعلى الدستور ·

وتأزم الموقف بين فاروق وحكومة الوفد · ولم يكن الخلاف حول

الذى يعين رئيسا للديوان سوى سبب واحد أو مصدر واحـــد من مصادر الخلاف فقد كان هنــــاك أكثر من مصدر وأكثر من سبب واحد ..

كان هناك مثلا (القمصان الزرق) وهى الهيئـة أو المنظمة التى أنشأها الوفد على غرار القمصـــان السود فى ايطاليا الفاشـــية و (القمصان البنى) فى ألمانيا النازية . وقال فاروق يومئذ ـ أو قيل له ـ ان النحاس باشا يمهد بقمصــــانه الزرق لاقامة نظام ديكتاتورى يحكم به مصر كما يحكم موسولينى فى ايطاليا وهتلر فى ألمانيا .

وكانت هناك مسألة التاج الذى يشتهيه فاروق وكان يريد ان تقام له حفلة كبرى يدعى اليها ملوك ورؤساء الدول فى العالم .. وكان المفروض أن تكتتب جميع الطوائف والطبقات بتكاليف صنع هذا التاج .

وكان الوفد ـ أو حكومة الوفد ـ يعارض أولا فى حكاية التــاج هذه ويقول ان التاج أمر مخالف للشريعة الاسلامية ، ولكن فاروق طلب من المرحوم الاستاذ الشيخ المراغى شيخ الجامع الازهر يومئذ أن يعلن ان ليس فى (التاج) شىء يخالف الاسلام . وتحدث شيخ الازهر فعلا الى جريدة المصرى فى هذا المعنى وأعلن ان الاســـلام عرف ولا يزال يعرف التــاج والتيجان وأن ليس فى حمل التــاج ما يخالف تعاليم الاســلام . « وكان الشيخ المراغى رحمـه الله كما هو معروف رجل القصر » ..

وهنا تراجع الوفد .. ووافق على مشروع التاج ولكن موافقتـه كانت من طرف اللسان !

وخاف خصوم الوفد أن تكون حكاية التاج هذه سببا فى اطالة عمر وزارة الوفد اذ أن جمع المال اللازم من طبقات الشعب قد يستغرق شهورا .. وعمل التاج ـ وكان المقــرر أن يكلف بصنعه محل « كارتييه » الجواهرجى الشهير فى باريس ـ سوف يستغرق شهورا .. ثم الاســتعدادات الضخمة لحفلة التتويج التى ســوف

يدعى اليها ملوك ورؤساء حكومات العالم ٠٠ الى آخره ٠٠ كل هذا قد يستغرق عاما أو عامين ٠٠

خاف اذن خصوم الوفد أن يكون مشروع التاج سببا فى اطالة عمر وزارة مصطفى النحاس فقالوا لفاروق ان الوفد لم يعدل عن معارضته ويوافق على تقديم التاج الا لانه يجد فيه فرصة طيبة لتحريض الشعب ضد (مولانا) ونشر أسباب التذمر والشكوى من صاحب الجلالة ٠٠ ذلك لان فى البلاد أزمة اقتصادية وأسعار القطن فى هبوط ٠٠ ولسوف يجمع أعوان الحكومة والوفد المال من الاهالى ومن الفلاحين بالقوة والاكراه ويقولون لهم ان هذه أوامر الملك الشاب لانه يريد أن يضع على رأسه تاجا وتقام له « زفة » يدعى اليها ملوك العالم ؟

واقتنع فاروق ٠٠ وأمر باصدار بلاغ الى الصحف يعلن فيه عدم رغبته فى التاج مراعاة للحالة الاقتصادية فى البلاد وشفقة ورحمة برعاياه المخلصين ٠

ولكن فاروق أحس مرارة الخيبة فى فمه فقد كان يشتهى فعلا تاجا يضعه على رأسه ومن ثم ازداد كرهه للوفد ولمصطفى النحاس الذى كان السبب فى حرمانه من تاجه المنشود ٠

وأدركت مما كنت أسمعه من أفراد الحاشية المقربين الى فاروق أن الامور تسير من سىء الى أسوأ ٠ وكنت يومئذ أقوم ــ بصفةغير رسمية ــ بما يشبه مهمة « ضابط الاتصال » بين فاروق وحكومة الوفد ٠

وكنا فى أوائل شهر سبتمبر ٠ وذات مساء زرت « رفعة » رئيس الوفد ورئيس الحكومة فى داره فى سيدى بشر برمل الاسكندرية وكان يجلس مع « رفعته » الدكتور محمد صلاح الدين ٠٠

ولكننى لم أكد أبدأ الحديث فيما جئت من أجله حتى أشار النحاس الى صلاح الدين ان ينسحب فانسحب ٠

وتحدثت طويلا الى (رفعته) وكان حديثى كله فى معنى واحد وهو ان « جلالة الملك » قد بدأ يسىء الظن بالوفد ورئيسه لانه

أصبح يعتقد ان النحاس باشا يكرهه ويريد الاعتداء على حقوقه ٠٠ وان بعض كبار الوفديين يتحدث فى المجالس الخاصة عن فرصة الانتقام من الملك فاروق لما فعله معهم أبوه الملك فؤاد ٠٠

ورفع النحاس باشا يديه واستعاذ بالله وقال ان هذه كلها أكاذيب من صنع خصومه وانه ـ وأقسم بالله العظيم ـ « يحب فاروق ويستبشر به ويرى الخير فى وجهه » ٠

ثم استطرد يقول :

ـ وأنا لا أفكر ٠٠ ومعاذ الله أن أفكر فى الاعتداء على حق واحد من حقوقه الدستورية ٠٠ ولكننى فى نفس الوقت لا ولن أفرط فى حق واحد من حقوق الامة وحقوق حكومتها النيابية التى كفلها الدستور ٠

وكان « رفعته » يشير الى مسألة تعيين رئيس الديوان وحق الحكومة فى اختيار الذى يعين فى المنصب المذكور ٠

ثم قال انه لا يستطيع أن يمنع « بالقوة » تعيين على ماهر باشا رئيسا للديوان ولكن ٠٠٠

ـ وليكن هذا مفهوما منذ الآن ٠٠ ولكننى لن أوافق على هذا التعيين ٠٠

قلت :

وأمر آخر يأخذونه عليكم وهو ان الوزارة لم تقم حتى الآن بعمل ما تظهر به ارتياحها وسرورها بخطبة جلالة الملك ٠

وكان فاروق قد أعلن خطبة الآنسة صافيناز ذو الفقار ٠

قال وهو يدق بيده المائدة الصغيرة :

ـ أهى دى معاهم حق فيها ٠٠ أيوه معاهم حق ٠٠ تمام معاهم حق ٠٠

ثم قال انه سوف يقيم بعد غد حفلة شاى فى حديقة أنطونيادس ابتهاجا بالخطبة الملكية السعيدة ٠

وأقيمت الحفلة ودعى اليها جميع الشيوخ والنواب وكبار موظفى القصر ٠ وتخلف عن حضور الحفلة مكرم (باشا) عبيد بسبب وعكة أصابته ٠

وحضر الحفلة النقراشي (باشا) ·· وما أن رآه الشيوخ والنواب الوفديون حتى أحاط به عدد كبير منهم يرحبون به ويرجونه أن يسوى الخلافات التى بينه وبين زملائه أعضاء الوفد ·

وبينما هم كذلك أقبل مصطفى النحاس ·· ورأى النقــراشي فتقدم منه ومد اليه يده ·· وتصافح الرجلان ·· وصفق الحاضرون وهتف الاستاذ حسن يس بحياة النحاس ·

وردد الحاضرون الهتاف ثم هتف بحياة النقراشي ورد الحاضرون الهتاف ·· وهنا تعانق النحاس والنقراشي ·· ودوى التصــفيق الحاد وعلا الهتاف ·

وتفاءل الحاضرون خيرا واستبشروا بعودة المياه الى مجاريها بين النقراشي ومصطفى النحاس ·

وبعد الحفلة ذهبت أعود الاستاذ مكرم عبيد فى داره وصــعدت اليه فى غرفة نومه وكان مستلقيا فى فراشه ولا بد أن أحدهم كان أبلغه بالتليفون خبر مقابلة النحاس مع النقراشي وكيف تصافحــا وتعانقا وصفق لهما الشيوخ والنواب ·· لانه سألنى عن التفاصيل فرويتها له ··

وعلت فمه ابتسامة يعرفها أصدقاؤه ·· وقال :

ـ كده ·· طيب لما نشوف ··

ثم تناول سماعة التليفون الموضوع بجانب فراشــه وطلب دار « رفعة » الرئيس ·· وكان النحاس باشا قد عاد الى داره مباشرة بعد انتهاء حفلة الشاى ·· وبعد حديث قصير عن وعكة مكرم وما الذى يشكو منه قال الاستاذ مكرم وهو يضحك ضحكته القصــيرة المتقطعة ···

ـ مبروك يا باشا ···

ولا بد أن النحاس باشا سأله « مبروك على ايه ؟ » لانه قال ·· مع الضحكة القصيرة المتقطعة ـ مبروك الصلح مع النقراشي ···

ولم أسمع طبعا ماذا قال مصطفى النحاس ·· ولكننى فهمت من رد مكرم عبيد ان النحاس أنكر ان هناك صلحا لان مكرم قال :

ـ أنا كمان استغربت الخبر وقلت مش معقول ..

وانتهى الحديث .. وعادت الابتسامة الطبيعيـة المشرقة الى فم الاستاذ مكرم عبيد .. ذلك لان الاسـتاذ مكرم عبيد كان لا يزال يؤمن الايمان كله فى ذلك الوقت ان كل عضـو يختلف مع رئيس الوفد مصطفى النحاس يجب أن يبتر من جسم الوفد بلا تردد أو رحمة .

كان هذا هو مبدأ مكرم عبيد فى عام ١٩٣٧ وهو نفس المبـدأ الذى طبقه عليه مصطفى النحاس فى عام ١٩٤٢ .

ولقد كان لاختلاف النقراشى مع مصطفى النحاس ومكرم عبيـد نتيجة لم تخطر ببال أحد فى أول الامر .

لقد توقعوا مثلا ـ وهو ما حدث فعلا ـ ان يغضب أحمـد ماهر لغضب صديقه وزميله النقراشى وان يقف الى جانبه يؤيده ويدافع عنه وعن رأيه .. ولكن أحدا لم يتوقع أن تغضب السيدة الجليلة صفية زغلول كل هذا الغضب من أجل النقراشى الى حد أن تهـدد باغلاق بيت الامة أو بيتسعد فى وجه الوفد ومصطفى النحاس اذا استمر هذا الخلاف .. وهو ما حدث فعلا بعد ذلك ببضعة شهور .

ان أحدا من أعضاء الوفد لم يكن يتوقع هذه الغضبة منجانب «أم المصريين» . ولكنها غضبت ولم تخف انتقادها المر لمصطفى النحاس ومكرم عبيد وسياسة الاثنين التى توشك أن تمزق الوفد ـ تراث سعد ـ شيعا وأحزابا ..

وقيل يومئذ ان السيدة الجليلة لم تكن تنتظر سوى حادث ما ـ أى حادث ـ لكى تعلن سخطها وغضبها على مصطفى النحاس ومكرم عبيـد .. وان حكاية النقراشى لم تكن السبب الحقيقى وان كانت السبب المباشر لغضب السيدة أم المصريين .

وقال لى الاستاذ مكرم عبيد فى حديث طويل ان السيدة الجليلة غاضبة من الوفد منذ زمن طويل وانها كانت تتحين الفرصة التى تعلن فيها هذا الغضب ..

قال : لقد أدخلوا فى روعها انها «جان دارك» مصر ..

سألته : من هم الذين أدخلوا هذا فى روعها ؟

قال : بعض أقاربها وأنسبائها ..

ومضى الاستاذ مكرم عبيد فى حديثه فقال :

ـ لقد قالوا لها اننا أخطأنا فى حقها يوم سافرنا الى لندن لامضاء المعاهدة « معاهدة ١٩٣٦ » ولم نصحبها معنا لكى تشترك مع بقيـــة زعماء مصر فى امضاء المعاهدة بصفتها أرملة سعد زغلول ... ولقد عاتبتنا حضرتها على هذا ... كما لامنا بعض الناس اننا لم نطلب من مجلس الوصاية الانعام عليها بالوشاح الاكبر من نشان محمد على ... أسوة بالذين أنعم عليهم منا بالوشاح المذكور .. وذات مرة استدعتنى الى مقابلتهـــا وقالت لى انها لاحظت اننا لم نعـــد نستشيرها فى أمورنا وفى شئون البلد كما كنا نفعل من قبل ... وانها قد أصبحت فى نظرنا كمية مهملة ...

قال مكرم :

ـ واستغفرت الله وأكدت لها انها ما زالت عندنا كما كانت موضع الاحترام والتقدير ولكن اذا كنا لم نعد نستشيرها كما كنا نفعل فذلك لانه ليس هناك ما نستشيرها فيه .. وقد كنا نسألها الرأى أيام كنا فى المعارضة وكنا نعرض عليها بيانات الوفد ونداءات رئيس الوفد الى الامة وما أشبه ..

أما اليوم ففى أى الامور أستشيرها أنا مثلا ؟ هل أذهب اليهـــا كوزير للمالية وأستشيرها فى أمر الاعتماد المخصص لبنـــاء دار جديدة لمحكمة مصر الشرعية ؟ أو يذهب اليها زميلى وزير الخارجية ويستشيرها فى أمر فتح قنصلية جديدة لمصر فى مدينة ميلانو ..

اذن فقد كانت السيدة الجليلة ـ يرحمها الله ـ غاضبة ساخطة على الوفد ورئيسه وسكرتيره ولم تكن تنتظر سوى الفرصة الملائمة لاعلان هذا الغضب ..

وقد سنحت الفرصة وأعلنت أم المصريين غضبها وانها تقف الى جانب النقراشى وكان النقراشى رحمه الله من أنســـبائها وزوجا لسيدة كريمة من بنات الاسرة .

وهكذا ٠٠ كسب النحاس ومكرم خصما جديدا قويا فى شخص روج سعد وأم المصريين وكانت صفية هانم زغلول صديقة لنازلى ملكة مصر ٠٠٠ وكانت نازلى تحترم أم المصريين احتراما شديدا ٠٠٠ ولا عجب فقد كانت الآنسة نازلى صبرى تقبل يد صفية هانم زغلول قبل أن تصبح سلطانة مصر وزوج السلطان أحمد فؤاد ٠٠٠ وزارت أم المصريين القصر ٠٠٠ واستقبلها فاروق وأمه نازلى بالتحية والاكرام ٠٠

ولم تخف السيدة الجليلة رأيها وخيبة أملها فى مصطفى النحاس ومكرم عبيد وسياستهما التى توشك ان تمزق الوفد شيعا وأحزابا ٠

وأدرك فاروق انه اذا وقع خلاف بينه وبين الوفد وحكومة الوفد فان أرملة سعد زغلول أم المصريين سوف تقف الى جانبه وتؤيده أمام الشعب الذى كان ولا يزال يقدس ذكرى زوجها الراحل العظيم ٠

* * *

وهكذا ٠٠٠ لم يكن قد مضى على عودة فاروق من رحلته الى أزروبا وممارسته لسلطاته وحقوقه الدستورية شهران اثنان ـ من ٢٨ يوليه الى آخر سبتمبر ١٩٣٧ ـ حتى كانت حكومة الاغلبية الوفدية تواجه جبهة قوية معارضة مكونة من :

رأس الدولة فاروق

جميع كبار موظفى القصر أو الطاقم القديم الذى ترعرع ونما فى عهد الطاغية أحمد فؤاد ٠

على ماهر وأعوانه وأذنابه فى القصر وخارج القصر ٠

أحزاب الاقلية ٠ الاحرار الدستوريين والوطنيين والاتحاديين « ولم يكن حزب السعديين قد تكون بعد » ٠

وفوق هذا وذلك خلاف فى صفوف الوفد يوشك أن ينتهى بخروج النقراشى وأحمد ماهر ومعهما عدد من الشيوخ والنواب ٠

كل هذه العوامل مجتمعة أضعفت هيبة الوفد فى نفس فاروق ٠

ومن ثم أقدم على ما كان مترددا فى الاقدام عليه خوفا من صولة الوفد وشوكته ٠٠ وتحدى حكومة الوفد وأصدر أمره « الكريم » بتعيين على ما هر رئيسا للديوان ٠٠

وكان هذا فى شهر اكتوبر ١٩٣٧ ٠٠٠

اذن فقد أقدم فاروق على اتخاذ الخطوة التى كان مترددا فى اتخاذها ٠٠٠ فأصدر أمره بتعيين على ماهر باشا رئيسا لديوانه ٠

وكان هذا التعيين أو هذه الخطوة ايذانا بسياسة التحدى التى سار عليها فاروق ورجاله ٠٠ سياسة التحدى للوفد ورئيس الوفد وحكومة الوفد وأغلبيتها الماحقة فى مجلسى البرلمان ٠٠٠ وايذانا بسياسة الاستهانة والاستهتار بسلطة البرلمان وحقوق الشيوخ والنواب ممثلى الامة ٠٠٠ أو بعبارة أخرى ٠٠٠ سياسة استهانة القصر واستخفافه بالحكم النيابى وحقوق وحريات وسلطات الشعب ٠

ولسوف يقول التاريخ ان المسئول عن هذه السياسة وهذا الاتجاه الخطير الذى سارت فيه سياسة القصر ابتداء من خريف عام ١٩٣٧ ٠٠٠ المسئول هو رئيس الديوان السيد على ماهر ٠٠٠

ولقد سمعتها بنفسى من جميع كبار موظفى القصر ولا أحب أن أذكر هنا أسماء حتى لا أحرج أحدا منهم ٠

وكان أحمد حسنين رحمه الله قال لى ذات يوم ونحن على ظهر الباخرة « النيل » فى طريق عودتنا مع فاروق الى مصر ـ وقد أكون أشرت الى هذا الحديث ـ قال :

ـ ان أخشى ما أخشاه ان يسير فاروق فى نفس الطريق التى سار فيها أبوه من قبل ٠٠ ولقد صحبتنا خمسة شهور وعرفت الملك ودرست أخلاقه عن قرب ولعلك لاحظت أنه عنيد وأنه اذا داس أحد على طرفه شب على قدميه وضرب المعتدى بشدة وعنف ٠٠ ولهذا أرجوك أن تقنع أصحابك الوفديين بأن فؤاد قد مات ٠٠٠وان فاروق لا ماضى له معهم وأنه فى امكانهم بشىء من السياسة والكياسة أن يكسبوه ٠ وعليهم أن يقدروا مركزه وشعوره بأنه لا يزال غلاما

وأن أقاربه الامراء سوف يضحكون ويسخرون منه ويعيرونه بحداثة سنه وقلة خبرته اذا هو أظهر ضعفا أمام الوفديين ويعقدون المقارنات بينه وبين أبيه ... قل للوفديين أن يجعلوا لهذه المسألة تقديرا في حسابهم فلا يقدموا على عمل بكشف عن ضعف هذا الملك الشـــاب أو يثير سخرية أقاربه الامراء ... والا فانه لن يسكت بل ســـوف يشب على قدميه ويرد الصاع صاعين ... ويوم يسير فاروق في نفس الطريق التى سار فيها أبوه الملك أحمد فؤاد أى طريق اقالة الوزارات وحل مجالس النواب فانه سوف يسير في الطريق ويندفع فيها الى نهاية الشوط لانه شاب وعنيــــد ومعتز بحب الشعب له والتفافه حوله .. وليس له ـ ما كان لابيه ـ من خبرة ومرونة ودهاء ...

وهذه هى خلاصة حديث أحمد محمد حسنين على ظهر البـاخرة « النيل » قبل وصولنا الى الاسكندرية بيومين اثنين .

وفى اليوم السابق على وصولنا الى الاسكندرية ... وكنت متكئا بذراعى على حاجز السفينة شعرت بيد على كتفى فالتفت واذا به فاروق . وألقيت فى الماء بالسيجارة التى كانت فى يدى .

وقال فاروق :

ـ لعلك كنت « سارحا » فى مصر التى نصل اليهـــا غدا ... وأنا أيضا أفكر فيها كثيرا فى هذه الايام وفى المسئوليات التى سوف أحملها على أكتافى .

ثم قال ـ من حديث طويل ـ انه لا يعرف شيئا عن أحوال البلد ولم يدرس بعد ســياسة البلد وسياسة الاحـزاب وان أمامه خمس سنوات سوف يقضيها فى الدرس والبحث ... وانه لن يتدخل فى شئون الحكم الا بأقل قدر ممكن ثم ـ وهذه كلماته بحروفها :

ـ وفى البلد أغلبية تحكم وسوف أتركها تحكم .. والشعب وحده هو الذى يغيرها اذا شاء .

* * *

ووصلنا الى الاسكندرية فى صباح اليوم التالى . وارتدى فاروق ورجال حاشيته سترة الردنجوت .

وكان أول من صعد الى ظهر الباخرة المرحوم سعيد ذو الفقار باشا كبير الامناء وخلفه المرحوم مراد محسن باشا ناظر الخاصة ...

وأسرع فاروق ليقابل كبير أمنائه الشيخ فى منتصف الطريق احتراما من الفتى للشيخ العجوز ورحمة به ...

ومد فاروق يده ليصافح كبير أمنائه وعلى فمه ابتسامة ترحيب .. واذا بالشيخ كبير الامناء ينحنى فوق يد فاروق ويلثمها ... وأشهد أن فاروق حاول فى رفق أن يسحب يده حتى لا يلثمها الشيخ العجوز ...

ثم تركها ...

وتقدم مراد محسن باشا ولثم بدوره يد الملك ... وتراجع الرجلان بظهريهما الى الوراء ...

ثم صعد رئيس الوزراء والوزراء ... وبعضهم اكتفى بالانحناء فوق يد الملك الغلام .. وبعضهم الآخر لثم « اليد الكريمة » .

وأعتقد أن هذه اللحظة كانت نقطة التحول فى اخلاق فاروق أو فى نظرته الى البلد وكبار البلد من ساسة وزعماء .. فقد كانت هذه أول مرة ينحنى فيها شيوخ مسنون فى مثل سن أبيه أو جده ويلثمون يده .

ثم لم يمض يومان أو ثلاثة حتى تحدث مصطفى النحاس رئيس الوزراء عن « حكمة جلالة الملك المحبوب وعن ارشاداته السامية ونصائحه الغالية » ...

حكمة وارشادات ونصائح غلام أمى أو نصف أمى ؟.. وكان فاروق يعرف عن نفسه وعن جهله أكثر مما يعرف الناس .. ماذا كان ينتظر من شاب حديث السن والخبرة ورث الملك والعرش والسلطان والثروة الطائلة والصحة والشباب والوسامة ـ يومئذ ـ ووجد من حب الشعب وتهليله ما وجد ... ومن خضوع كبار البلد وزعمائه ولثمهم ليده وتراجعهم بظهورهم الى الوراء أمامه ..

ماذا كان ينتظر منه الا أن يدور رأسه وتنقلب فيه الاوضاع والموازين ؟..

وأعود الى أصل الحديث ·· كان تعيين على ماهر رئيسا للديوان بالرغم من معارضة حكومة الاغلبية الدستورية ايذانا ببدء سياسة التحدى والاستهانة بالحكم النيابى وبالدستور ·

وبدأت سياسة المرمطة ·· المقصودة ·· وراسم خطوطها «رفعة» رئيس الديوان على ماهر « باشا » ·

كل طلب تتقدم به حكومة الوفد مرفوض ·· المراسيم التى ترسلها الوزارة الى القصر للامضاء ··· تعطل وتبقى فى الديوان · وفى الصحف ـ بين الحين والحين ـ غمز ولمز فى حكومة الوفديين

وفى جريدة البلاغ بالذات ـ وكانت يومئذ كما سبق أن قلت لسان حال القصر وعلى ماهر رئيس الديوان ـ فيها وبقلم صاحبها الصحفى الكبير القدير مقالات نقد مرير لمصطفى النحاس وحكومته·

مثلا ·· مصطفى النحاس رجل مصاب بلوثة فى عقله !·· ومصطفى النحاس يهدف لقلب نظام الحكم ويسلح عصابات قمصانه الزرق بالخناجر !·· ومصطفى النحاس قليل الادب فى حق « سيد البلاد » لانه يتأخر عن مواعيده مع فاروق ··· ولانه يخلع طربوشه ويمسح عرقه أمام فاروق ·· الى آخره ··· الى آخره ·

وكنا نعرف ان وراء هذه الحملة السيد على ماهر رئيس الديوان · ثم بدأ الخلاف بين الوزارة ورئيس الديوان حول مدى حقوق الملك، الدستورية ··· وما هى التعيينات التى تتم بمراسيم والتعيينات التى ينفرد بها الملك ويصدر بها « أمرا ملكيا كريما » ·

وتمسكت الوزارة بنصوص الدستور ··· وخصوصا بالنص القائل أن الملك يحكم بواسطة وزرائه ·· لانه غير مسئول ··· وان الملك يسود ولا يحكم ··

وقال على ماهر ان الملك يسود ويحكم معا ·

وهكذا مضى رئيس الديوان « ينفخ » فى رأس الملك الشاب ··· ويفهمه ـ بالقول والعمل ـ ان ليس فى البلد كله مخلص لجلالته سواه ··· لانه حريص على حقوقه ·· ولانه ينزع له فى كل يوم حقوقا جديدة تزيد فى سلطة الملك وسلطانه ·

وهكذا وضع على ماهر أساس سياسة المزايدة فى حقوق الملك على حساب حقوق الشعب والبرلمان ٠

هذا بينما وقفت أحزاب الاقلية المعارضة وزعماؤها يتفرجون شامتين فى الوفد وحكومة الوفد مسرورين فرحين بالمرمطة التى يتلقاها مصطفى النحاس ٠

ولقد نسوا انه اذا كان هذا هو نصيب الاغلبية من الاحترام والتقدير أو الهزء والاستهانة فماذا يكون مصيرهم ونصيبهم هم اذا تولوا الحكم ؟٠٠

ولكنهم لم يفكروا ولم يقدروا ٠٠ أو لم يهتموا لان شهوة الحكم كانت عندهم أقوى من كل شيء ٠٠٠ وكان كل همهم أن يحطموا الوفد والوفديين حتى ولو حطموا معهم حقوق البلد ودستور البلد أو باعوها للجلاد ثمنا لرءوس الوفد والوفديين ٠

★ ★ ★

وكان الخلاف بين الوفد والنقراشي باشا قد بلغ مداه وأصدر الوفد قرارا بفصل محمود فهمي النقراشي من عضوية الوفد ٠

واتخذ النقراشي « مكتبا » له بشارع المدابغ ــ شريف الآن ــ ولم يكن المكتب للتجارة أو السمسرة أو المحاماة أو لعمل ما مما تفتح المكاتب من أجله ٠٠٠ ولكنه كان للمعارضة ٠

وهكذا كان مكتب المرحوم النقراشي باشا أول مكتب فيما أعلم يفتح للمعارضة ٠٠ وكان النقراشي يقابل أنصاره فى المكتب المذكور ٠٠

وبدأ الناس يتحدثون عن أحمد ماهر وكيف انه ضالع مع صديقه وزميله النقراشي وانه ينتظر الفرصة لاعلان خروجه على زعامة مصطفى النحاس ٠٠

وكان المرحوم أحمد ماهر يومئذ رئيسا لمجلس النواب ٠

★ ★ ★

وكانت الوزارة تتخبط فى سياستها أو قل ان شئت انه لم تكن لها سياسة مرسومة ٠ كانت مثلا تعارض فاروق فى مسائل صغيرة وكانت ترفض له طلبات صغيرة وتقف منه موقف « العناد » ومن ثم

تحمله على الاعتماد على دعاة السوء من خصوم الوفد وتغريه بالاصغاء اليهم والى مشورتهم • هذا بينما كانت فى نفس الوقت تتساهل فى أمور خطيرة وترفض أن تتخذ قرارات حاسمة أو تخطو خطـوات جريئة يفرضها الموقف المضطرب مخافة أن يكون فى هذه القرارات أو هذه الخطوات ما يخالف نصوص الدستور أو روحه ومعناه •

وضعفت هيبة الحكومة •• وارتفع مقام القصر وراح كل موظف كبير فى الدولة يتطلع الى القصر ويلتمس رضـا القصر • وعمت الفوضى •

وأذكر أننى كتبت يومئذ مقالا فى « آخرساعة » وجهت فيـه الحديث الى « رفعة » مصطفى النحاس باشا وقلت فيه ما معناه « أخشى من فرط حرصك على الدستور ان تضيع الدستور » •

وكان أعوان على ماهر باشا يتحدثون صراحة فى كل مجلس عن قرب سقوط وزارة الاغلبية البرلمانية الوفدية •• وكان الاحرار الدستوريون يتحدثون بدورهم عن قرب عودتهم الى الحكم ••

وسافرت أنا الى أوروبا فى مساء ٢٧ نوفمبر عام ١٩٣٧ على ظهر احدى البواخر • وفى صباح اليوم التالى دخل على خادم البـاخرة يحمل الشاى ونسخة من البرقيات التى أذاعها ماركونى أثنـاء الليل •

وبينها برقية من القاهرة تقول ان مصريا اسمه كذا أطلق الرصاص على رئيس وزراء مصر بينما كان فى سيارته فى طريقه الى حفـلة عامة •

وأرسلت برقية الى النحـاس باشا هنأته فيهـا بنجاته ثم قلت له « احكم أو اترك الحكم » •

* * *

وفى يوم ٣١ ديسمبر ١٩٣٧ أصدر فاروق أمره الملـكى باقالة وزارة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا •

وهكذا تحققت مخاوف أحمد محمد حسنين • وخطا فاروق أول خطوة فى نفس الطريق الذى سار فيها أبوه أحمد فؤاد •

خطاها بمشورة رئيس ديوانه السيد على ماهر ٠

ونفس السيد على ماهر كان مستشار الملك أحمد فؤاد ورجله الاول في حزب الاتحاد أو حزب السراى أو حزب « القش » كما سماه الزعيم الخالد سعد زغلول ٠٠٠ وكان هو صاحب الفتوى فى اقالة وزارة النحاس الاولى في يونيه عام ١٩٢٨ ٠ وكانت هذه أول اقالة فى تاريخ الحكم النيابى فى مصر ٠ فالسيد على ماهر الذى أفتى وفتح باب الاقالات أمام أحمد فؤاد فى عام ١٩٢٨ هو نفس السيد على ماهر الذى أفتى وكتب صيغة الاقالة وفتح نفس الباب أمام فاروق فى آخر ديسمبر ١٩٣٧ ٠

واندفع فاروق فى نفس الطريق حتى بلغ نهاية الشوط فلا حرمة للدستور ولا للبرلمان ولا للشعب وممثليه ولا لحقوق الاغلبية ٠٠٠

أمر كريم مكتوب بخط جميل على ورق مصقول وممهور بامضاء « سيد البلاد » فاروق يكفى لشل الدستور وتعطيل نصوصه لفظا ومبنى ومعنى وطرد الحكومة التي اختارها الشعب لغير ما سبب سوى السبب الذي يفتي به رئيس الديوان ٠٠ على هواه ٠

* * *

ولم يفاجأ الوفديون بهذه الاقالة ٠٠ فان شائعات اقالة الوزارة كانت قد ملأت الجو ٠ كما كان أنصار على ماهر وزعماء الاحرار الدستوريين كما سبق أن ذكرت قد ملأوا البلاد أخبارا عن قرب سقوط حكومة الوفد وعودتهم هم الى الحكم ٠

ولكن الوفديين لم يكونوا قد فقدوا كل أمل ٠٠ ذلك ان موظفا من موظفى وزارة المالية اسمه أمين عثمان كان نجمه بدأ يلمع لا لسبب الا لانه صديق شخصى للسفير البريطانى سير مايلز لامبسون ولرجال السفارة ولكبار رجال الانجليز فى مصر ٠

وكان هذا الموظف أو النجم الصاعد من « محاسيب » الاستاذ مكرم عبيد الذى كان أتى به من وظيفته المتواضعة فى الاسكندرية وأسبغ عليه رعايته وعطفه ٠

وكان أمين عثمان يقوم بدور الوسيط ويسهل أو يسوى الامور بين الوزارة والسفير البريطانى وقال أمين عثمان للوفديين « لا تصدقوا هذه الشائعات . وعندى تأكيد من سير مايلز لمبسون ان حكومته لن تسمح باقالة الوزارة » .

قالها المرحوم أمين عثمان لمصطفى النحاس . وقالها لمكرم عبيد . وقالها لكل من قابله من أعضاء الوفد ..

وبدأ يومئذ ان الامر سباق بين على ماهر رئيس الديوان وبين أمين عثمان وسيط الوفد أيهما الذى يسبق صاحبه ويفوز بثقة وتأييد السفارة البريطانية . هل يفوز على ماهر فتطلق السفارة يده فى اقالة الوزارة وتقف على الحياد ؟.. أو يفوز أمين عثمان وتتدخل السفارة وتحول دون الاقالة ؟

وهكذا كان الامر .. أكبر سلطتين فى الدولة .. القصر والوزارة الدستورية البرلمانية كلاهما يلتمس تأييد السفارة والسفير البريطانى .

وفاز على ماهر فوزا مبينا .. على أمين عثمان ..

وكانت الاقالة ..

* * *

واجتمع مجلس النواب .. وأمر رئيس المجلس أحمد ماهر بتلاوة مرسوم الاقالة ثم قال انه لا يسمح بالتعليق عليها .. وهاج النواب الوفديون .. ووقف أكثر من واحد منهم يعلق ويعقب على الاقالة .

وأحمد ماهر يدق جرس الرياسة ويطلب من النواب عدم الكلام .. واشتد هياج النواب ... وكانت جلسة صاخبة .. وأخيرا أمر أحمد ماهر بوليس المجلس باطفاء الانوار .. ورفع الجلسة وغادر منصة الرئاسة .

واضطر النواب ان يغادروا المجلس .. ومن هناك ذهبوا الى النادى السعدى .. ولم يتردد المرحوم أحمد ماهر فى الذهاب معهم فقد كان رحمه الله لا تنقصه الشجاعة ..

ووقف أحمد ماهر بين صيحات الغضب والاستنكار والسخط

والشتائم والاتهام بالخيانة وقف يهاجم سياسة مصطفى النحاس الخاطئة التى أدت الى اقالة الوزارة ..

واشتد هياج النواب وهياج أعضاء الوفد ...

وغادر أحمد ماهر قاعة الاجتماع ... وانسحب معه تسعة وعشرون شيخا ونائبا من أعضاء الهيئة الوفدية ..

خرج وخرجوا ولم يعودوا لأنهم أسسوا الحزب السعدى وانتخبوا أحمد ماهر رئيسا للحزب ومحمود فهمى النقراشى وكيلا للحزب .

وأعلنت المغفور لها صفية هانم زغلول انها كانت فتحت بيت الامة أو بيت سعد لابناء سعد يجتمعون فيه .. ولكن اما وقد اختلفوا وتفرقوا فانها تغلق بيت سعد ولا تسمح لأحد منهم بعقد أى اجتماع فيه .

وأقيلت وزارة الاغلبية الوفدية بفتوى من رئيس الديوان على ماهر ... وكانت الفتوى (ان أعمال الوزارة تجافى روح الدستور) .

لان الوزارة قالت ان الملك يسود ولا يحكم ... بينما روح الدستور ــ هكذا يزعم رئيس الديوان ــ تنص على أن الملك يسود ويحكم .

واذن ففي موقف الوزارة مجافاة لروح الدستور .. وهكذا أقيلت وزارة مصطفى النحاس وخلفتها فى الحكم وزارة مؤلفة من الاحرار الدستوريين ومن كبار المستقلين برياسة المرحوم محمد محمود باشا .

وكان محمد محمود هو « الوريث » السياسى الطبيعى لمصطفى النحاس . فقد كان حزبه هو حزب المعارضة . وكان رحمه الله زعيم المعارضة .

ومن هنا لم يكن فى استطاعة على ماهر أن يقفز الى رياسة الوزارة مباشرة بعد اقالة مصطفى النحاس . والا لكانت المسألة «مكشوفة» ترك « رفعته » اذن محمد محمود يتولى رياسة الوزارة ... ولكن الى حين !

* * *

واستصدرت الوزارة أمرا بحل مجلس النواب ··· وأجريت انتخابات جديدة وكانت « جديدة » حقا فى نوعها ··· فان التنافس بين المرشحين الوفديين وخصومهم من رجال الاحزاب الاخرى لم يكن يدور حول مبادىء أو اختلاف فى السياسة الداخلية أو الخارجية · كلا · بل كان يدور حول مدى اخلاص الطرفين لفاروق ··

وكان بعض المرشحين يلصقون اعلانات الدعاية لانفسهم على جدران القاهرة مكتوبا فيها « انتخبوا فلانا مرشح السراى » ··· أو « لا تنتخبوا فلانا لانه مغضوب عليه من جلالة الملك المحبوب » · ولم تجر الحكومة المؤتلفة هذه الانتخابات العجيبة فى يوم واحد··· بل أجرتها على عدة أيام ···

أجرتها أولا فى الوجه القبلى ثم أجرتها فى الوجه البحرى ··

وحشدت قوات من الجيش ورجال البوليس وبعثت بها الى مراكز الانتخابات فى الوجه القبلى ··· للمحافظة على الامن العام ···

ثم عادت ونقلت نفس القوات الى الوجه البحرى للمحافظة على الامن العام وكان واضحا أن قصد الحكومة هو الارهاب والتأثير فى حرية الانتخابات ··· وأدرك رجال الادارة فى الاقاليم ان المطلوب هو اسقاط مرشحى الوفد فعملوا على اسقاطهم ··· وأسفرت نتائج الانتخابات الاولى ــ فى الوجه القبلى ــ عما يشبه الفوز لحزب الاحرار الدستوريين دون السعديين ·

وهنا شكا السعديون الى السراى من أن رجال الادارة المؤتمرين بأوامر رئيس الوزارة وزعيم الاحرار الدستوريين محمـــد محمود يضطهدونهم ويعملون على اسقاطهم لكى ينجح مرشحو الاحـــرار الدستوريين ·

وصدرت الاوامر من رياســة الديوان رأســا الى مديرى الاقاليم « بمساعدة » مرشحى حزب السعديين ···

وانقلبت الموازين فى انتخابات الوجه البحرى ورجحت كفـــة السعديين · أما حزب الوفد فقد سقط جميع مرشحيه فى الوجهـين البحرى والقبلى ماعدا اثنى عشر مرشحا فقط ··

اثنا عشر نائبا للوفد بعد ان كان له فى المجلس السابق المنحل فوق المائتى نائب .. وسقط فى هذه الانتخابات زعيم الوفديين مصطفى النحاس وسكرتير الوفد مكرم عبيد وجميع أعضاء الوفد وكبار الوفديين .

ولم ينجح من الوفديين البارزين سوى الاستاذ عبد الحميد عبد الحق الذى تولى زعامة المعارضة فى مجلس النواب الجديد .

* * *

واجتمع المجلس الجديد فى شهر ابريل عام ١٩٣٨ .

وفى شهر يولية ــ على ما أذكر ــ بعث السيد على ماهر رئيس الديوان الى السيد مصطفى النحاس رئيس الوفد يطلب منه أن يقابله سرا على الكورنيش فى مكان ما برمل الاسكندرية ... وفى ظلام الليل .

أما لماذا طلب ان تكون المقابلة على الكورنيش ... لا فى دار أحدهما فان السبب بسيط ..

خاف « رفعته » ان يراه أحد وهو يدخل دار مصطفى النحاس .. أو أن أحدا يرى النحاس وهو يدخل داره . وسوف يكون من الصعب تفسير أو تبرير هذه الزيارة .

أما اذا رآهما أحد معا وهما يتحدثان على الكورنيش فان من السهل ان يقال ساعتئذ أن المقابلة تمت بطريق الصدفة .

النحاس باشا يحب المشى على قدميه .. وكذلك « رفعة » رئيس الديوان فأية غرابة فى أن يلتقى الاثنان مصادفة على الكورنيش بينما كل منهما يتنزه سائرا على قدميه ؟

* * *

وكان غرض على ماهر من هذه المقابلة هو « التفاهم » مع زعيم الوفديين . والتفاهم على أساس اسقاط وزارة محمد محمود خصم الوفد العنيد .

وهكذا ولما يمض على وزارة محمد محمود ستة شهور بدأ السيد على ماهر يعمل على اسقاط الوزارة التى كان قد جاء بها وداس بها على

الاغلبية البرلمانية وعلى جسد الدستور ،
لماذا ؟ لكى يتولى هو رياسة الوزارة ٠
ولا أطيل الحديث ٠٠٠

نفس العقبات ونفس العراقيل التى كانت توضع فى طريق مصطفى النحاس ٠٠٠ وضعت فى طريق محمد محمود ٠٠٠ ونفس الاشاعات التى كان يذيعها ويروج لها أعوان وأذناب على ماهر فى عهد وزارة مصطفى النحاس ٠٠ عادت وبعثت من جديد ٠٠٠

وأحس محمد محمود رحمه الله ـ وكان المرض أنهك قواه وأعصابه ـ أحس أن بقاءه غير مرغوب فيه فاستقال ٠٠

ونال على ماهر مشتهاه ٠ وانتقل من رياسة الديوان الى رياسة الوزارة ٠ وكانت الحرب العالمية الثانية على الابواب ٠٠٠ وهتلر يدق طبول الحرب فى كل صباح وموسولينى يخطب فى كل يوم عن حرابه التى عددها ثمانية ملايين والتى تنتظر اشارة منه بالهجوم ٠

* * *

وكان وضع على ماهر فريدا فى بابه فهو رئيس وزارة حزبية برلمانية ولكنه لا ينتسب الى حزب ما وليس له فى البرلمان حزب ما ٠

على من كان يعتمد اذن ؟ على من كان اعتماده فى بقائه رئيسا للوزارة ؟ على فاروق ٠٠٠ وعطف فاروق ٠٠ لا على البرلمان ٠ فقد كان الاحرار الدستوريون ـ أحد شقى حكومته المؤتلفة ـ ناقمين عليه بسبب مؤامرته ضد زعيمهم محمد محمود ٠ وكان نفس شقيقه المرحوم الدكتور أحمد ماهر زعيم السعديين أى الشق الآخر من حكومة على ماهر ٠ كان أحمد ماهر ضده فى السياسة فقد كان ينادى بوجوب دخول مصر الحرب الى جانب الحلفاء بريطانيا وفرنسا ٠٠٠ بينما كان شقيقه على ماهر يقول بوجوب تجنيب مصر ويلات الحرب ٠ ولم يكن هذا رأيه فى أول الامر كما سوف نرى ٠

ولكن الحزبين ـ الاحرار الدستوريين والسعديين ـ صدعا بأمر القصر وأذعنا لمشيئة فاروق وأيدا سياسة على ماهر ٠٠٠

ومن هنا أصبح على ماهر يعتمد على فاروق ٠٠ بعد أن كان فاروق يعتمد على السيد على ماهر ٠

وأصبح فرضا على رفعة رئيس الوزارة أن يعمل ما يمكن عمله استبقاء لعطف فاروق اذا هو شاء الاحتفاظ بمنصبه في رياسة الوزارة ٠

وأعلنت الحرب فى أول سبتمبر ١٩٣٩ ٠ وفى اليوم التالى دعا على ماهر باشا مجلس الوزراء للاجتماع ٠٠٠ وقال لزملائه الوزراء انه دعاهم للاتفاق على صيغة قرار اعلان الحرب ضد ألمانيا ؟٠٠

وبهت الوزراء ٠٠٠ وقال أحدهم وهو الاستاذ عبد الرحمن عزام ٠

ـ ولكن لماذا نعلن الحرب يا رفعة الباشا ؟

أجاب رفعة الباشا :

ـ طبقا لنصوص معاهدة عام ١٩٣٦

وانبرى الاستاذ عبد الرحمن عزام يفند هذا الرأى ويفسر مواد معاهدة ١٩٣٦ وان ليس فى المعاهدة المذكورة شيء يلزم مصر بدخول الحرب الى جانب بريطانيا ٠

وبعد مناقشة طويلة طلب عبد الرحمن عزام من على ماهر ان يترك له هذه المسألة ليسويها مع السفير البريطانى سير مايلز لامبسون ٠

ووافق على ماهر ٠ وذهب عبد الرحمن عزام وقابل مايلز لامبسون وناقشه طويلا فى نصوص المعاهدة واستطاع أن يقنعه أن من مصلحة بريطانيا نفسها عدم اعلان مصر الحرب ٠٠٠ على ألمانيا ٠

وهكذا سويت المسألة ٠٠

ومع ذلك فان السيد على ماهر زعم فيما بعد انه صاحب الفضل فى تقرير سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب ٠ ولقد رأيتم كيف كان يريد أن تعلن مصر الحرب ضد ألمانيا غداة اعلان الحرب ؟٠٠

* * *

والواقع أن على ماهر باشا لم تكن له سياسة معينة ازاء الحرب العالمية الثانية ٠٠٠ أو لعل سياسته ازاء الحرب والدول المتحاربة كانت مثل سياسته الداخلية ازاء الاحزاب وزعماء الاحزاب أى سياسة انتهازية ٠

كان يعتقد فى أول الامر . أى فى أول شهور الحرب أن النصر لبريطانيا وفرنسا ومن هنا أراد كما رأينا أن تعلن مصر الحـــرب ضد ألمانيا ثم عدل عن هــذا الرأى مكتفيا بتقديم جميع المســاعدات والتسهيلات الممكنة لبريطانيا .

ولقد أعلن فيما بعد ـ وبعد خروجه من الوزارة ـ أعلن ان السيد على ماهر تلقى خلال الشهور العشرة التى تولى فيها الحكم ثلاثة وثلاثين خطاب شكر من الجنرال ويلسون القائد العام للقوات البريطانيـــة فى الشرق الاوسط ..

وقد شكر فيها القائد البريطانى رفعـــة رئيس وزراء مصر على الولاء الصادق والتعاون المخلص الذى يلقاه منه ...

ولقد ظل على ماهر على ولائه واخلاصه لبريطانيا وقضية بريطانيا من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٩ الى شهر يونيه ١٩٤٠ ...

أما من شهر يونيه والشهور التالية فان رفعته نقل ولاءه واخلاصه من بريطانيا وحلفائها الى ألمانيا وحليفتها ايطاليا ..

لماذا ؟..

كان على ماهر يعتقد فى أول الحرب كما قلت ان النصر لبريطانيا وفرنسا ... ولكن انتصارات المحور بدأت تتوالى . وراحت دول أوروبا تسقط واحدة بعد واحدة تحت سنابك جحافل هتلر .

بولنده . الدانمرك . النرويج . هولنده . بلجيكا . وظل على ماهر على ولائه واخلاصه لانه كان يعقد الامل على فرنســـا وخط دفاعها المشهور « ماجينو » ..

ولكن هتلر حطم « ماجينو » وانهارت فرنسا واستسلمت . ولم يحل منتصف يونيه ١٩٤٠ حتى كان هتلر يدخل باريس والى جانبه جورنج مارين من تحت قوس النصر فى ميدان « الاتوال » .

وهنا تحول على ماهر باخلاصه وولائه الى ألمانيا . ولا أستطيع أن ألوم الرجل . فلعله كمصرى مخلص كان يطلب الخير والامان لبلاده ومن هنا حرص على أن يقف دائما الى جانب الفريق الغالب المنتصر .

وعلى كل حال فان على ماهر باشا لم يضيع وقتا قبل ان يطلق

لسانه بالسخرية والتشهير ببريطانيا وفرنسا وضعف جيوشهما ٠

وصرح ذات مساء فى مجلسه الخاص بأنه لن يمضى شهر واحد حتى تستسلم بريطانيا ٠

ورد عليه وزير حربيته اللواء صالح حرب باشا ٠٠

ــ بل شهران يا رفعة الرئيس فسوف تقاوم انجلترا شهرين ثم تسقط ٠٠

واتصل خبر هذا الحديث بالسلطات البريطانية فى مصر ٠

وكان فاروق بدوره قد بدأ يسخر من بريطانيا وفرنسا و «ينكت» عليهما فى مجالسه ٠ وكان يحيط به يومئذ بعض الامراء الشبان من المتحمسين لالمانيا النازية مثل عمر الفاروق وعباس حليم ٠

كذلك كان خدمه الخصوصيون من الايطاليين مثل بوللى وبيترو ٠

ويروى أن فاروق خرج مرة للصيد ٠ وكان معه بعض رجال السلك السياسى الاجنبى ومنهم السفير البريطانى مايلز لامبسون ٠

وأراد سير مايلز لامبسون ان يطرى مهارة فاروق فى اصابة الهدف ٠ فقال له عبارة اعجاب فى هذا المعنى ٠٠

وعلى الفور قال له فاروق :

ــ طبعا لان بندقيتى صناعة ألمانية ٠٠

ثم قهقه فاروق ٠٠ وقهقه معه مدعووه من الامراء الشبان ٠٠

* * *

ورأت حكومة لندن ان على ماهر باشا الذى كان قائدها جنرال ويلسون قد شكره فى ثلاثة وثلاثين خطابا على صادق ولائه وحسن تعاونه ٠٠ قد انقلب الى النقيض وأخذ يقيم العراقيل والعقبات أمام السلطات البريطانية العسكرية فى مصر ٠

وها هو ذا ملك البلاد يقفو أثره ٠٠ وأرسل وزير خارجية بريطانيا يومئذ لورد هاليفاكس برقيته المشهورة « على ماهر يجب أن يخرج » ٠

وكان هذا أول انذار بريطانى أو أول تدخل مكشوف واعتداء مفضوح على سيادة مصر المستقلة منذ عقد معاهدة ١٩٣٦ أو معاهدة

الشرف والاستقلال كما أسموها •

وذهب السفير البريطانى سير مايلز لامبسون الى القصر وقابل فاروق وأبلغه نص البرقية أو الانذار ثم قال :

انه ينصح بقيام وزارة وفدية أو على الاقل وزارة يرضى عنها الوفد ويؤيدها وبادر فاروق وأرسل عبد الوهاب طلعت « باشا » لمقابلة النحاس « باشا » فى كفر عشما وعرض ظروف الموقف عليه •

وكان رفعة رئيس الوفد قد ترك القاهرة خوفا من الغارات الجوية ولجأ الى ضيافة أصهار السيدة زوجته فى كفر عشما •

وقابله عبد الوهاب طلعت « باشا » وأبلغه نص برقيــة لورد هاليفاكس ونصيحة سير مايلز لامبسون ثم قال ان « جلالة الملك » يستشيره فيما يجب أن يفعله •

ولكن ••• بينما كان مصطفى النحاس « باشا » يتأهب للعودة الى القاهرة وجمع أعضاء الوفد وعرض الامر عليهم واستصدار قرار برأى الوفد وما يجب عمله ••• اذا بالامر الملكى يصدر الى حسن صبرى باشا بتشكيل الوزارة ••

وكانت مفاجأة للوفد ••• ومفاجأة للسفير البريطانى • مفاجأة أغضبت مصطفى النحاس كما أغضبت سير مايلز لامبسون •

وأسرع أحمد حسنين الى السفارة وقابل السفير ليسأله عن سبب غضبه • وقال سير مايلز « وهذه التفاصيل التى أرويها هنــا قصها على المرحوم حسنين باشا » قال :

ــ لقد كان كلامى واضحا وهو ان الحكومة البريطانيــة تنصح باسناد الحكم الى وزارة وفدية أو على الاقل الى وزارة يؤيدها الوفد•

وقال حسنين وقد تظاهر بالدهشة •••

ــ ولكن حسن صبرى باشا صديقكم ••• وقد اخترناه بالذات لهذا السبب ••

قال السفير ••

ــ نعم حسن صبرى صديقى ••• ولكن يا باشا الصداقة شىء والسياسة شىء آخر ••• ووزارة حسن صبرى لا هى وزارة وفدية

ولا هى وزارة يؤيدها الوفد ٠
وأجاب حسنين وهو يمعن فى اظهار الدهشة والأسف :
ـ اذن فهذه غلطتي أنا ٠ وأنا المسئول عن هذا الخطأ ٠٠ ولكننى أقول انصافا لنفسى أننى حرصت عند اختيار أعضاء الوزارة على أن يكونوا جميعا من أصدقائكم ٠٠ حرصا على توافر التعاون الذى لا بد من وجوده فى الظروف الحاضرة بين السلطات البريطانية والسلطات المصرية ٠٠ ومن هنا اخترنا حسن صبرى ٠٠ ومحمود فهمى القيسى أليس صديقا لكم ؟٠
وراح حسنين باشا يذكر أسماء أعضاء الوزارة الجديدة ويشفع كل اسم منها بنفس السؤال « أليس صديقا لكم ؟ » ثم أنهى حديثه ودفاعه بأن الغلطة غلطته هو ٠٠ وأنه المسئول عن هذا الخطأالمؤسف ولكن يشفع له حسن نيته ٠٠
ورضى سير مايلز أو تظاهر بالرضا ٠ ووقفت المسألة عند هذا الحد ٠

★ ★ ★

وكان على ماهر باشا مغيظا حانقا ٠٠ بسبب ارغامه على الاستقالة وترك الحكم ٠٠
وأشاع أنصاره وذيوله أنه ذهب ضحية شجاعته ووطنيته ومواقفه ضد مطالب الانجليز ٠٠ وصدق فريق كبير من الجمهور هذه الدعوى ٠٠ وتمتع على ماهر باشا «بالبطولة» ولقب «البطل» بضعة أسابيع ٠
ولكن الحقائق لم تلبث أن تكشفت فعرف الجمهور أن السيد على ماهر كان يريد ـ غداة قيام الحرب ـ أن تعلن مصر الحرب ضد ألمانيا وتقف الى جانب بريطانيا وفرنسا ٠٠ وأن السيد على ماهر تلقى خلال الشهور التى أمضاها فى رئاسة الحكم ثلاثة وثلاثين خطابا من الجنرال ويلسون يشكر فيها رفعته على ولائه وصادق تعاونه مع السلطات البريطانية ٠
تكشفت هذه الحقائق ٠٠ وسقط ثوب البطولة عن رفعة الرئيس السابق ٠٠

ومع ذلك فان على ماهر «باشا» لم يسكت ٠٠ بل انطلق يقيم العراقيل ويخلق المتاعب فى طريق وزارة حسن صبرى وكان رفعته لا يزال محتفظا بشيء من نفوذه عند فاروق ٠٠

وذهب عبد الوهاب طلعت «باشا» صديق على ماهر أو الذى كان صديقه الى يوم استقالته من رياسة الوزارة ٠٠ ذهب الى حسن صبرى باشا وقال له ان على ماهر يشنع عليك ويتهمك بأنك صنيعة الانجليز وانك ٠٠

ولكن المرحوم حسن صبرى باشا لم يتركه يتم حديثه بل قال له :

ـ أن على ماهر صديقى ٠٠ وأنا لا أسمح لك بأن تطعن فى أخلاقه أمامى ٠٠ وخصوصا أنك كنت صديقا له ٠٠

★★★

وقال حسنين باشا وهو ينهى هذه التفاصيل :

ـ وهكذا ألقى حسن صبرى باشا درسا فى الأخلاق على عبدالوهاب طلعت ٠٠ وعلى ماهر فى الوقت نفسه ٠

ثم حدثنى رحمه الله عن سبب اختيار حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة ٠٠ وعدم الأخذ بنصيحة سير مايلز لامبسون وهى اسناد الحكم الى وزارة وفدية أو وزارة يؤيدها الوفد ٠٠ قال :

ـ لقد كان رأيى دائما أن الوفد هو القوة الشعبية الوحيدة فى هذا البلد وانه بهذه الصفة أحق بالحكم من جميع الاحزاب الأخرى لأنه يتمتع بثقة الناخبين ٠ وأنا أعتقد كذلك أن الوفد قوة يمكن استغلالها فى استخلاص حقوق البلاد من الانجليز ٠٠ ولقد عملت ولا أزال أعمل على تسوية جميع الخلافات بين الملك ومصطفى النحاس وازالة أسباب سوء التفاهم التى خلفها عام ١٩٣٧ وما تلاه ٠٠ وهذه خطوة لا بد منها قبل عودة المياه الى مجاريها الطبيعية أى قبل عودة الوفد الى تولى الحكم ٠ ومن هنا تفهم لماذا رفضت أن أعمل بنصيحة سير مايلز لامبسون ٠٠ لأن العمل بهذه النصيحة كان معناه أن الوفد ٠٠ وهو القوة الشعبية الوحيدة ٠ وقوتها فى استخلاص حقوقنا من انجلترا ، انما يعود الى الحكم بارادة الانجليز وهذا أمر

ليس فى مصلحة البلاد ولا فى مصلحة آلملك ولا فى مصلحة الوفد نفسه ٠٠ وأظن أنك توافق على أنه من مصلحتنا جميعا أنه اذا عاد الوفد الى الحكم فيجب أن يعود بالطريق الشرعى السليم أو بموافقة صاحب آلعرش لا بارادة الانجليز ٠٠

ثم قال رحمه الله وهو يبتسم :

ـ ورأيت أن نقوم بمناورة تمويه وتضليل ذرا للرماد فى عيون السفير البريطانى فطلبت من الملك أن يوفد عبد الوهاب طلعت لمقابلة النحاس « باشا » فى كفر عشما ٠٠ لكى ألفت أنظار السفارة وعيونها الى كفر عشما وأصرفها عما يجرى فى آلقاهرة ٠٠ وهكذا بينما كان عبد الوهاب طلعت فى كفر عشما كنت أنا قد اتصلت بحسن صبرى وأعضاء وزارته وأعددت المراسيم بتشكيل الوزارة ٠٠ وفوجىء السفير آلبريطانى بوزارة حسن صبرى وبالأمر الواقع ٠٠ صحيح أن حسن صبرى باشا صديق للسفير وللانجليز ولقد اخترناه لهذا السبب كسرا لحدة التحدى فقد كان اغفال نصيحة السفير البريطانى تحديا منا لا شك فيه ٠٠ ولكن حسن صبرى مع ذلك مصرى وطنى مخلص لبلاده قبل كل شيء ٠

★ ★ ★

هذا هو مجمل حديث المرحوم أحمد محمد حسنين عن الظروف والاسباب التى دعت لاختيار المرحوم حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة فى شهر يونية عام ١٩٤٠ ٠ وللتاريخ وحده أن يحكم على سياسة حسنين باشا ٠٠ وهل أصاب فيها أو أخطأ ؟ ٠٠ وهل قيام وزارة وفدية ٠٠ أو وزارة يؤيدها الوفد فى يونية ١٩٤٠ كان يجنب مصر مذلة حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وهل اغفال « نصيحة » آلسفير البريطانى كان السبب فى وقوع الحادث المشئوم المذكور أم لا ؟ ٠

كل هذه الأسئلة فرضية سوف يجيب عنها التاريخ ٠

تولت اذن وزارة حسن صبرى باشا الحكم ٠٠ وكان أول طلب جاءها من السلطات البريطانية هو « اعتقال على ماهر بسبب نشاطه العدائى ضد بريطانيا وحلفائها » ٠

ورفض حسن صبرى هذا الطلب بالرغم مما كان يعرفه عن نشاط على ماهر ضد وزارته ومساعيه لاسقاطها والاشاعات التى كان يذيعها عنه وعن الوزارة ..

ولكنه ـ أى حسن صبرى ـ أوفد رسولا الى على ماهر يبلغه ماحدث وينصحه بالاخلاد للسكينة والكف عن « التشنيع » فى مجالسه الخاصة على بريطانيا وحلفائها .

ولم يعمل السيد على ماهر بالنصيحة .. بل استمر فى نشاطه العدائى ضد الانجليز وضد حسن صبرى الذى رفض أن يعتقله .

وعاد المرحوم حسن صبرى وأوفد رسولا آخر الى السيد على ماهر وكان الرسول فى هذه المرة هو الدكتور أحمد ماهر شقيق على ماهر .

وكانت النصيحة هذه المرة أن يغادر على ماهر باشا القاهرة الى قصره الأخضر فى ريف البحيرة .

وعمل على ماهر بالنصيحة وسافر الى القصر الأخضر وأقام فيه يومين اثنين ثم عاد الى القاهرة ..

★★★

ولا أعرف لماذا أو كيف .. ولكن حسن صبرى باشا ـ وبعد شهر واحد من توليه الحكم ـ تقدم الى فاروق يلتمس تعيين أحمد حسنين باشا رئيسا للديوان .. وكانت حجته أن المنصب المذكور شاغر منذ عام .. وانه مادام حسنين باشا هو الذى يقوم فعلا بأعمال رئيس الديوان فان من المرغوب فيه أن يعين رسميا فى المنصب المذكور .

وأعتقد ـ وان كنت أعترف أن ليس تحت يدى دليل يبرر هذا الاعتقاد ـ أعتقد أن حسن صبرى باشا انما تقدم بهذا الطلب استجابة لرغبة و تلميح من حسنين باشا . أو لعله أراد أن يكافىء حسنين على حسن صنيعه يوم أشار باختياره رئيسا للوزارة التى خلفت وزارة على ماهر ..

وعلى كل حال فان فاروق رفض فى أول الأمر أن يعين حسنين رئيسا للديوان .. لأنه كان يريد أن يحتفظ بالمنصب المذكور لعلى ماهر باشا .. ولم يكن ينتظر سوى الفرصة المناسبة التى تتحسن

فيها العلاقات بين الانجليز وعلى ماهر ٠٠ لكى يعيده رئيسا للديوان.
ولكن حسن صبرى لم يسكت بل مضى يكرر هذا الطلب أو هذا الترشيح ٠٠ وفاروق يرفض ٠٠ حتى نشأ ما يشبه الأزمة الوزارية لأن حسن صبرى جعل بقاءه فى رئاسة الوزارة رهنا بتعيين أحمد حسنين رئيسا للديوان ٠٠

وأخيرا ـ وكان ذلك فى شهر أغسطس ١٩٤٠ على ما أذكر ـ وافق فاروق وصدر الأمر بتعيين أحمد محمد حسنين باشا رئيسا لديوان « جلالة الملك » ٠٠

وتحقق لحسنين باشا ما كان يتمناه منذ عام ١٩٣٧

★ ★ ★

ولكن الأجل لم يطل بالمرحوم حسن صبرى باشا ٠٠ فبينما كان يلقى « خطاب العرش » فى يوم السبت الثالث من شهر نوفمبر ١٩٤٠ أصيب بنوبة قلبية ٠٠ وفاضت روحه رحمه الله فى قاعة مجلس النواب .

وفى مساء نفس اليوم صدر مرسوم ملكى يكل الى عبد الحميد سليمان باشا القيام بأعمال رئيس الوزارة ٠٠ ريثما تتم المباحثات والاستشارات بشأن آختيار الذى يخلف حسن صبرى باشا فى رئاسة الوزارة ٠٠

وكان هذا المرسوم مناورة تمويه وتضليل أخرى من حسنين باشا رئيس الديوان لأن السفارة البريطانية فهمت ـ كما فهم الناس ـ من انابة عبد الحميد سليمان باشا للقيام بأعمال رئيس الوزراء أن أمر اختيار الرئيس الجديد للوزارة قد يطول ويستغرق بضعة أيام .

ولكن السفارة والسفير والوفد والاحزاب ٠٠ كل هؤلاء فوجئوا بعد يوم واحد باختيار حسين سرى «باشا» رئيسا للوزارة .

★ ★ ★

وقص على حسنين رحمه الله تفاصيل ما حدث فى مساء يوم وفاة حسن صبرى باشا فقال :

ـ كلمنى الملك بالتليفون فقلت له : « هل يأذن لى مولانا بمقابلته ؟ »

فقال : « أيوه ٠٠ لكن خليك فى مكتبك وأنا جاى عندك » ٠٠

وجاء فاروق وجلس وقد تكلف هيئة الجد ٠٠ وعرض على رياسة الوزارة ٠٠ وكان على ماهر باشا هو السياسى الوحيد الذى استقبله الملك سرا بعد وفاة حسن صبرى باشا واستشـاره فى الموقف ٠٠ وأدركت أن ترشيحى لرياسة الوزارة جاء من جانب على ماهر ٠٠ وانه مقلب من رفعته ٠٠ لكى يتخلص منى نهائيا ٠٠ يعنى أبقى رئيسا للوزارة أسبوعين أو شهرا ثم أقال أو أرغم على الاستقالة واخرج من السراى الى دارى لأبقى فيها نهائيا ٠

أدركت هذا بالبديهة ٠٠ ولأن فاروق الذى كان يعارض ويرفض تعيينى رئيسا للديوان لا يمكن أن يكون هو صاحب فكرة تعيينى رئيسا للوزارة ٠٠ الفكرة اذن فكرة على ماهر ولغرض خبىء ٠٠

ومضى حسنين فى حديثه فقال :

ـ واعتذرت بأدب من عدم قبول المنصب الكبير ٠٠

وقال لى الملك : « لا تتسرع ٠٠ فكر شويه كمان وسوف أعوداليك»

وتركنى وانصرف ٠٠ وهـنا دخل على عبد الوهاب طلعت باشا فطلبت منه أن يواتينى بدوسيهات رؤساء الوزاراتوالوزراء السابقين

وفى ادارة المحفوظات بقصر عابدين ملف أو «دوسيه» خاص لكل رئيس وزارة سابق وكل وزير سابق وكل زعيم سياسى من الساسة المصريين ٠

وعاد الملك وسألنى :

ـ هيه ؟

وقلت له :

ـ ياتقعدنى جنبك ٠٠ ياتخرجنى من السراى ٠

قال : يعنى ايه ؟

قلت : أنا لا أصلح لهذا المنصب ٠٠ ثم آن الناس سوف تقول ان حسنين ربى فاروق وكسب نفوذا عنده لكى يستغل هذا النفـوذ ويعمل نفسه رئيس وزارة بينما فى البلد عشرات ممن يصلحون خيرا منه لهذا المنصب ٠٠

وهنا تساءل فاروق : زى مين يعنى ؟
قال حسنين : هذا ما أبحث فيه الآن ..
قال فاروق : ضرورى هذا المساء .. تقول لى مين ..
قلت : سمعا وطاعة .. سوف أقدم اسم المرشح هذا المساء .

* * *

وخرج فاروق .. ووضعت أمامى (الدوسيهات) التى كان جاءنى بها عبد الوهاب طلعت .. وفتحت بعضها .. حتى يظن من يدخل وينظر اليها أننى كنت أبحث فيها .. ولكننى لم أحاول أن أبحث لأننى كنت اخترت فعلا اسم المرشح لرياسة الوزارة ..

وعاد فاروق بعد نحو ساعة وسألنى : « مين بأه يا سيدى الذى ترشحه ؟ »

قلت : حسين سرى .

وصاح فاروق : أعوذ بالله ده راجل بتاع الانجليز . مش ممكن شوف لك حد تانى ..

وتركنى وخرج ..

وجلست أنتظر عودته .. وكنت أعرف أن فاروق لا يستريح الى حسين سرى ولا يحبه رغم وجود صلة النسب العائلية ورغم اجتماعه به مرارا فى سهرات الاسرة ، فقد كان حسين سرى زوجا للسيدة خالة « الملكة فريدة » .

كنت أعرف هذا ولكننى مع ذلك صممت على التمسك بترشيح حسين سرى لرياسة الوزارة .

وعاد فاروق وسألنى : هيه ؟ وجدت مين غير حسين سرى ؟

قلت : مش لاقى حد تانى يامولانا .. مفيش قدامى غير حسين سرى ..

وانفجر فاروق غضبا وصاح :

ـ ايه الحكاية ؟ دى مؤامرة انجليزية وآلا ايه ؟..

وطفرت دمعة من عينى ـ هكذا قال لى حسنين .. ولا أدرى هل كانت دمعة صادقة أم كانت دمعة تمثيل ، فقد كان حسنين رحمه الله

يجيد التمثيل ويعرف كيف يندمج فى دوره .

وتأثر فاروق ـ فقد كنا لا نزال فى عام ١٩٤٠ وكان قلب فاروق لم يتحجر بعد .. تأثر فاروق وتقدم من حسنين وقبله واعتذر اليه .

ثم قال : لكن يا حسنين مش فاهم سر تمسكك بحسين سرى .. اشمعنى يعنى حسين سرى وده بتاع الانجليز ؟

وأجاب حسنين :

ـ معاذ الله أن أرغم مولانا على قبول أمر ما .. ولكننى أعتقد أننى استطيع أن أخدم جلالتك وأخدم البلد وأنا فى منصب رئيس الديوان وحسين سرى فى منصب رئيس الوزراء .. فاذا لم يوافق مولانا فانى ألتمس منه أن يتركنى أروح بيتى ..

ـ يعنى ايه .. تفوتنى ؟ ..

قال حسنين :

ـ لا يا مولانا .. وانما علشان يكون مولانا حر فى اختياره وفى سياسته ..

وعاد فاروق يتساءل :

ـ يعنى عايز تسيبنى دلوقت ؟ ..

وهنا انطلق حسنين يتحدث عن حبه واخلاصـــه لفاروق وعن الخدمات التى أداها له .. وعن كيف كان يأمل أنه قد كسب ثقة « مولاه » الملك .. ولكنه قد أدرك مع الأسف من حديث اليوم أن « مولاه » لا يثق فيه ..

واغرورقت عيناه مرة أخرى ...

وأغرورقت عينا فاروق .. وقبل حسنين مرة أخرى .. وهنا راح حسنين يشرح لفاروق سبب ترشيحه لحسين سرى فقال :

ـ يعرف مولاى ان سياستى هى هى لم تتغير منذ أول يوم استلمتك فيه وأنت أمير . وسياستى هى أن تكون لك حقوقك .. وحسين سرى مهما يكن رأى مولانا فيه فانه نسيبك وهو أحرص الناس على حقوقك .. ونحن فى ظروف حرب عالمية ومفاجآت دولية خطيرة .. والحكم الآن فى ايدى أحزاب أقلية لا تمثل البلاد .. والوفد صاحب الاغلبية

الحقيقية مقصى عن الحكم ·· وتعيين رجل مستقل غير حزبى مثل حسين سرى فى رياسة الوزارة قد يخفف ولو قليلا من حدة خصومة الوفد للسراى · ثم أن حسين سرى رجل مقبول عند الانجليز ·· وسوف يسكتون على تعيينه كما سبق أن سكتوا على تعيين حسن صبرى ولا يلحون ولا ينذرون بوجوب قيام وزارة وفدية ·· يعنى اننا بتعيين حسين باشا سرى نتفادى الاصطدام الآن بالانجليز ·· وحسين سرى كذلك هو الوحيد الذى سوف يرضى بتنفيذسياستى بل ويرضى بمساعدتى فيها ·· وسياستى هى التمهيد لعودةالوفد الى الحكم بعد أن يقدم الوفد لمولانا الترضية الكافية والضمانات الكافية على عدم تكرار ما فعلوه فى سنة ١٩٣٧ ·

ولما انتهى حسنين من بيانه أو من دفاعه ·· هز فاروق رأسه موافقا وقال :

ـ وهو كذلك ·· فتشوا على حسين سرى ··

وكان الوقت بعد منتصف الليل ··

وراح الرسل والتليفونات تبحث عن حسين سرى ·· ووقف عبد الوهاب طلعت باشا بباب السراى ينتظر وصول رئيس الوزارة الجديد ·· فلما وصل استقبله بالاحضان وهنأه ·· فكان أول المهنئين ·

قال حسنين ·· « ويظهر أن عبد الوهاب باشا أراد أن يفهم حسين سرى انه هو صاحب الفكرة أو صاحب الفضل فى اختياره لرياسة الوزارة ·· »

وأشهد ان حسنين رحمه الله كان مخلصا فى تنفيذ سياسة التمهيد لعودة الوفد الى الحكم ·· وكان يصارح بها الساسة والزعماء الذين يطمئن اليهم ويثق فى سلامة تقديرهم وحكمهم ومنهم الدكتور محمد حسين هيكل رئيس حزب الاحرار الدستوريين ·

روى لى حسنين ان الدكتور هيكل زاره ذات يوم بعد قيام وزارة حسين سرى وقال له :

ـ قل لى بأه يا أبو الحسن ·· وسيبك من شغل المشيخة والدروشة بتاعتك ·· ايه بالضبط سياستك دلوقت ·· ؟

فشرحت له سياستى وهى التمهيد لعـــودة الوفد الى الحكم لأنه صاحب الاغلبية الحقيقية ·· هذا مع قيام حياة نيابية سليمة ووجود معارضة صالحة قوية تؤدى مهمتها على الوجه الصحيح ·· هذا مع الحد من طغيان الاغلبية والعمل على وجود معارضة قوية ··

ووافقنى الدكتور هيكل على سياستى هذه وتمنى لى التوفيق فى تنفيذها ··

* * *

قامت وزارة حسين سرى فى نوفمبر عام ١٩٤٠ ، وأقبل صيف ١٩٤١ وذهب مصطفى النحاس باشا ومكرم باشا الى مصيف رأس البر ليمضيا الصيف ·· فى أمان من الغارات الجوية ··

وذات يوم هبط على رأس البر الاستاذ مصطفى أمين الذى كان يومئذ رئيسا لتحرير مجلة الاثنين ·

وقال مصطفى أمين للاستاذ مكرم عبيد انه جاء يحمل رسالة من رئيس الديوان أحمد حسنين باشا · وفحوى هـــذه الرسالة انه اذا التمس « رفعة » رئيس الوفد مصطفى النحاس باشا مقابلة « جلالة الملك » فان التماسه سوف يجاب فى الحال ···

وكان مصطفى النحاس لم يقابل الملك فاروق منذ أقيلت وزارته فى ديسمبر ١٩٣٧ وكان المعنى الواضح من هذه الرسالة أو هذه المقابلة المطلوبة ان السراى تخطو الخطوة الاولى فى سبيل التمهيد لعودة المياه الى مجاريها بين صاحب العرش ·· وبين الوفد صاحب الاغلبية فى البلاد ··

ورحب الاستاذ مكرم عبيد بهذا الطلب ·· وذهب لفوره وأبلغه للسيد مصطفى النحاس ··

ولكن النحاس باشا تشكك فى صدق الرسالة وفى صدق الرسول مصطفى أمين وقال ما معناه ان هذا كله « كلام فارغ وتخدير أعصاب »

وكان رفعته ولا شك متأثرا بمناورة كفر عشما يوم زاره عبـــد الوهاب طلعت باشا ليستشيره باسم فاروق فى الموقف السياسى بعد

تلغراف لورد هاليفاكس •• وكيف فوجىء بعدها بتأليف وزارة حسن صبرى باشا ••

تشكك اذن مصطفى النحـــاس باشا فى جـــدية رسالة الاستاذ مصطفى أمين ••

وأخيرا قال الاستاذ مكرم عبيد : ان الدليل على جدية أو عدم جدية الرسالة هو أن يطلب الاستاذ مصطفى أمين بالتليفون حسنين باشا ويحدثه أمامنا فى الموضوع ••

ووافق مصطفى النحـــاس باشا وطلب مصطفى أمين قصر عابدين بالتليفون •• وقال اعطونى حسنين باشا وأعطوه حسنين باشا ••

وقال مصطفى :

ــ مكرم باشا واقف جنبى وعاوز يسمع منك الكلام الذى طلبت منى ابلاغه لمصطفى النحاس باشا •

وناول مصطفى أمين سماعة التليفون لمكرم باشا عبيـــد • وقال حسنين لمكرم نفس الكلام الذى كان نقله اليه مصطفى أمين • وأضاف ان مقابلة النحاس للملك أمر مرغوب فيه وخطوة أولى لابد منها ••

وسأله الاستاذ مكرم عبيد :

ــ وهل أحضر أنا أيضا الى القاهرة مع مصطفى باشا •• ؟

وقال حسنين باشا :

ــ نعم ، يستحسن لو معاليك حضرت كمان ••

وهنا قال مكرم باشا :

ــ اذن وأنا التمس مقابلة جـــلالة الملك باســم مصطفى النحاس وباسمى ••

وأجاب حسنين باشا :

ــ والالتماس مقبول ••

وحدد حسنين موعدا للمقابلة « الملكية الكريمة » •

★ ★ ★

وغادر النحاس باشا ومكرم باشا مصيف رأس البر الى القاهرة ••

وفى القاهرة عرف مكرم باشا ان المقابلة مقصورة على النحاس باشا وحده ..

وغضب مكرم وتساءل عن معنى دعوته للحضور الى القاهرة وهل دعوه للحضور لكى يبلغوه ان الملك يريد أن يستقبل النحاس باشا وحده .. ؟

★ ★ ★

وتمت المقابلة .. بين فاروق والنحاس ..

وتحدث فاروق عن الموقف وعما يلقاه من عنت الانجليز واضطهادهم له وسأل رئيس الوفد هل يقف الوفد الى جانبه اذا اصطدم يوما بالانجليز .. ؟

وتحمس مصطفى النحاس وأعلن انه وجميع الوفديين يفتدون « الملك » بدمائهم ورقابهم ..

ومرر « رفعته » بيده على عنقه تأكيداً لمعنى الفداء .. ثم أخرج من جيبه مصحفا وأقسم عليه انه ورجال الوفد مخلصون لفاروق وانهم .. وانهم .. الى آخره ..

وهكذا محت هذه المقابلة جميع الآثار السيئة التى كانت خلفتها إقالة وزارة النحاس باشا فى ديسمبر ١٩٣٧

وخرج النحاس باشا من مقابلة فاروق ، وهو يدعو له ولعرشه بالعز والتأييد ..

★ ★ ★

وعاد النحاس ومكرم الى مصيف رأس البر ..

ولم يمض على عودتهما أيام معدودة حتى أقام بعض كبار الوفديين من المصيفين حفلة تكريم لمصطفى النحاس – ولعلها كانت حفلة موعزا باقامتها – وقام النحاس وألقى خطبة شن فيها على الانجليز حملة شعواء . وأذكر أنه قال بين ماقاله أن انجلترا تزعم انها تحارب من أجل الديمقراطية والحريات ، بينما هى تحارب الديمقراطية وتضطهد الحريات فى مصر ..

.. ثم دعا رئيس الوفد لجلالة الملك المفدى .. فاروق ، وأعلن

اخلاصه واخلاص الوفديين لصاحب العرش المجيد .

★ ★ ★

وكان هذا كما قلت فى أواخر صيف عام ١٩٤١

واهتزت مقاعد وزارة حسين سرى تحت اصحابها .. وحسب الناس أن أيام هذه الوزارة « الائتلافية » المؤلفة من أحزاب الاقليات .. حسبوا ان أيامها معدودة وان الوفد يوشك أن يعود الى الحكم ولكن ..

★ ★ ★

ولكننى أعود اليوم الى الحديث عن سياسة حسنين وهى التمهيد لعودة الوفد الى الحكم وكيف سار فيها وكيف عمل على تنفيذها .. وهل هو أخطأ فى مماطلته وتسويفه .. ؟

قال لى المرحوم حسنين باشا فى حديث طويل فى مساء يوم ٩ مارس عام ١٩٤٢ :

ـ لقد كان دائما من رأيى أن نظام الحكم القائم فى مصر نظام غير طبيعى وغير مأمون ولا مرغوب فيه ، اذ ان الحكم كان فى يد أحزاب الاقلية .. بينما تقوم الاغلبية بمهمة المعارضة .. وهذا وضع مقلوب ومن هنا بدأت أعمل لتصحيح الاوضاع واعادة الامور الى سيرها الطبيعى .. أى أغلبية تحكم وأقلية تعارض ..

وذات يوم — وقد أحسست أن الجو المناسب مهيأ تماما قلت للملك :

« أظن يامولانا أن وزارة حسين سرى تعبت خلاص »

فقال لى : أيوه .. والورقة اللى فاضلة هى مصطفى النحاس ..

★ ★ ★

وكنا فى أواخر صيف ١٩٤١ وكانت أحاديث الخلاف بين السعديين والدستوريين وبينهم وبين رئيس الوزارة حسين سرى على الالسنة فى الاندية والمجتمعات .. وكان حسين سرى يرسل من وقت لآخر لسانه بكلام مقذع شديد فى حق بعض أقطاب السعديين حتى انه تحدث مرة أمام بعض الكبراء فقال عن قطب سعدى كبير انه يأوى اللصوص فى عزبته ويحميهم وان له دوسيها خاصا بين دوسيهات المشبوهين بوزارة الداخلية .. ومع ذلك — هكذا قال حسين سرى —

«مع ذلك فان السعديين يطلبـــون منى تعيين « المشبوه » المـــذكور وزيرا ·· !؟

ومضى حسنين يقول : وكانت أخبار هذا الخلاف تصل الى الملك أولا بأول · ومن هنا وافقنى على رأيى عندما قلت له ان وزارة حسين سرى تعبت خلاص ··

ثم قال حسنين :

ـ لكن الملك دخل على فى صباح اليوم التالى لحديثنا وقال انه يرحب بقيام وزارة على رأسها مصطفى النحاس·· بس بشرط أن تكون وزارة ائتلاف تمثل فيها جميع الاحزاب ··

ولابد أن يكون الملك قد أفضى برأيه هذا - أو بحديثنا كله - الى آخرين من رجال الحاشية لأن الخبر بلغ رئيس الوزارة حسين سرى باشا فقد زارنى فى مكتبى وقال لى بلهجة غضب وعتاب مر :

ـ طيب يا أخى ما تجيب أصحابك الوفديين فى الحكم وتخلص مرة واحدة بدل ما تمرمط فى كده ··

★ ★ ★

والآن نلخص الموقف فى أواخر صيف ١٩٤١ ·

فاروق تصالح مع مصطفى النحاس ··

مصطفى النحاس يخطب ويمتدح « المليك المفدى فاروق » ويسب الانجليز أعداء البلاد ··

فاروق يفوض رئيس ديوانه حسنين فى اعادة الوفديين الى الحكم على شرط أن تكون الوزارة ائتلافية تمثل فيها الاحزاب تحت رئاسة مصطفى النحاس ··

وبدأ حسنين فى تنفيذ الخطوات الاخيرة وهى اقناع الوفد والاحزاب الاخرى بالاتفاق على هدنة وقبول الاشتراك فى الحكم ··

وقيل يومئذ ان الاستاذ مكرم عبيد تعهـــد باقناع النحاس باشا بقبول رئاسة الوزارة الائتلافية ··

واقتنع النحاس باشا فى وقت ما وأعلن فى حديث له انه يمد يده

الى الجميع من أجل العمل فى هذه الظروف الخطيرة لمصلحة البـــلاد العليا ··

ولما لم تجب الاحزاب على هذه الدعوة ·· عاد « رفعته » وأعلن انه « قبض يده الممدودة » · وأن الحكم للامة وللناخبين · أى أنه رفض الائتلاف وتوزيع كراسى الوزارة ·· وعاد الى طلبه القديم وهو الاحتكام للشعب فى انتخابات تجرى ·· والحكم يكون لمن يفوز ··

★ ★ ★

ومر عام ١٩٤١ ··

وأقبل عام ١٩٤٢ ·· وقد بدأ ثعلب الصحراء المـــراوغ ماريشال روميل كما وصفه يومئذ ونستون تشرشل ·· بدأ يتحرك من مكمنه ·

وكان الانجليز قد سمعوا طبعـــا وعرفوا بمساعى حسنين لاعادة الوفديين الى الحكم ·· وسمعوا طبعا وعرفوا بمقابلة فاروق لمصطفى النحاس · وسمعوا طبعا بخطبة النحاس باشا فى رأس البر وكيف انه حمل عليهم وأسماهم أعداء الديمقراطية وجلادى الحريات · وان رفعته ألقى هذه الخطبة بعد مقابلته لفاروق ··

اذن ·· فان فاروق ضدهم ، والوفد ورئيسه ضدهم ، والرأى العام فى مصر ضدهم ··

★ ★ ★

وأحس حسنين انه فى سباق مع الزمن فذهب الى فاروق يقول ان السعديين والدستوريين قد ركبهم الغرور أو لعلهم قد استعذبوا الحكم بعد بقائهم فيه أربع سنوات ، ومن هنا لا يريدون أن يخطوا من جانبهم خطوة الى الوفديين ، بل ذهبـــوا يتدللون ويشترطون قبل قبولهم الائتلاف ان ينزل لهم الوفد عن كذا وكذا من الدوائر وأن يكون لهم فى الوزارة كذا وكذا من المقاعد ·· وان النحاس باشا يرفض وقد عدل عن رأيه وعاد واسترد يده الممدودة ·· فماذا نعمل ·· ؟

وقال فاروق ·· « وهذا كلام حسنين باشا »

ــ اذن هات النحاس باشا على شروطه ··

أى ان فاروق رضى بعودة النحاس باشا والوفد الى الحكم بلا قيد ولا شرط ..

ولكن حسنين لم يصدع بأمر فاروق .. ولم يبادر الى الاجهاز على وزارة حسين سرى المتعبة .. والعمل على عودة النحاس الى رياسة الحكم بدون قيد أو شرط .. بل إستأنف مساعيه عند الوفد وعند الاحزاب من أجل الاتفاق والائتلاف ..

وكأنما عز عليه أن يسلم بفشله فى تأليف الوزارة القومية .. ومن هنا عاود الكرة ..

وقد يتساءل قارىء : ولماذا اذن كان قد ذهب الى فاروق وأبلغه ان النحاس قد استرد يده الممدودة وانه يرفض الائتلاف ؟ .. وبالغ فى وصف الصعوبات التى يلقاها .. ؟

والرد .. لكى يحمل فاروق على اعطائه تفويضا مطلقا بالعمل .. أو بعبارة أخرى لكى يحصل على تفويض على بياض ..

اذا نجحت مساعيه وأفلح فى حمل الوفد والاحزاب على الاتفاق فيما بينهم وتأليف وزارة قومية عاد الى فاروق – وقد تضاعف فوزه وقدره – وقال : « لقد حققت لمولانا رغبته ومع ان مولانا قد فوضنى فى عودة النحاس الى الحكم على شروطه فاننى قد نجحت فى عودة النحاس الى الحكم على شروط مولانا .. »

واذا لم تنجح مساعيه وأصرت الاحزاب على موقفها ومساوماتها .. وأصر النحاس باشا على استرداد يده التى كان مدها الى الاحزاب .. عاد حسنين الى فاروق وقال : « لقد صدعت بأمر مولانا وأعدت النحاس باشا الى الحكم بدون قيد أو شرط »

فى الحالة الاولى .. يكسب حسنين كثيرا لأنه جاء فاروق بكسب يفوق ما كان يطلبه . وفى الحالة الاخرى ، لا يخسر حسنين شيئا لأنه لم يفعل شيئا سوى تنفيذ أوامر « مولانا » فاروق ..

تلك أخلاق حسنين .. أو تلك كانت سياسته ..

* * *

حادث ٤ فبراير

وهكذا .. مضت الايام .. وحسنين يسعى ويفاوض ويساوم رجال الاحزاب .. لأنه كان حريصا على الفوز وعدم الهزيمة ..

ولكن خوفه من هذه الهزيمة كان سببا فى اصابته بأكبر هزيمة حلت به فى حياته السياسية ، وأعنى حادث ٤ فبراير ..

ذلك انه أغفل الحقيقة التى كان أدركها منذ أسابيع أو منذ شهور قليلة ، وهى انه فى سباق مع الزمن .. أو لعله لم يقدر سرعة هذا الزمن ..

أو لعل انتصاره على مايلز لامبسون يوم فاجأه بالأمر الواقع وتعيين حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة .. ويوم فاجأه مرة ثانية بوزارة حسين سرى .. لعل انتصاره فى هذين الحادثين ملأه ثقة بنفسه ، ومن ثم أراد أن يفاجىء الانجليز بقيام الوزارة الوفدية التى طالما ألحوا فيها وتمنوا قيامها .. ولكنها وزارة وفدية تأتى الى الحكم بارادة فاروق ..

وبفضل من فاروق لا بارادة الانجليز أو بمشورتهم أو بفضل منهم .. !

ويا له من انتصار لأحمد محمد حسنين ! .. هاكم وزارة الوفد برياسة مصطفى النحاس ..

هاكم الوزارة التى تطلبونها وتقدمون لنا الانذارات بسببها .. ولكنها وزارة تلى الحكم وهى تلعنكم وتلعن سياستكم وتتهم حكومتكم بأنها تحارب الديمقراطية والحريات ..

نعم يا له من انتصار لأحمد حسنين .. أو هكذا قدر أحمد حسنين ..

ولكن رئيس الديوان المناور الداهية أخطأ هذه المرة فى الحساب ، وفى تقدير مدى خبث السياسة البريطانية ·· أو المدى الذى يمكن أن تذهب اليه اذا تحرجت الامور وأحست أن مصالح بريطانيا فى خطر ··

أخطأ فى الحساب والتقدير وترك الانجليز يسبقونه ··

★ ★ ★

قلت ان ثعلب الصحراء ماريشال روميل تحرك من مكمنه ··

وفى شهر يناير سنة ١٩٤٢ بدأ روميل هجوما عنيفا على الجيش البريطانى فى الصحراء · وأوفدت لندن وزير الدولة مستر ليتلتون الى القاهرة لكى يساعد وجوده فى منطقة الخطر على اتخاذ قرارات سريعة من غير حاجة الى استشارة لندن فى كل كبيرة وصغيرة ··

وطلب مايلز لامبسون من السراى تحديد موعد يتشرف فيه وزير الدولة البريطانى مستر ليتلتون بمقابلة « جلالة الملك »

ولكن السراى أبقت وزير الدولة والسفير ثلاثة أيام فى انتظار الرد ··

وكانت اهانة أغضبت الوزير والسفير ·· أو هكذا قال لى حسنين رحمه الله وهو يشرح لى أسباب حادث ٤ فبراير ··

روميل يشن هجوما عنيفا فى الصحراء الغربية وهزائم الجيش البريطانى تتوالى ·· ومواقعه الحصينة تسقط تباعا فى أيدى جيش روميل ··

النحاس باشا يخطب ضد الانجليز ·· وزارة حسين سرى استقالت بسبب الأزمة التى كان بطلها الأستاذ صليب سامى وزير الخارجية يومئذ وهى الازمة التى عرفت باسم أزمة وزير فيشى المفوض ··

الرأى العام فى مصر هائج ضد الانجليز ·· يصفق ويهتف لكل انتصار يحرزه روميل وكل هزيمة تقع بالانجليز ·· والمظاهرات تطوف بشوارع القاهرة تهتف بسقوط انجلترا وحياة روميل ··

وكان انقلاب بطله رشيد عالى الكيلانى وقع منذ شهور فى العراق ·· واضطر الوصى على العرش يومئذ الأمير عبد الاله أن يغادر بغداد

ويلجأ الى البصرة ‥ والسيد نورى السعيد أن يسافر من بغداد ويلجأ الى القاهرة ‥ لأن الانقلاب كان ضد الانجليز وضـــد أعوانهم فى العراق ‥

وخشى الانجليز أن تمتد هذه النار أو هذه المظاهرات من القاهرة الى الأرياف ‥ وأن يحدث فى مصر ما حدث فى العراق ‥ فتكون الضربة قاضية على خطوط مواصلاتهم الخلفية بينما هم يحاربون روميل ‥ ومن هنا قرروا أن يعملوا ‥ وبسرعة ‥

والمصرى الوحيد الذى كان على علم سابق بما ينوى الانجليز عمله هو « المرحوم » أمين عثمان ‥ بل لعلهم استشاروه أو لعله هو الذى أشار عليهم بما يفعلونه ‥

أريد أن أقول ان مصطفى النحاس ومكرم عبيد كانا بريئين تماما من جريمة تدبير حادث ٤ فبراير ‥

ولكننى لا أستطيع أن أنفى عن مصطفى النحاس انه اســـتفاد من الحادث المذكور ‥

* * *

وعقد كبار الانجليز فى مصر مجلسا برئاسة مستر ليتلتون وحضور السفير مايلز لامبسون وكبار قواد الجيش البريطانى ‥ وفى الجلسة المذكورة تقرر تقديم الانذار البريطانى المعـــروف الى فاروق بوجوب تكليف مصطفى النحاس بتشكيل الوزارة ‥ والا ‥

‥ وحاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين ‥

وقبل النحاس باشا رياسة الوزارة رغم الحاح الزعماء عليه بعـدم القبول فى هذه الظروف أو على الأقل بتأليف وزارة قوميـــة انقاذا للمظاهر لوجه مصر وحتى لا يقال اننا خضعنا ‥ للانذار البريطانى ونفذناه بحروفه ‥

* * *

واليكم التفاصيل ‥‥

قلت فى الفصول السابقة أن السفير البريطانى كان طلب من رئيس الديوان أحمد محمد حسنين قيام وزارة وفدية أو على الأقل وزارة

يؤيدها الوفد .. وان حسنين ناور وداور وفاجأ مايلز لامبسون بوزارة على رأسها حسن صبرى باشا .. ومرة أخرى بوزارة حسين سرى باشا .. وسكت السفير البريطانى ، ولكن على مضض .. وقد أضمر فى نفسه شيئا ..

وفى نفس الوقت كانت الهزائم تتوالى على الجيش البريطانى فى الصحراء الغربية .. وكانت المظاهرات تطوف بشوارع القاهرة تهتف بحياة المانيا وسقوط بريطانيا .. وسقوط جورج السادس ..

وأحس الانجليز ان الشعب – شعب مصر – ضدهم .. وفاروق ضدهم .. وصديقهم مصطفى النحاس قد مل الانتظار .. فانقلب هو بدوره ضدهم ..

ومن هنا قرروا – وبنصيحة أمين عثمان غفر الله له – قرروا أن يضربوا ضربتهم ..

* * *

وفى نفس الوقت – ومرة أخرى ! – كان أحمد محمد حسنين يسعى لتأليف وزارة قومية .. هذا وبالرغم من ان مصطفى النحاس كان أعلن مرة ومرارا انه يرفض أن يضع يده فى يد خصومه السياسيين .. ويرفض الاشتراك فى وزارة قومية .. وانه لا يرأس الا وزارة وفدية خالصة ..

.. وكذلك بالرغم من أن فاروق كان قد رضى بقيام وزارة وفدية وقال لحسنين : « فليكن .. وهات النحاس باشا على شروطه » ..

رغم هذا كله لم يشأ أحمد محمد حسنين أن يسلم بالهزيمة .. أمام مصطفى النحاس أو مايلز لامبسون ، فقد كان من خلقه عـــدم اليأس وعدم التسليم بالهزيمة .. وما دام فاروق كان يفضل قيام وزارة قومية أو وزارة ائتلافية فليحاول حسنين المستحيل من أجل تحقيق رغبة مولاه .. !

وبينما حسنين باشا لا يزال فى محاولاته ومداولاته ومفاوضاته مع زعماء الاحزاب .. وبعض كبار الوفديين – وكأنما قد نسى انه فى سباق مع الزمن – بينما هو كذلك ضرب الانجليز ضربتهم ..

وفي يوم الاثنين ٢ فبراير ١٩٤٢ استقالت وزارة حسين سرى باشا ، وأرسل مايلز لامبسون الى فاروق يطلب منه أن يكلف مصطفى النحاس باشا بتأليف الوزارة .. أو يقبل اسناد رياسة الوزارة الى من يختاره مصطفى النحاس ويعد بتأييده ..

وأرسل فاروق واستدعى لمقابلته رؤساء الوزارات السابقين ، ورؤساء الاحزاب والرؤساء السابقين لمجلس الشيوخ ومجلس النواب .. الى آخره ..

وشاورهم في الأمر وطلب منهم أن يختاروا من بينهم وزارة قومية تواجه الاحداث الخطيرة التى تمر بالبلاد ..

وقبلوا جميعهم أن يشتركوا فى وزارة يرأسها مصطفى النحاس.

ولكن مصطفى النحاس أصر على موقفه أو على رفضه ..

وفى اليوم التالى - الثلاثاء ٣ فبراير - ذهب مايلز لامبسون الى قصر عابدين وقابل رئيس الديوان أحمد محمد حسنين وقال له انه علم أن مصطفى النحاس باشا يرفض الاشتراك فى وزارة قومية ولهذا فانه - السفير البريطانى - يطلب من حسنين باشا أن يقدم هذه النصيحة للملك فاروق وهي أن يعهد الى النحاس باشا بتأليف وزارة وفدية ..

ومرة أخرى عز على حسنين باشا أن يسلم بالهزيمة ! .. ومن ثم فقد قال للسفير البريطانى ان المشاورات لا تزال جارية مع رؤساء الاحزاب لتأليف وزارة قومية وانه واثق من ان وطنية الزعماء سوف تتغلب على كل شيء ..

وانصرف مايلز لامبسون ..

انصرف لكى يعود عند ظهر اليوم التالى - الاربعاء - ويسلم حسنين باشا هذا الانذار ..

ونص الانذار :

اذا لم أعلم قبل السادسة مساء ان النحاس باشا قد دعى لتأليف وزارة فان الملك فاروق يجب آن يتحمل تبعات ما يحدث .

* * *

ومرة أخرى لم ييأس أحمد محمد حسنين ·· ولم يشأ أن يسلم بالهزيمة – بل لم يتردد فى مواجهة الموقف الخطير ··

واستدعى الزعماء للاجتماع بقصر عابدين ··

وطال اجتماعهم · وطالت مناقشاتهم ··

ودخل عليهم حسنين باشا مرة ومرتين لكى يذكرهم ان عليه أن يرد على الانذار البريطانى وأن يرسل جواب الملك فاروق قبل السادسة مساء ··

ولكن اجتماع الزعماء لم ينته الى النتيجة المرجوة بسبب اصرار النحاس باشا على موقفه ··

والوحيد بين رؤساء الوزارات السابقين الذى انضم فى الرأى الى مصطفى النحاس كان أحمد زيور باشا صاحب العبارة المشهورة : « انقاذ ما يمكن انقاذه » ·

وغادر الزعماء والرؤساء السابقون قصر عابدين على أن يستأنفوا الاجتماع مرة أخرى ·· ولكن ··

حوالى الساعة التاسعةمساء امتلأ ميدان عابدين «ميدانالجمهورية الآن » بآلاف الجنود البريطانيين وهم بملابس الميدان ··وبعشرات الدبابات ··

وطوقت الدبابات البريطانية قصر عابدين من جميع الجهات ·· وصوبت اليه مدافعها ·· وتقدمت احداها وحطمت الباب الرئيسى – أو كما كان يسمى «الباب الملكى» – ودخلت منه الى حرم القصر ·

ودخلت وراءها سيارة تحمل السفير البريطانى ومعه جنرال ستون قائد القوات البريطانية فى مصر ··

ووقفت السيارة أمام باب القصر الداخلى ونزل منها مايلز لامبسون والقائد البريطانى ··

ودخلا القصر بينما كان يسير أمامهما ثمانية ضباط بريطانيين ومسدساتهم فى أيديهم ··

وتقدم كبير الامناء بالنيابة يومئذ اسماعيل تيمور باشا يسألهم

ماذا يريدون .. ولكن مايلز لامبسون نحاه بيده من طريقه وهو يقول :

ـ أنا أعرف طريقى .. !

وكان الجنود البريطانيون قد هاجموا حراس القصر وجردوهم من السلاح . وحاصروا ثكنات الحرس .. وقاوم بعض أفراد الحرس ، ولكن البريطانيين تكاثروا وتغلبوا عليهم وأصيب بعض جنود الحرس بكسور فى العظام وبجروح مختلفة ..

وصدر أمر من القصر الى رجال الحرس بعدم المقاومة .. حتى لا تحدث مذبحة أمام قصر عابدين .. !

وفى نفس الوقت كانت الطائرات البريطانية واقفة على قدم الاستعداد للتجليق فوق ثكنات الجيش المصرى ومعسكراته وقذفها بالقنابل وتدميرها اذا بدرت من الجيش أية مقاومة ..

وحاصر الجنود الانجليز كذلك أقسام البوليس فى القاهرة وقطعوا جميع الاسلاك التليفونية بين قصر عابدين والخارج ..

كما حاصروا محطة الاذاعة المصرية لكى يمنعوا وصول الخبر الى الشعب ..

★ ★ ★

ودخل سير مايلز لامبسون « الذى كوفىء فيما بعد على عدوانه الشنيع بلقب لورد كليرن » .. دخل على فاروق وكان واقفا فى غرفة مكتبه والى جانبه رئيس ديوانه أحمد محمد حسنين ..

وكان يقف وراء السفير البريطانى جنرال ستون . بينما وقف خارج الغرفة الضباط الانجليز يحرسون الباب وفى أيديهم المسدسات

وقال السفير البريطانى لفاروق ما خلاصته انه يخيره بين التنازل عن العرش .. أو تكليف مصطفى النحاس باشا بتأليف الوزارة .

وقبل فاروق أن يعهد الى رئيس الوفد بتشكيل الوزارة ..

وقال مايلز لامبسون :

ـ الآن .. هذا المساء

ووعده فاروق بذلك !

وانصرف مايلز لامبسون ومن معه ..
ولكن الدبابات البريطانية ظلت تحاصر القصر وثكنات الحرس .

* * *

ومرة أخرى ــ وفى نفس المساء ــ أرسل حسنين باشا واستدعى الزعماء والرؤساء السابقين ... الى آخره

وتوافدوا على قصر عابدين ورأوا الدبابات البريطانية تحاصر القصر

وقال لهم فاروق انه قد قبل الانذار البريطانى وانه يعهد الى مصطفى النحاس باشا بتأليف الوزارة .

وهنا قال الدكتور أحمد ماهر :

ــ اسمع يا مصطفى باشا .. اننى أقول لك أمام جلالة الملك وزعماء مصر انك تتولى الحكم مسنوداً بالدبابات والحراب البريطانية ..

وقال اسماعيل صدقى باشا :

نعم .. مسنودا بالحراب البريطانية حقيقة لا مجازا .. وقد رأيناها بأعيننا فى الميدان .

وهنا قال مصطفى النحاس باشا انه لم ير شيئا من هذا .. لأن الدنيا كانت ضلمه !

ثم قال فاروق :

ــ ولى عندك رجاء يا مصطفى باشا .. وهو أن تذهب الآن الى السفير البريطانى وتبلغه أننى قد عهدت اليك بتأليف الوزارة .

قال مصطفى النحاس :

ــ ولكن الوقت متأخر يا مولاى ...

ولكن فاروق ألح .. وقال :

ــ سوف تجد سير مايلز فى انتظارك !

* * *

ومنعت الرقابة نشر أى خبر عن هذا العدوان فى مصر .. كما انها منعت ارسال أية برقية فى هذا الموضوع الى خارج مصر .

وفى صباح اليوم التالى – ٥ فبراير ١٩٤٢ – توجه مصطفى النحاس الى مكتبه برياسة مجلس الوزراء .

وكانت اللجان الوفدية قد استدعيت من مختلف جهات القطر لتهنئة « الرئيس الجليل » ..

وكان الشعب يجهل تماما ما حدث فى مساء ٤ فبراير ..

وانطلقت المظاهرات .. وسارت الى دار الرياسة تهتف بحياة النحاس باشا ..

وأقبل السفير البريطانى ليهنىء النحاس باشا ..

ثم خرج الاثنان معا الى الشرفة .. مصطفى النحاس ومايلز لامبسون وأيديهما متشابكة .

وهنا خرج أحد أذناب الوفد يصيح بجموع المحتشدين أن تهتف بحياة السفير البريطانى الصديق !!

وهتفت الجماهير .. ولما غادر مايلز لامبسون دار رياسة مجلس الوزراء حمله بعض شباب الوفد على الاعناق ..

وأسرعت محطة اذاعة لندن وأذاعت هذا الخبر وقالت ان الشعب المصرى قد حمل سفير بريطانيا على الاعناق .. !

★ ★ ★

وفى يوم ٧ فبراير – أى بعد الحادث بثلاثة أيام – تناولت الغداء مع حسنين باشا فى داره . وقص على كثيرا من التفاصيل التى أوردتها هنا .. ومن بينها ان فاروق – عندما رأى اصرار مصطفى النحاس على الانفراد بالحكم ورفض كل اقتراح خاص بقيام وزارة قومية أو ائتلافية أو محايدة تجرى انتخابات جديدة – قال لحسنين باللغة الانجليزية :

– يظهر ان النحاس باشا واثق من الارض التى يقف عليها .. أى واثق من تأييد الانجليز له .. !

وقال .. ان فاروق قال لرجال حاشيته عقب الحادث :

– يظهر ان الانجليز وقد خسروا معركة بنى غازى أرادوا أن يكسبوا معركة عابدين .. !

وكان الجيش البريطانى قد أخلى مدينة بنى غازى وتراجع أمام جيش روميل ..

وأقف قليلا عند حادث ٤ فبراير ٠٠

على كثرة ما كتب ونشر عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ فانه لا تزال هناك تفاصيل وأسرار لم تنشر بعد ٠ كما أن أحدا من الذين كتبوا عن الحادث المذكور لم يحاول أن يجلو هذه النقطة وهى :

هل كان اعتداء الانجليز على السيادة المصرية وعـــرش مصر فى حادث ٤ فبراير نتيجة قرار اتخذ فجأة عندما توالت انتصارات قوات المحور بقيادة الماريشال روميل فى الصحراء الغربية واشتد خطـر غزو المحور ٠٠ ؟

أم كان هذا الاعتداء — حادث ٤ فبراير — نتيجة سياسة تقررت ورسمت قبل ذلك بوقت طويل ؟ ٠٠ بعامين أو بعام واحــد على الأقل ٠٠ ؟

ثم من هم الذين رسموا أو قرروا هذه السياسة أو هذا الاعتداء على سيادة مصر وعرشها ٠٠ ؟

هل هم الساسة ٠٠ تشرشل وايدن فى لندن ٠٠ ووزير الدولة مستر ليتلتون وسفير بريطانيا سير مايلز لامبسون فى القاهرة ؟ ٠٠ أم رجال الجيش البريطـــانى فى مصر والشرق الأوسط ٠٠ جنرال ويلسون وزملاؤه ٠٠ ؟

ثم ما هو السبب أو الاسباب التى حاولت السياسة البريطانية أن تبرر بها هذا الاعتداء الشنيع على سيادة وعرش بلد مستقل ؟

هذه النقطة أو النقط لا تزال ملفوفة فى غموض كثير ٠٠

★ ★ ★

ذات يوم فى أوائل شهر يونية عام ١٩٤٠ تقابلت صدفة فى محل « جروبى » مع مســـتر جرافتى سميث السكرتير الشرقى وقتئـــذ بالسفارة البريطانية ٠٠

وجلسنا نتحدث عن معركة فرنسا وانهيار مقاومة الجيش الفرنسى وعن دخول ايطاليا الحرب ٠ وشكا جرافتى سميث مما تلقاه السلطات البريطانية من معاكسات السلطات المصرية وكيف ان الحكومة المصرية قـــد انقلبت فى الأيام الأخيرة من حكومة صـــديقة تنفذ المعاهدة

– معاهدة ١٩٣٦ – باخلاص وتعاون .. الأمر الذى شكرها عليه الجنرال ويلسون فى نحو ثلاثين خطابا أرسلها الى رئيس الحكومة « صاحب المقام الرفيع » على ماهر باشا .. انقلبت من هذا الى حكومة تضع العقبات والعراقيل ولا تبالى فى طريق السلطات البريطانية . ومن ذلك انها رفضت اعتقال عدد كبير من وكلاء المحور ممن كانوا يشغلون مناصب مدنية أو يقومون فى الظاهر بأعمال تجارية بريئة بينما هم فى الحقيقة يؤلفون شعبة تابعة لأقلام مخابرات العدو السرية .. أى الجاسوسية ..

ثم قال مستر جرافتى سميث ان سنيور دودونى مدير وكالة الانباء الايطالية هو فى الحقيقة رئيس الجاسوسية الايطالية فى مصر . ولقد طلبت السلطات البريطانية اعتقاله وعدم تمكينه من مغادرة مصر والعودة الى ايطاليا لأن المعلومات التى جمعها أثناء اقامته فى مصر تفيد ولا شك القيادة العليا للمحور فائدة كبيرة ..

ومضى جرافتى سميث فى حديثه يقول :

– ولقد قدر حسن فهمى رفعت باشا وكيل وزارة الداخلية طلبنا هذا حق قدره وفهم الاسباب التى تبرره . ولهذا فانه ماطل سنيور دودونى عندما تقدم بطلب تأشيرة الخروج من مصر وأبقى طلبه تحت البحث والنظر . ورفض فى نفس الوقت أن يعيد اليه جواز سفره . ولقد أراد حسن فهمى باشا من هذه المماطلة والتسويف أن يتيح للسلطات البريطانية الوقت الكافى لاقناع الحكومة المصرية بوجهة نظرها وهى وجوب اعتقال سنيور دودونى ..

ولكن رئيس الحكومة على ماهر باشا تكلم بنفسه مع ادارة الجوازات وألح فى استعجال اتمام اجراءات (الفيزا) أو الاذن بمغادرة الاراضى المصرية الى سنيور دودونى .. !

بل لم يكتف على ماهر باشا بهذا وذهب بنفسه الى ادارة الجوازات ولم يبرحها الا بعد أن تمت اجراءات (الفيزا) وغادر المكتب ومعه جواز سفر سنيور دودونى .. وقد سلمه اليه بيده . واستطاع السنيور أن يغادر مصر تحت أنفنا وبصرنا ونحن مكتوفى الأيدى لا نستطيع شيئا ..

وكان الغيظ واضحا فى نبرات صوت السكرتير الشرقى للسفارة البريطانية وهو يروى لى هذه القصــــة ثم يتساءل أين الاخـــلاص والتعاون اللذان كانت السلطات البريطانية تلقاهما من قبل من حكومة على ماهر باشا ؟! وهل هذه العقبات والعراقيل التى تضعها حكومة مصر أمام المجهود الحربى البريطانى مما يتفق مع المعاهدة المعقودة بين البلدين ·· ؟

وانصرف مستر جرافتى سميث وهو يقول لى ما معناه أن للصبر حدودا ، وان دوام هذه الحال من المحال ··

* * *

ولقد تلقت السلطات البريطانية فى مصر يومئذ تقارير فحواها ان الوزارة المصرية قد قلبت سياستها رأسا على عقب · وان سياستها التى كانت تجــرى – قبل انهيار فرنسا – عـــلى أساس الاخلاص والتعاون مع انجلترا قد انقلبت وأصبحت تقوم على أساس أن النصر لدولتى المحور ألمانيا وايطاليا ·· وان الهزيمة لبريطانيا · وان بعض الوزراء المصريين قد صرحوا فى مجالسهم وفى حضور وبموافقـــة « رفعة » رئيسهم بما يفهم منه هذا ، بل لقد ذهب أحدهم وهو صالح حرب باشا الى حد القـــول بأن أيام بريطانيا معدودة وان مقاومتها لألمانيا لن تزيد على شهرين اثنين ··

وكان أن خطت انجلترا خطوتها الأولى فى الاعتداء على سيادة مصر واستقلالها وأرسلت انذارها الأول مصحوبا بالبرقية المشهورة التى أرسلها لورد هاليفاكس وزير الخارجية البريطانية الى سفير بريطانيا فى مصر سير مايلز لامبسون وفيها يقول :

« *Aly Mahir Must Go.* »

وترجمتها حرفيا : « عـــلى ماهر يجب أن يذهب » ·· أى يترك الحكم ·· !

* * *

واستقالت وزارة على ماهر باشا ·· وفوجىء الانجليز كما سبق أن قلت باختيار حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة ··

* * *

وهكذا يمكن القول بأن الاعتداء على سيادة مصر وعرشها كان قد بدأ فعلا – وبصورة ما – فى صيف عام ١٩٤٠ ، ولم يكن هنـــاك يومئذ خطر داهم على مصر لأن القائد البريطانى الجنرال ويفيل كان منتصرا فعلا على الجيش الايطالى فى الصحراء الغربية ٠

٠٠ والتفكير فى فرض وزارة مصرية معينـــة وزعيم مصرى معين يتولى الحكم كان قد بدأ فى صيف عام ١٩٤٠

ومن ثم يمكن القول وعلى أساس من الاستنتاج المنطقى السليم ان حادث ٤ فبراير لم يكن نتيجة قرار أو سياسة اتخذت فجأة وتحت ضغط خطر داهم ٠٠ وانما كان الفصل الاخير ٠٠ أو الخاتمة لسياسة مرسومة كان قد بدأ تنفيذها ٠٠

أو قل ان شئت ان حادث ٤ فبراير كان تحقيق أو تنفيذ الفكرة أو « المشورة » التى تقدم بها مايلز لامبسون فى يونية عام ١٩٤٠ ! وهى أن تتولى الحكم وزارة يؤيدها الوفد ٠٠

★ ★ ★

وفى منتصف شهر ابريل عام ١٩٤٥ – وكانت الحرب العالميـــة لا تزال دائرة – قمت برحلة الى تركيا مارا بلبنان ٠٠

وتفضل صاحب الدولة السيد حسين العوينى – وقد قابلته فى بيروت – وأعطانى خطاب تقدمة وتوصية الى صديقه سعادة السيد فؤاد حمزة وزير المملكة السعودية العربية فى أنقرة ٠٠

وكان السيد فؤاد حمزه – يرحمه الله – مستودع أسرار كبير ولا أعرف بين دبلوماسيى العرب وساستهم من يفوقه علما والماما بأسرار ما يجرى وراء الستار ٠ ولعل مما ساعد على هذا المامه واتقانه لأكثر من لغة أجنبية واحـــدة ٠٠ وهو لبنانى الأصل ، وكان مغـــرما بالأسفار ٠٠

وكان أثناء الحرب العالمية الاخيرة وزيرا مفوضا لدولته لدى حكومة ماريشال بيتان فى فيشى وحكومة الاتحاد السويسرى فى برن ٠٠ ثم لدى حكومة تركيا فى أنقرة ٠

ولقد تمكن فى هذه المناصب فى البلدان الثلاثة من الوقوف علـى أسرار كثيرة منها ما يتصل مباشرة بحادث ٤ فبراير ٠٠ وأنا هنـا أنقل مباشرة عن مذكراتى :

حدثنى سعادة فؤاد حمـزة بك الوزير المفوض للملكة العـربية السعودية فقال انه لمـا كان فى زيوريخ (سويسرة) فى عام ١٩٤٢ ـ بعد وقوع حادث ٤ فبراير ـ قابله اللورد ٠٠٠٠ الذى كان يدير فى الخفاء قلم المخابرات البريطانية فى سويسرة وقال له أن الحكومة البريطانية قد هالها ما يجرى ويقع فى مصر فقررت خلع الملك فاروق وان الصعوبة كانت فى اختيار الذى يخلفه على العرش ٠٠ ولقـد فكرت الحكومة البريطانية فى أول الأمر فى حفيد الخديو عباس حلمى - أى نجل الأمير السابق محمد عبد المنعم وكان لا يزال يومئذ فى سن الرضاعة - على أن يكون هناك وصى كما هو الحال فى العراق ، ثم انتهى الرأى الى مفاوضة الخديو عباس حلمى فاتصلوا به فى سويسره وسافر سموه ، رحمه الله ، الى استانبول لكى يكون عـلى مقربة من مجرى الحوادث ٠٠ !

وفى استانبول قابله مسـتر مرتون وسلمه رسالة من الحكومة البريطانية ٠

ومستر مرتون هذا عاش معظم سنى حياته فى مصر وكان يعرف البلاد ويعرف أعيانها وساستها حق المعرفة كما كان يجيد الحديث باللغة العربية ٠٠ وكان فى أول أمره موظفا بوزارة الزراعة المصرية ثم استقال وعمل مندوبا لجريدة المورننج البوست ثم مندوبا لجريدة الديلى تلغراف ٠٠

وكان بحكم عمله الصحفى أثناء الحرب كثير التجول والتنقل بين ميادين الحرب فى الشرقين الادنى والاوسط ٠ وقد قتل فى حادث انقلاب سيارة فى الصحراء الغربية ٠ وقتل معه فى نفس الحادث قائد انجليزى مشهور اسمه جوك كامبل ٠٠

★ ★ ★

قلت ان الخديو عباس حلمى غادر سويسرة الى استانبول حيث قابله

مستر مورتون وتحدث معه وسلمه رسالة من حكومة لندن ..
وأقام الخديو السابق ينتظر « الاشارة » أو الخطوة الثانية ..
ولكن قلم المخابرات الالمانية أحس أن هناك شيئا مريبا يجرى ..

★ ★ ★

وكذلك أحس الخديو ان الالمان يشكون فيه .. وان عيونهم فى استانبول يرقبون حركاته .. ويشكون فى سبب قدومه الى استانبول واتصاله بأعدائهم الانجليز ، فخشى الخطر على نفسه ، وأسرع بمغادرة استانبول عائدا الى مقره الأمين فى سويسرة .

وقلت لفؤاد حمزة بك :

ـ ولماذا لم يرشح الانجليز لعرش مصر « ولى العهد » الأمير محمد على توفيق وهو صديقهم الحميم .. ؟

قال : فى الواقع ان ترشيح البرنس محمد على للعرش لم يكن محل تفكير فى أى وقت لأن الانجليز كانوا يعرفون انه غير محبوب وليست له أقل شعبية فى مصر .. ولقد فكروا فى الخديو عباس حلمى لأنه كان محبوبا الى حد ما وكانت له شعبية .. ثم هو الرجل الذى كان الانجليز اغتصبوا منه العرش وأعطوه لحسين كامل ثم لأحمد فؤاد .. ومن هنا رأوا أن يعيدوه أو يعيدوا اليه عرشه ترضية لشعب مصر حتى لا يثور أو يقوم باضطرابات عند خلع الملك فاروق المحبوب .. ؟!

★ ★ ★

قلت ان حسنين باشا أكد للسفير البريطانى مايلز لامبسون الذى لم يكن قد أنعم عليه بعد بلقب لورد كليرن ، انه قد روعى فى اختيار حسن صبرى باشا وجميع أعضاء وزارته انهم أصدقاء مخلصون لبريطانيا والا لما كان الاختيار قد وقع عليهم ..

وسكت مايلز لامبسون أو اطمأن الى هذا التفسير . ولكن رئيس الحكومة الجديدة حسن صبرى باشا لم يطل به الأمر حتى بدأ يشكو لمن يلقاهم من كبار الانجليز من انه لا يستطيع القيام بكل ما يقتضيه تنفيذ المعاهدة بصدق وتعاون واخلاص لأن خصومه السياسيين

أقوى منه وأوسع نفوذا وان على رأس هؤلاء الخصوم على ماهر .

وطلب منه الانجليز اعتقال على ماهر باشا ولكنه رفض .. تم توفى حسن صبرى باشا فجأة بينما كان يلقى خطاب العرش فى حفـــلة افتتاح البرلمان فى نوفمبر ١٩٤٠

ومرة أخرى طلب فاروق من أحمد حسنين البحث عن رئيس جديد للحكومة ..

ومرة أخرى فوجىء الانجليز بقيام وزارة ليست وفدية أو يؤيدها الوفديون كما كانوا يطلبون .. !

* * *

ولكن حسين سرى - هو أيضا - لم يكد يسير فى الحكم أسابيع حتى ذهب يشكو لكل من يلقاه هنا وهناك من كثرة العراقيل التى توضع فى سبيله ومن مناورات ودسائس بعض الساسة المصريين بقصد اضعافه وشل يده .. !

وكانت السلطات البريطانية فى ذلك الوقت كثيرة الشكوى من نشاط بعض الساسة والكبراء المصريين فى مصر .. وفى خارج مصر وهو نشاط وصفه الانجليز يومئذ بأنه نشاط «محورى» يعمل لمصلحة دول المحور .. أو على الأقل هو نشاط معاد للسياسة البريطانية ومعرقل لجهودها الحربية ضد أعدائها .

وكان بين أسماء الكبراء الذين يقومون بهذا النشاط خارج مصر : « سعادة مراد سيد أحمد باشا » - رحمـــه الله - الذى كان وزيرا مفوضا لمصر فى روما عند اعلان الحرب .. ولقد رفض يومئذ أن يعود الى مصر .. ومضى يتنقل بين ايطاليا وسويسرة وألمانيا ! .. وتركه الالمان والايطاليون حرا بينما اعتقلوا مئات من الرعايا المصريين .

هذا وقد لفت أنظار أقلام المخابرات البريطانية الى نشاط مراد سيد أحمد باشا .

وهنا تذكرت السلطات البريطانية ان مراد سيد أحمد باشا صديق حميم لعلى ماهر باشا ، وان على ماهر باشا كان اختـــاره وزيرا فى وزارته ثم وزيرا مفوضا لمصر ..

وازداد الشك وسوء الظن فى على ماهر ٠

وتساءلت السلطات البريطانية يومئذ لمـــاذا لا تتخذ السلطات المصرية اجراءا ما ضد سيد أحمد باشا ولو بوصفه موظفا كبيرا فى المعاش ٠٠ ؟

واذا كان كونت شيانو – وزير خارجيـــة ايطاليا يومئذ وصهر موسولينى – قد كتب فى مذكراته التى نشرت بعد وفاته ونشرت ترجمتها زميلتنا الاهرام ، شيئا عن حديث دار – أثناء الحرب طبعا – بين مراد سيد أحمد باشا وبين وزير ايطاليا المفوض لدى الفاتيكان وقد قال مراد سيد أحمد باشا فى هذا الحديث ان الملك فاروق يميل الى المحور ويكره البريطانيين « وقد أغفلتجريدة الاهرام يومئذنشر ترجمة هذا القسم من المذكرات » ٠٠ فان أقلام المخابراتالبريطانية كان لديها أقوال أكثر خطورة منسوبة ان صدقا وان كذبا الى مراد سيد أحمد باشا ٠

ولقد كان فى مقدور السلطات البريطانية أن تفهم وتقدر نشاط هؤلاء الكبراء المصريين ٠٠ لا على انه خيانة لقضية بريطانيا وحلفائها ٠٠ وانما على انه اخـــلاص لقضية مصر واستقلالها ٠ وان المصريين هؤلاء ذوى النشاط « المحورى » لا يحبون المحور لسواد عينيه ولا يكرهون الانجلـــيز لذاتهم ٠٠ ولكنهم كانوا يعملون لمصر ولتحقيق ما يعتقدون باخلاص انه فى مصلحة مصر ٠ ولقد كانت الدول المحايدة أو معظمها على الأقل تؤمن يومئذ ايمانا راسخا بأن النصر للمحور ٠ وان الهزيمة مكتوبة لبريطانيا ٠٠

ولم يكن اذن هذا النفر من الساسة والكبراء المصريين هم وحدهم الذين يؤمنون بانتصار ألمانيا ومحورها ٠٠ فقد كان هناك اخـــوان لهم فى فلسطين والعراق وسوريا يرون نفس الرأى ٠٠

بل وفى اسبانيا والبرتغال وسويسرة والسويد وأمريكا الجنوبية ٠٠ وفى الهند ٠ بل وفى فرنسا نفسها كان يوجد كثيرون ممن يؤمنون بأن النصر لدول المحور ٠

وفى جميع هذه الدول كان يوجد ساسة يحبون بلادهم ، وكانوا

يرون من بعد النظر وحسن الاحتياط أن يؤيدوا المحور ويعملوا معه لكى يضمنوا السلامة لبلادهم ويضمنوا معها استقلالها وتحقيق أمانيها المشروعة يوم يتم النصر للمحور ويعود السلام ..

لم تكن هناك اذن خيانة لقضية الديمقراطية .. وانتصار أو تعاون مع قضية النازية والفاشية وانما كان هناك اخلاص لقضية البلاد وحرص على تحقيق أمانيها فى العزة والسيادة والاستقلال ..

والبريطانى الكبير الوحيد الذى فهم الموقف على حقيقته وقدر وجهة نظر هؤلاء الساسة المصريين .. كان الجنرال « الآن فليد مارشال» هنرى ميتلاند ويلسون ومن هنا فقد نظر الى نشاطهم « المحورى » – كما وصفوه يومئذ – بشىء غير قليل من سعة الصدر وقال عن الصدام الذى وقع بين السياسة البريطانية وبين هذا النشاط المصرى المحورى انه نشاط بين ولاءين .. !

بين ولاء الساسه المصريين لقضية بلادهم واستقلالهم . وبين ولائهم لقضية الحلفاء والديمقراطية .

ولكن زملاءه وأنداده من القادة البريطانيين سواء فى لندن أو فى القاهرة لم ينظروا الى الموقف بنفس العين . بل نظروا الى نشاط هذا النفر من الساسة والكبراء المصريين على أنه نشاط خطر بالغ الخطورة

واستدارت بريطانيا فى سياستها نحو مصر وكان هذا فى أوائل يونيه عام ١٩٤٠ . وأرسلت برقية وانذار بوجوب تخلى السيد على ماهر عن رئاسة الوزارة .. واسناد الحكم الى وزارة وفدية برئاسة السيد مصطفى النحاس أو على الاقل وزارة يؤيدها الوفد ومصطفى النحاس ..

وكان منطق حجة بريطانيا فى هذا ان مصطفى النحاس هو المساهم الاول فى عقد معاهدة ١٩٣٦ وانه اذن المسئول الاول عن تنفيذها نصا وروحا بولاء ووفاء واخلاص ؟!

ولكن السلطات البريطانية فوجئت باختيار المرحوم حسن صبرى باشا رئيسا لوزارة ..

ثم فوجئت مرة أخرى باختيار حسين سرى باشـــا حلفا له فى رئاسة الوزارة ..

ثم جاءت حكاية البوليس الخاص ووضعه تحت قيـــادة محمـــد طاهر « باشا » ..

وطاهر « باشا » كان من بين الذين طلبت السلطات البريطانيــة اعتقالهم بدعوى « نشاطهم المحورى » وكانت هذه السلطات تتلقى تقارير يومية عما يجرى فى نادى السيارات « الملكى » وعن الاحاديث المنسوبة الى بعض كبار أعضائه مثل النبيل « السابق » عباس حليم ومحمد طاهر « باشا » .. وكانت التقارير المذكورة تزعم أن الرجلين وغيرهما يفضون بأحاديث مملوءة بالعداء المر للانجليز وبالتأييـــد الصريح لدول المحور .

فلما شكل البوليس الخاص وعلى رأسه طاهر « باشا » رفضت السلطات البريطانية أن تصدق ان مهمة هذا البوليس الخاص هى مساعدة البوليس المصرى أثناء الغارات .. الى آخر ما قيـل ونشر يومئذ عن الغرض من تشكيله .

رفض الانجليز أن يصدقوا هذا وزعموا أن هذا البوليس الخاص انما أنشىء خصيصا لكى يسهل على قوات المحور مهمتها يوم تدخل مصر .. ويمهد لها ويعاونها أثناء فترة الانتقال المضطربة وهى الفترة التى لابد منها أثناء انسحاب البريطـــانيين .. ودخول الالمـــان والايطاليين ..

.. وان هناك ــ كما جاءهم من استانبول ــ نظاما خاصا للاشارات والتعليمات متفقا عليه بين هذا البوليس الخاص وبين الالمـــان .. وكان الانجليز يعتقدون ــ فوق هـــذا وذاك ــ ان فى مصر محطات لاسلكية سرية للاستقبال والارسال .. أى محطات تســـتطيع أن تلتقط الرسائل وترسل الرسائل من مصر بدون أن تمر الرسائل المذكورة بالرقابة العسكرية !

.. وان هذه المحطات اللاسلكية السرية كانت ترسل الى « وكلاء المحور وسلطاته الحربية » تفاصيل عن بعض ما يجرى فى مصر وما

تحرص السلطات البريطانية كل الحرص على كتمانه كل الكتمان ، كما انها ـ أى هذه المحطات السرية ـ كانت تتلقى من وكلاء المحور وسلطاته الحربية التعليمات عما يجب عمله ··

وبعبارة أخرى كانت السلطات البريطانية تعتقد أن هذه المحطات اللاسلكية السرية جزء من « النشاط المحورى » الذى يقوم به « طابور خامس » يتزعمه نفر من كبار الساسة المصريين ·

وأثناء هذا وذاك ـ أى فى الفترة ما بين يونيه ١٩٤٠ وأواخر عام ١٩٤١ ـ تلقت السلطات البريطانية تقارير من أقلام مخابراتها فى مصر وفى أنقرة واستانبول ولبنان وقد جاء فيها :

١ ـ ان سمير ذو الفقار بك التشريفاتى السابق ـ وأحد أصدقاء على ماهر باشا ـ قد سافر أكثر من مرة الى تركيا بحجة التجارة فى الجلود والتبغ وانه اجتمع بسفير ألمانيا فى أنقره فون بابن عدة مرات · وانه قابل أيضا بعض وكلاء الالمان فى لبنان وانه لما عاد الى مصر اجتمع بفلان وفلان من الساسة وكبار رجال الدولة !

٢ ـ وان شوقى الهان وزير تركيا المفوض يومئذ فى مصر قد سافر أكثر من مرة الى تركيا بحجة الاجازة أو مراجعة حكومته فى بعض الشئون بينما هو سافر فى الحقيقة موفدا من « سلطات مصرية عليا » للاتصال بالسلطات الالمانية فى تركيا وابلاغها كذا وكيت ·· لكى تبلغها هى بدورها الى « السلطات العليا » فى برلين ·

وكانت تركيا يومئذ أى فى عام ١٩٤١ على الحياد ·· ولكنه كان حيادا مشوبا بالميل لالمانيا وتأييد المحور ·· وكان فريق كبير من ساستها وقوادها العسكريين يؤمن بأن النصر للمحور ··

٣ ـ وان الآنسة دولورس دى بدروزو الملحقة السياسية بمفوضية اسبانيا فى القاهرة كانت « واسطة » اتصال بين فريق الكبراء المصريين الموالين للمحور ·· وبين سفارة ألمانيا فى مدريد ·

وكانت اسبانيا يومئذ على الحياد ·· ولكنها كانت تؤيد المحور صراحة ·

٤ ـ وان مسيو بوتزى الوزير المفوض لحكومة فيشى الفرنسية فى القاهرة يقوم بنفس الدور ·

وحكومة فيشى كانت تتعاون مع الالمان ٠

كانت السلطات البريطانية تتلقى هذه التقارير فى عام ١٩٤١ ٠ وكانت تؤمن بصحة ما فيها ٠٠ هذا بينما كانت الحرب تمر بمرحلة من أخطر مراحلها ٠٠ بالنسبة لانجلترا وحلفائها فقد كانت بريطانيا تحارب فى الواقع وظهرها الى الجدار وقد توالت عليها الهزائم ٠٠ ثم اذا باليابان تقوم بهجومها المفاجىء فى نهاية العام ـ عام ١٩٤١ ـ وتجتاح المعاقل البريطانية فى الشرق الاقصى ٠

وتوالت انتصارات اليابان فى البر والبحر ضـــد البريطانيين وحلفائهم الامريكان ٠ وسقطت جزر الباسفيك والملايو وجزر الهند الشرقية وبورما وسنغافورة ٠٠ ثم بدأ زحف اليابانيين صوب الهند واضطرت بريطانيا أن تعيد توزيع قواتها المنهكة ٠

كان هذا هو الموقف فى الشرق الاقصى ٠

أما فى أوروبا فان الجيـــوش الالمانية كانت تحاصر موســـكو ولينينجراد ٠٠ وتعدو عدوا صوب آبار البترول فى القوقاز ٠

وفى كلمة موجزة كان هتلر قد سحق أوروبا تحت حذائه العسكرى من النرويج الى اليونان ومن شاطىء الاطلنطى الى نهر الفولجا وجبال الاورال ٠

وفى افريقيا وعلى حدود مصر الغربية كان الثعلب المراوغ الماريشال روميل ـ كما أسماه يومئذ تشرشل ـ كان لا يتراجع مرة الا ليرتد بعدها ـ مثل وتر القوس ـ وهو أكثر شدة وقسوة وعنفا ليكيـل للبريطانيين ضربات قاصمة !

وكانت انجلترا قد هرعت خلال العام ـ عام ١٩٤١ ـ الى التدخل فى العراق لتحبط الانقلاب الذى قام به السيد رشيد عالى الكيلانى الذى كان متهما بأنه ضالع مع المحور ٠٠

٠٠٠ وتدخلت كذلك فى ايران ـ بالاتفاق مع حليفتها روسيا ـ وخلعت شاه ايران رضا بهلوى ونفته الى جزر سيشيل ٠

وفى كلمة موجزة كانت أعصاب الانجليز متوترة ٠٠ وصـــوابهم يكاد أن يطيش ٠٠ ما بين هزائم متوالية ٠٠ وانقـــلابات فى بلدان صديقة موالية ٠

وكانت السلطات البريطانية فى مصر تخشى أن يقع هنا انقلاب كالذى وقع فى العراق ..

انقلاب يخرج به الامر نهائيا من أيدى الساسة المصريين (أصدقاء) بريطانيا الى أيدى الساسة المصريين خصـــومها الذين يعملون على احباط مجهودها الحربى فى مصر وفى الشرق الاوسط ويمهـــدون لانتصار المحور ...

وكانت تقارير أقلام المخابرات البريطانيـــة كما سبق أن ذكرت تزعم ان ساسة وكبراء مصريين يترقبون الفرصة للقيام بانقلاب فى الوقت الذى يتفق عليه بينهم وبين وكلاء المحور وعيونه فى مصر .. وان الغرض من هـــذا الانقـــلاب هو احراج البريطانيين فى الوقت المنـــاسب الذى يشن فيه روميل هجوما عنيفا على مصر فيضـــطر البريطانيون الى توزيع قواتهم بين مصر وميدان القتال فى الصحراء الغربية ... وتضطرب خطوط التموين وتقطع خطوط المواصلات مع جبهة القتال .

كان الموقف اذن خطيرا بالغ الخطورة وكانتالسياسة البريطانية قد فقدت آتزانها وطاش صوابها وكانت تتعثر وهى تتلمس أسباب النجاة .. وكان ساسة بريطانيا وقوادها ورجال سفارتها فى مصر يشعرون ان شعب مصر يكرههم وان عواطفه كلها مع ألمانيا وهتلر.. وكانت عيون السفارة ورجال أقلام المخابرات البريطانيون يقدمون تقارير فيها أن رواد المقـــاهى فى الاحياء الشـــعبية فى القاهرة واسكندرية ومدن القطر يجتمعون كل مساء حول أجهـــزة الراديو وينصتون للاذاعات العربية من محطات المحور وخصوصـــا محطة برلين ...

وتناقلت الالسن يومئذ نكتة أو عبارة مشهورة قالها المرحوم أحمد زيور باشا عندما سئل عن رأيه فى الحالة . فقد قال :

ـ حالة ايه يامونشير ! .. شعب مصر ألمانى .. وملك مصر طليانى والحكومة انجليزية ..

اى ان عواطف الشعب مع الالمان

والملك السابق فاروق ضالع مع الايطاليين بحكم نشأة أبيه والصداقة الموروثة والحاشية الايطالية التى تحوطه ٠٠ بينماالحكومة تتعاون مع الانجليز !

* * *

كان الانجليز يدركون هذا ويشعرون ان المصريين ضدهم ٠٠٠ والملك فاروق ضدهم ٠٠٠

٠٠ وان هناك « نشاطا محوريا » ـ كما وصفوه ـ يقوم به نفر من كبار المصريين فى مصر وفى خارج مصر ٠٠ وان هناك اتصالات سرية تجرى بين السلطات المصرية العليا ـ أىفاروق ورجاله ـوبين السلطات العليا فى برلين ٠٠٠ وان بين الذين يقومون بهذهالوساطة ويسهلون هذه الاتصالات وزير تركيا المفوض فى مصرشوقى الهان ٠٠٠ والآنسة بدروزو الملحقة بالمفوضية الاسبانية ومسيو بوتزى وزير حكومة فيشى المفوض فى مصر ٠٠٠

٠٠ وان هناك خطة مرسومة لاحداث انقلاب فىمصر عندما يشدد روميل هجومه على مصر ٠٠

* * *

كانت هذه هى حال البريطانيين وكان هذا موقفهم ٠٠ والمعلومات التى تجمعت لديهم ٠

ومن ثم كانوا يوجسون شرا ويخشون أن يقع فى مصر ما سبق أن وقع فى العراق وأن يفاجأوا فى ساعة الخطر ـ وهجوم روميل ـ بوقوع انقلاب فى مصر يتولى على أثره الحكم أحد الساسة الموالين للمحور ذوى « النشاط المحورى » الذى سبق أن أشرت اليه ٠

وكان الانجليز يرون ان الحل الوحيد لعلاج الموقف هو أن يتولى الوفديون الحكم ٠٠ وهو ما سبق أن أشاروا به فى صيف عام١٩٤٠ ثم عادوا وأشاروا به بعد وفاة المرحوم حسن صبرى باشا ٠٠٠ ولكن مشورتهم لم يعمل بها فى المرتين ٠

وكان الاعتقادالسائد فى لندن وفى الدوائرالبريطانية فىالقاهرة ان « رفعة » مصطفى النحاس باشا هو وحده الزعيم الشعبى القادر

على « تحويل الدفة » ·· دفة عواطف الشعب ·· من الاتجاه الى ألمانيا الى الاتجاه الى بريطانيا وحلفائها ؟!

* * *

ومرت شهور الصيف ·· والخريف ·· وأقبل الشتاء · وبدأ روميل يتحرك بجيوشه فى الصحراء الغربية صوب مصر ···

واستعرض الانجليز الموقف فاذا به :

الملك ضدهم ·

والشعب المصرى أو الرأى العام فى مصر ضدهم ·

وحزب الأغلبية الشعبية ـ أى الوفد ـ ضدهم بعد خطبة النحاس باشا المشهورة فى رأس البر · وانه ـ أى الوفد ـ ينتظر من فاروق ـ ومن يوم لآخر ـ أن يعيده الى الحكم ···

وكان الانجليز ـ طبعا ـ يعرفون جميع الخطوات التى تمت من أجل عودة المياه الى مجاريها بين الملك فاروق وحزب الاغلبية الوفدية

ومن هنا قدرت السياسة البريطانية انه اذا تولى الوفد الحكم فسوف يتولاه وهو يشعر بأنه مدين بهذا (الفضل) لفاروق !··

فاروق الذى كان ممالئا أو نصيرا لسياسة المحور ··· وان الوفد والحالة هذه سوف يسير على نفس السياسة أى سياسة العداء لبريطانيا وممالأة أعدائها دول المحور !

وأسرع الانجليز وانتهزوا فرصة حوادث آخر يناير ١٩٤٢ ـ أزمة فيشى واستقالة وزارة حسين سرى باشا ـ أسرعوا وضربوا ضربتهم التى فرقوا بها بين الملك والوفد ··· وكسبوا فيها الوفد وأغلبيته الى جانبهم ·

وفى غداة حادث ٤ فبراير · هتف الشعب ـ شعب الوفد ـ لسفير بريطانيا وهو فى طريقه الى رياسة مجلس الوزراء ·

وهتف وصفق له طويلا عند ما أطل عليه السفير سير مايلز لامبسون والى جانبه رئيس الوزراء مصطفى النحاس باشا من شرفة رياسة مجلس الوزراء !

وأحس الوفديون يومئذ أنهم مدينون فعلا (بالفضل) ·· فضل

توليهم الحكم ـ بعد حرمانهم منه زهاء أربع سنوات ـ مدينون بهذا (الفضل) لبريطانيا وسفيرها سير مايلز لامبسون ·· لا لفاروق أو أحمد حسنين !

* * *

وكانت أكبر هزيمة منى بها حسنين فى حياتهالسياسية فقدترك الانجليز يسبقونه وينتزعون منه النحاس والوفديين من بين يديه·

وقال لى يوم قابلته بعد حادث ٤ فبراير بثلاثة أيام :

القلم كان جامد يا محمد ·· لسه بيرن على صدغى ·· شغل ثمانية أشهر راح فاشوش ··

وكان يقصد مساعيه من أجل عودة الوفد الى الحكم ·· ولكن لا بهذه الطريقة بل بالطريق الشرعى السليم ·

وتنهد حسنين وقال :

ـ آه لو كنت قابلت ليتلتون قبلها ولو بأربع وعشرين ساعة بس ·· ما كنش حصل حاجة من دى ··

وحدثنى طويلا عن تفصيلات الحادث والانذاراتالتى سبقته وعن اجتماعات الزعماء فى قصر عابدين ثم محاصرة الدبابات البريطانية للقصر وحضور السفير مايلز لامبسون ·· الخ

ولقد خرجت يومئذ من هذا الحديث بهذا الاثر وهو ان حسنين كان لا يزال حائرا لا يعرف كيف وقعت هذه الضربة ·· ولا من أين جاءت هل من السفير ؟·· أو من مستر ليتلتون وزير الدولة ؟ ·· وهل النحاس باشا برىء كما يقول منتبعة هذا الحادثومنالاشتراك فى تدبيره ؟ ·· واذا كان هو بريئا فهل مكرم وأمين عثمان بريئان كذلك ··· أم تراهما اتفقا مع الانجليز من وراء ظهرمصطفىالنحاس ·· الى آخره ··؟

كان حسنين لا يزال حائرا يوم قابلته عقب الحادث فى يوم ٧ فبراير ·· ولكنه عاد بعد أيام وفى مقابلة أخرى وقال انه اقتنع بأن النحاس ومكرم بريئان وانه أفلح فى اقناع فاروق بذلك ··

ولكننى أتساءل اليوم ـ وفى ضوء تصرفات حسنين التالية مع

مصطفى النحاس ـ أتساءل هل كان حسنين قد اقتنع حقـا ببراءة النحاس أو انه قال لى هذا الكلام لكى أنقله الى مصطفى النحـاس فيطمئن الى حسنين ولا يأخذ منه حذره ؟

وأخرج من هذا السؤال أو هذا التساؤل بحقيقة قررها ويشهد كثيرون على صحتها وهى أن حسنين باشا رحمه الله أقسم بعد حادث ٤ فبراير على الانتقام من مايلز لامبسون ومن مصطفى النحاس ..

والقسم على الانتقام من رئيس الوفد ينهض دليلا على أن حسنين لم يكن يؤمن ببراءة مصطفى النحاس ..

ولكننى أترك المنطق والاستنتاج وأروى حديثه أو أحاديثه كما سمعتها منه ..

* * *

فى حديث له أفضى به الى فى جلسة لنا بداره فى مساء ٢٧ مارس عام ١٩٤٢ قال .. ان فاروق قال له عقب الحادث مباشرة : « حصل اللى حصل وعلى كل حال أنا أعطيت النحاس كلمة انى سوف أساعده .. وجم الحكم خلاص ولازم أشتغل معاهم » ..

قال حسنين :

ـ وكان على بصفتى رئيسا للديوان أن أقيم سياستى على هـذا الاساس .. وهو التعاون مع حكومة الوفد .. والتعاون مع السلطة التى جاءت بها الى الحكم أى الانجليز .. وأن أنسى عواطفى الشخصية

وأشهد أنه قال هذه العبارة بمرارة فلم تكن الهزيمة أمرا سهلا على حسنين وأية هزيمة أكبر وأشنع من هزيمته السياسية فى حادث ٤ فبراير .. وهو الذى طالما باهى وفاخر بانتصاره على السـفير لامبسون وكيف كسب منه الجولة يوم فاجأه بوزارة حسن صبرى باشا ..

ويوم كسب منه الجولة الثانية يوم واجهه بالامر الواقع ووزارة حسين سرى .. وها هو ذا السـفير مايلز لامبسون يكسب الجولة الاخيرة الحاسمة ويفاجئه بالدبابات تحيط بالقصر .. وبوزارة الوفد بفرضها على فاروق فرضا والا ... ؟

وزاد فى مرارة حسنين وفى حدة شعوره بالهزيمة علمه أن الشامتين فيه كثيرون٠٠وان الساخرين منه ومن سياسته قد أطلقوا فيه ألسنتهم فى كل ناد ومجلس ٠٠ وآن خصومه فى داخل القصر وفى خارج القصر قد بدأوا يستخفون به ولا يبالون أن يعلنوها صراحة انه ـ أى حسنين ـ لا يصلح لمنصب رئيس الديوان ٠٠ وان أحدهم وهو على ماهر باشا ـ قد سأل بعض أصدقاء حسنين بلهجة اصطنع فيها الدهشة والعجب ٠٠ كيف ان حسنين باشا لم يستقل من منصبه حتى الآن ؟

ويستطيع القارىء أن يدرك من هذه التفصيلات ان حسنين باشا لم يكن شريكا فى جريمة تدبير حادث ٤ فبراير ٠٠ ولم يكن مطية للسفير أو غيره من الانجليز ٠٠ بل كان ضحية من ضحايا الحادث الشنيع المشئوم ٠٠ وان كل ما قيل عن تآمره مع الانجليز فى الحادث المذكور كان محض افتراء أذاعه عنه الحاقدون المغرضون٠٠

وأمشى الان فى سرد الحوادث كما رواها لى أحمد حسنين٠٠ولقد اتفق معه على ترتيب الوقائع ولكنى أختلف معه قطعا فى الاسباب والنتائج ٠

ومن ذلك ٠٠٠

قال لى رحمه الله ٠٠

ـ ٠٠٠ ورغبة منى فى تصفية الجو بين الملك والوزارة وتحسين العلاقات بينهما سعيت عند الملك حتى وافق على مقابلة مكرم وأمين عثمان ٠٠ وذلك لكى تعرف البلد ان الملك لا يكره مكرم أو أمين عثمان كما يذاع ويشاع ٠٠٠ ولاننا كنا جميعا نعرف ان مكرم باشا هو ذراع النحاس اليمنى ومستشاره فى الشئون الداخلية والمالية ٠٠ وأن أمين عثمان هو ذراعه اليسرى ومستشاره فى الشئون الخارجية فكان من المرغوب فيه والحالة هذه أن توثق علاقتنا بهذين الذراعين أو بالرجلين المقربين الى رئيس الحكومة ٠٠ وهكذا طلبت من مكرم باشا ان « يلتمس » مقابلة جلالة الملك لسبب ما٠٠وسألنى مكرم « سبب زى ايه ؟ » ٠٠ وسكت مكرم قليلا ثم قال :

ـ وجدت السبب ٠٠ لقد أعددنا أوراق نقد جـــديدة وأحب أن أعرض الرسم الجديد على جلالة الملك قبل البدء فى طبعها ٠٠

قلت : عظيم ٠٠ والسبب وجيه ٠٠

وتمت المقابلة فعلا ٠٠ وقد نجح مكرم باشا واستطاع أن يكسب عطف الملك وخصوصا بعد أن قال له : أنا أعـــرف يامولاى ان من السهل جدا مهاجمتى وتحميلى مسئولية كل ما يقع من الوفد٠٠وأنا والله شهيد ٠٠ برىء

وكذلك تمت مقابلة الملك بأمين عثمان ٠٠ ولكن المقابلة لم تنجح٠



الخلاف بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد

اذن فان حسنين السياسى الداهية يزعم انه سعى لدى فاروق حتى أقنعه بالموافقة على مقابلة مكرم عبيد رغبة منه فى « تصفية الجو وتحسين العلاقات بين الوفد وفاروق »

هذا ما قاله أو ما زعمه حسنين غفر الله له ..

والحقيقة ان غرض حسنين كان أبعد ما يكون عن الصفاء والوئام والسلام .

لقد كان غرض رئيس الديوان ـ فى تنفيذ أو تحقيق سياسة الانتقام من مصطفى النحاس ـ كان غرضه أن يوقع بين النحاس ومكرم وبين النحاس وأمين عثمان .. أو بعبارة أخرى أن ينتزع من رئيس الوفد ذراعيه الاثنتين اللذين يستند اليهما فى ادارة شئون البلاد الداخلية والخارجية .

ويا له من انتصار يمحو عار هزيمة ٤ فبراير يوم ينجح حسنين فى ضم مكرم وأمين عثمان الى جانب القصر .. ضد الوفد ومصطفى النحاس .

أو على أقل القليل يوم يستطيع أن يستغل نفوذ مكرم عند النحاس فى تحقيق أغراض السراى والموافقة على طلباتها .. ويوم يستطيع أن يستغل حظوة أمين عثمان عند الانجليز فى اقناعهم بتعديل سياستهم الجافة أو موقفهم المتعنت المتشدد من القصر ..

كان هذا هو الغرض الحقيقى من هذه الخطوة التى خطاها حسنين وجمع فيها بين فاروق ومكرم .. وبينه وبين أمين عثمان .

ولقد نجح فوق ما كان يأمل .. ويوم عرف مصطفى النحاس ان السراى قد حددت موعدا يتشرف فيه معالى وزير المالية مكرم عبيد

باشا بمقابلة جلالة الملك فاروق ٠٠ قال النحـــاس باشا لجلسائه « انا عارف انهم عايزين يفرقوا بيني وبين مكرم » ٠٠

ثم عاد وقالهـا لمكرم نفسه ٠ قال « يامكرم خد بالك ٠٠ عاوزين يفرقوا بيننا »

ومشت الحوادث سريعة تلهث ٠ خرج مكرم باشا من مقابلة فاروق مغتبطا مسرورا واتصل به زميل كان يعمل فى « الأهرام » وسأله عن المقابلة وما دار فيها وأثرها فى نفس « معاليه » ٠٠٠ وكان اتصاله بناء على ايحاء من حسنين باشا وكان مكرم كما قلت مغتبطا مسرورا ومن هنا أفاض فى وصف العطف السامى الكريم الذى لقيه الى آخره ٠٠

وقال مكرم باشا انه سيملى الجريدة تصريحا مكتوبا ٠

وكان هذا هو الفصل الثانى فى المؤامرة أو الشباك التى نصبهـا أحمد حسنين لمصطفى النحاس ومكرم عبيد ولم تكن العادة قد جرت بأن يخرج الوزير ــ أى وزير من مقابلة الملك ــ أى ملك فى أى بلد ــ ويصف المقابلة فى مقال ينشر فى الصحف ٠

ولكن هذا هو ما حدث ٠٠ فقد طلعت جريدة « الاهرام » فى عددها الصادر بتاريخ يوم الجمعـة ١٣ مارس عـام ١٩٤٢ وفيهـا الكلمـة أو المقال الآتى ٠٠

وزير المـــــالية
فى الحضرة الملكية

تشرف معالى الاستاذ مكرم عبيد باشا وزير المالية بمقابلة صاحب الجلالة الملك بعد ظهر أمس فعرض على المسامع الملكية بعض الشئون المالية والاقتصادية فلقى من لدن جلالته كل عطف ورعاية وقد أفضى معاليه الى مندوب « الاهرام » بالتصريح الآتى ٠٠

« تشرفت مساء أمس بمقابلة جلالة المليك المحبوب ٠٠ وعرضت على مسامعه الكريمة أهم شئون التموين والسيـاسة التى ندرسهـا الآن تمهيدا لاقرارها وتطبيقها على محصول القمح الجديد كما عرضت على جلالته بعض التعديلات فى الميزانية التى اعتزم عرضها على مجلس الوزراء وفى مقدمتها المشروع الذى يرمى الى تخفيف الاعباء المالية عن

صغار الفلاحين والمزارعين · ورفع مستــوى معيشتهم وغير ذلك من المشاريع التى تؤدى ـ أو أرجو أن تؤدى الى موازنة الميزانية موازنة حقيقية لا حسابية بحيث لا تهمل المشاريع الحيوية ويكون جباية المال وانفاقه فى حدود العدالة الاجتماعية ·

ثم تشرفت بعرض ماتم فى مسألة القطن والحبوب ومبلغ ماوفقت اليه حكومة جلالته فى هذا الصدد ·· بالتعاون مع الدولة الحليفة ·

وأطلعت جلالته على نموذج من أوراق النقد الجديدة · · التى لوحظ فى طبعها واعدادها تعذر تزييفها · فنالت رضاءه السامى ·

وقصارى القول ·· فقد تناول حديثى فى حضرة جلالته ·· حالة البلاد الماليــة من مختلف وجوهها ـ وهى حالة بفضل الله مرضية ـ ولقيت من جلالته لا مجرد عطف فحسب أو تشجيع فحسب ـ مما ألهج لسانى بالشكر والحمد ـ بل لقيت ما هو أعظم من ذلك وأهم فقــد لقيت اطلاعا واسعا ·· وارشادا نافعا ونظرة دقيقة وعميقة الى جوهر المسائل المعروضة رغم تباينها وبعد نواحيها · فلم ألبث طويلا حتى أدركت أن ملكنا الشاب قد ملك زمام الامور · بفضــل ما أوتى من رجولة مبكرة وخبرة منوعة نادرة · قلما اتيحت لملك من الملوك ·

ولذلك لم يلبث الحديث طويلا حتى انتقلت دفته الى يديه الكريمتين فكان ينتقل من موضــوع الى آخــر ومن نصح الى نصح · فى عطف ووداعة · وصراحة أخاذة ونفاذة معا ··

وغاية القول أنه قد اتيح لى فى هذه المقابلة الملكية السامية أن أعرف الرجل الملك فكان الرجل فى رجولته لايقل جلالة عن الملك فى مملكته

وقد تفضل جلالته فأكد لى فى بساطة وديمقراطية أنه ملك للجميع · لا يفرق بين طوائف ·· أو أحزاب أو طبقات فى شعبه الوفى · وقد خرجت من لدنه وهذا اعتقادى ·· بل ويقينى ·

* * *

وكان النحاس باشا يقيم هو والسيدة حرمه فى جناح خاص بفندق مينا هاوس وتصادف اننى ذهبت أزوره فى مساء نفس اليــوم الذى ظهرت فى صباحه كلمة الاستاذ مكرم عبيد بجريدة الاهرام ·

وبينما نحن نتحدث دق جرس التليفون الموضوع فوق مائدة صغيرة بجوار « رفعته » وكان المتكلم الاستاذ مكرم عبيد وكان يتكلم من مدينة المنيا ··

وفهمت من الحديث الذى دار بينه وبين السيد مصطفى النحاس أن مكرم كان قد سافر فى صباح نفس اليوم الى المنيا لكى يسوى خلافا خاصا بترشيحات الوفد لانتخاب مجلس النواب وكان الخلاف بين مرشحين وفديين أحدهما الاستاذ ابراهيم الشريعى ·

وبينما كان مكرم يتحدث ·· ولم أسمع حديثه طبعا وأن أكن قد فهمت بعض ما قاله من تعليق أو رد مصطفى النحاس ·· أقول بينما كان يتحدث قاطعه النحاس وهو يقول ··

ـ لكن سيبك من ده كله وقول لى ايه الكلام ده يامكرم اللى انت كاتبه فى أهرام النهاردة ؟

ويظهر أن مكرم باشا أبدى دهشته أو عجبه من استنكار النحاس باشا أو قال ما معناه انهم جميعا يقولون مثل هذا الكلام عن الملك فى كل يوم ·· لان النحاس باشا قال ··

ـ أيوه لكن لما أقوله أنا باقوله فى مقابل شىء ·· باقوله وأخد حاجة فى مقابل كده ·· لكن أنت تقوله ليه ·· ثم علشان ايه ما عرضتوش على قبل نشره ·· دى غريبة ·· لأنك دايما بتاخد رأيى فى أحاديثك وتصريحاتك قبل نشرها اشمعنى المرة دى لا ··؟

ويظهر أن مكرم قال ان الساعة كانت متأخرة وانه لم يرد ازعاج « رفعته » أو ايقاظه من نومه ·· لان النحاس باشا قال ··

ـ يعنى ايه ·· عايز تقول انك كتبت الكلام ده نص الليل ·· وقبل كده ماكنتش لسه كتبت حاجة ؟

★ ★ ★

وانتهت المحادثة بين الصديقين ·· رئيس الوفد وسكرتير الوفد · وكانت لهجة الحديث فى نهايته قد اشتدت واحتدت ·

ولاحظت عندما انهى النحاس باشا الحديث وأعاد سماعة التليفون الى مكانها أن علامات الغضب كانت مرسومة واضحة على وجهه وفى

عينيه ٠٠ وقال « رفعته » ٠٠

ـ ده كلام ما يكتبوش الا العبيد ٠٠ أقول ايه للانجليزاللي جابونا علشان نقف فى وشه «يقصد الوقوف فى وجه فاروق»؟ أقول لهم ايه؟٠ أقول لهم بعد جمعة والتانية بقينا أمامه عبيد نتكلم عنه بلهجة العبيد ٠٠؟

* * *

ولم يكن أحمد محمد حسنين سبب الخلاف بين رئيس الوفد وسكرتير الوفد السيد مصطفى النحـاس والاستاذ مكرم عبيد ٠٠ ولكنه كان أحد الذين عملوا بمهارة « وشطارة » على توسيع شقة الخلاف ٠

وكان حسنين ـ كما سبق أن ذكرت ـ قد أقسم بعـد حادث ٤ فبراير على الانتقام من مصطفى النحاس ٠ ومن هنا سعى الى اضعاف مصطفى النحاس ـ ولا أقول هدمه ـ عن طريق التفريق بينه وبين أخلص صديق له وأقوى أعضاء الوفد نفوذا وأقربهم الى قلب الشعب وهو مكرم عبيد ٠٠٠

وما من شك فى أن الخلاف بين الصديقين القديمين والذى انتهى الى خروج أو اخراج مكرم عبيد من الوفد ثم هجومه وحملاته الشديدة على مصطفى النحاس ٠٠ ما من شك فى أن هذا كله كان ضربة قاسية للوفديين عامة ولمصطفى النحاس بوجه خاص ٠

أما عن أسباب الخـلاف الاصلية أو الاصيلة ٠٠ فقد قال لى دكتور محمد صلاح الدين الذى كان من أخلص الوفديين لمصطفى النحـاس وكان أقربهم اليه وكان موضع ثقته والذى عهد اليه النحـاس باشا بمنصب وزير الخارجية فى وزارة الوفد فيما بعد قال لى ذات يوم أثناء الخلاف بين مكرم ومصطفى النحاس ٠٠٠

ـ ان مصطفى باشا بحكم طبيعته لابد أن يسيطر عليه شخص ما ٠٠ ولقد كان هذا الشخص فى وقت ما هو مكرم عبيد ٠٠ أما الآن فانها زوجته زينب هانم التى تسيطر عليه وتسيره كما تريد ٠٠

ـ ثم قال ٠٠

ـ وزينب هانم تتدخل الآن فى شئون الحكم ومع ذلك فقد كانت قالت لى فى أول أسبوع من قيام هذه الوزارة كلاما سررت منه جدا

وتفاءلت منه خيرا ·· قالت لى ·· « لازم نتعظ بأخطاء الماضى ونمشى فى الحكم كويس·وأنا سأستعمل نفوذى عند الباشا ـ تقصد زوجها ـ من أجل هذا » ·· ولكنها للأسف سرعان ما نسيت وعدها وعملت على العكس ··

* * *

اذن فقد كان مكرم عبيد صاحب السيطرة والنفوذ ·· الى أن زحزحته أو أزاحته السيدة زينب الوكيل ··

وكان طبيعيا أن تتطور المنافسة بين الاثنين الى عداء أو ما يشبه العداء ·· وأن يطلق كل من الاثنين لسانه فى صاحبه ··

وامتلأت المجالس والاندية بالاشاعات « والتشنيعات » وسمع الجمهور لأول مرة أن السيدة حرم رئيس الوفد ورئيس الوزراء تستغل نفوذ زوجها ونفوذ الوزارة من أجل الثراء السريع ·· وانها ليست وحدها بل ومعها عدد من أقاربها وأصهارها ··

وعرف النحاس باشا والسيدة حرمه أن مكرم عبيد وأقاربه وأنصاره هم مصدر هذه الاشاعات ··

وسمع الناس أن مكرم باشا يقول فى مجالسه الخاصة أن زينب هانم تحاربه بسبب نزاهته ولأنه ـ وهو وزير المالية ـ رفض أن يوافق على طلباتها وطلبات شقيقها السيد أحمد الوكيل الخاصة باذونات التصدير والاستيراد ··

وهذا فضلا عن الخلاف الذى شجر حول الاستثناءات والترقيات والعلاوات ··

وأحب أن أعفى قلمى هنا من الخوض فى حديث الفساد واستغلال النفوذ وما قيل يومئذ ، وبعدئذ··فما أظن أن قلمى أو أى قلم آخر يمكنه أن يكتب اليوم أكثر مما كتب او يقول اليوم شيئا جديدا لم يسبق قوله ونشره ·· ولكنى حريص مع ذلك على تقرير حقيقة منصفة وهى أن الاستاذ مكرم عبيد سبق أن دافع دفاعا بليغا قويا عن الاستثناءات والترقيات فى عام ١٩٣٧ ·· فما باله يحاربها فى عام ١٩٤٢ ؟

الحقيقة المنصفة هى أن السيدة حرم النحاس باشا وأقاربها أرادوا

أن يحملوا نزاهة مكرم عبيد فوق ما تطيق ..

أنا شخصيا أعتقد أن مكرم باشا لم يكن ليمانع أو يعارض كثيرا أو طويلا في إجابة بعض الطلبات الصغيرة التي – مع مخالفتها للقوانين – لا تثير ضجة وقالا وقيلا .. وذلك حرصا منه على رضاء صديقه النحاس باشا .. وثمنا لسكوتها عنه أو تأييدها له عند زوجها .. ولقد سبق أن تساهل أو أغمض عينيه ...

ولكنه في هذه المرة وجد أن المطلوب منه – أو الحمل على نزاهته – ثقيل وفوق ما تطيق .. فرفض ..

ثم تشدد بعد أن اشتد الخلاف وراح يتعنت ويرفض الطلب الصغير اليسير كما يرفض الموافقة على الطلب الكبير الخطير .

أى أن الأمر كله أصبح بين السيدة حرم رئيس الوفد والوزراء ومكرم عبيد نوعا من العناد ..

* * *

هذا سبب ..

وسبب اخر وهو أن كثيرين من أعضاء الوفد كانت صدورهم ضاقت بالنفوذ الاكبر الذى يتمتع به « زميلهم » مكرم عبيد دونهم جميعا عند « رئيسهم » مصطفى النحاس وبالسلطات الواسعة التى كانت له في كل شأن من شئون الوفد وخصوصا بعد خروج أحمد ماهر والنقراشي من الوفد .

هؤلاء الاعضاء رأوا أن الخلاف بين زينب هانم ومكرم عبيد فرصة طيبة أو فرصة سانحة يحسن بهم أن ينتهزوها لكى يتخلصوا من مكرم عبيد ومن نفوذه الطاغى في الوفد .. أو كما قال لى أحدهم .. « نريد أن نكون أرقاما صحيحة .. لا أصفار الى اليسار »

وقال لى الدكتور محمد صلاح الدين أثناء الخلاف .. « ان صبرى باشا أبو علم ونجيب باشا الهلالى يعملان على توسيع شقة الخلاف بين مصطفى باشا ومكرم باشا .. وليس هناك من يعمل معى على تسوية الخلاف سوى الاستاذ محمود سليمان غنام »

وتناول الاستاذ فؤاد سراج الدين العشاء معى مرة فى مسكنى ..

وكنا وحدنا .. وكان يومئذ وزيرا للزراعة . وسألنى .. « ايه رأيك فى فصل مكرم باشا من الوفد ؟ .. »

وقبل أن أجيب مضى يقول ..

ــ أظن أن الاحسن فصله دلوقت .. لأن الخلاف استفحل ومستحيل بعد كده تصفى القلوب .. أو يتصالح تانى مع مصطفى باشا وزينب هانم .. واذا فصلنا مكرم دلوقت مش راح يقدر يعمل حاجة لأن الوفد فى الحكم وتحت يدنا الرقابة .. لكن اذا سبناه جايز نخرج من الحكم .. ويخرج هوه بعدها علينا ويحاربنا ..

* * *

وهكذا .. السيدة حرم رئيس الوفد تحارب مكرم وتعمل على خروجه أو اخراجه من الوزارة والوفد .. وكل من فى الوفد أو معظم أعضاء الوفد يعمل كذلك على اخراج مكرم عبيد ..

وكذلك « القصر » أو الرجل الأول فى القصر ورئيس الديوان أحمد محمد حسنين .. أسباب وعوامل تضافرت جميعا على التفريق بين الصديقين الحميمين القديمين النحاس ومكرم عبيد ..

* * *

وكانت الوزارة قد تقدمت بطلب عدد من الاستثناءات والترقيات لبعض الموظفين الوفديين الذى اضطهدوا ــ كما قالت الوزارة ــ فى عهد الوزارات غير الوفدية ..

ورفض وزير المالية ــ مكرم عبيد ــ الموافقة على هذه الطلبات ..

ولما راجعه رئيس الوزارة مصطفى النحاس فى الأمر أحال مكرم المسألة كلها على اللجنة المالية ..

وطال الأخذ والرد .. وتطور الخلاف فى الرأى الى أزمة ... كل هذا وعوامل التفريق التى أشرت اليها تسعى وتعمل ..

وفى مساء ١٨ مايو ١٩٤٢ أقمت فى دارى حفلة بمناسبة عيد مولدى وغنت فيها أم كلثوم ..

وكان بين المدعوين الاساتذة صبرى أبو علم ونجيب الهلالى وأحمد حمزه ودكتور محمد صلاح الدين وعدد من الشيوخ والنواب الوفديين

وبعض الزملاء الصحفيين ومنهم أنطون الجميل ومحمود أبو الفتح ومصطفى أمين وعلى أمين وحسن الأعور وكان يومئذ مديرا لمكتب وزير المالية الاستاذ مكرم عبيد ..

ولاحظت أثناء السهرة « حركة » أو نشاطا بين بعض المدعوين .. لاحظت مثلا أن محمود أبو الفتح تكلم بالتليفون بصوت خافت مرة أو مرتين ..

وأن حسن الاعور وعلى أمين اختليا فى غرفة مكتبى بمكرم باشا ... وأخيرا عرفنا أن مكرم باشا كان أرسل الى جريدة المصرى بصورة من المذكرة التى وضعتها اللجنة المالية وفيها قرارها برفض جميع الاستثناءات ...

وأن جريدة المصرى أدركت خطورة نشر هذه المذكرة ـ لأنها تخالف رأى الوزارة ورأى رئيسها مصطفى النحاس ـ فاتصلت بصاحبها الاستاذ محمود أبو الفتح فى مسكنى ..

وأراد الاستاذ أن يتخلص من مسئولية ابداء رأيه فطلب من جريدته أن تعرض المذكرة على الرقيب . « وكانت الرقابة مفروضة يومئذ على الصحافة بحكم حالة الحرب »

وسمع مكرم باشا بهذا كله فثار وهاج وتساءل منذ متى كان للرقابة سلطان على الوزراء وما يريد الوزراء نشره ...؟

واتصل مكرم باشا بالتليفون بالاستاذ محمود سليمان غنام الذى كان موكولا اليه أمر الاشراف على شئون الرقابة وأبلغه أنه سوف يستقيل من الوزارة اذا لم تنشر جريدة المصرى المذكرة كما هى ..

وكان سليمان غنام كما سبق أن قلت أحد القليلين الذين كانوا يسعون لتسوية الخلاف بين النحاس ومكرم .. ولقد خشى أن ينفذ مكرم وعيده ويستقيل فاذن بنشر المذكرة ..

سمعنا أثناء السهرة بهذا كله فأشفقنا من عواقب النشر .. وراح على أمين وحسن الاعور يرجوان الاستاذ مكرم عبيد أن يعدل عن نشر المذكرة حتى لا يثير نشرها مصطفى النحاس ..

الى آخره .. الى آخره .. وخرجت « المصرى » فى الصباح وفيها

مذكرة اللجنة المالية ومكرم عبيد برفض طلبات الاستثناءات ·
وكانت القاضية على كل أمل فى الصلح أو تسوية الخلاف · وثار مصطفى النحاس وأعلن انها مؤامرة ضده وضد الوزارة وأن صاحب المصرى محمود أبو الفتح شريك فى المؤامرة ولابد من « شلحه » من الهيئة الوفدية واصدار قرار من الوفد بأن المصرى لم يعد يعبر عن رأى الوفد ·· وكان هذا القرار يومئــذ شبيــه بقرار الحرمان الذى يصدره بابوات روما ضد المغضوب عليهم من أعداء الكنيسة ···

واختفى محمود أبو الفتح بضعة أيام ·· ريثما تهدأ العاصفة وثورة « الرئيس الجليل » ثم عاد من مخبئه وذهبوقابل النحــاس باشا · وكانت أول مرة يلقاه فيها بعد نشر المذكرة وكان النحاس باشا هائجا ثائرا ضده وقال :

ـ أرجو من رفعتك أن تطول بالك شوية ··· وأن يتسع حلمك لما أقول ··

وقال النحاس باشا ساخرا ···

ـ حلمى ياسى محمود ·· طيب قول ياسى محمود ···

وقال محمود أبو الفتح ··

ـ ما هو أساس حملة التشهير التى يقوم بها مكرم باشا ضدك ؟·· أليس أساس هــذه الحملة المحسوبيــة التى يزعم أن أقارب رفعتك يتمتعون بها ؟ ·· أليست الاستثناءات التى يرفضها ويجعل منهــا أساسا لحملة التشهير ·· أليست مطلوبة لاقارب وانصار رفعتك ؟·· وأليس شقيقى متزوجا من بنت شقيق رفعتك ؟ ··

السنا اذن منأقاربرفعتك المقصودينبالتشهير ؟ فكيفاذنيخطر ببــال رفعتك اننى أتآمر ضدك مــع مكرم باشا ؟ ·· ثم اذا انهــار مصطفى النحاسوضاع نفوذه ألا ننهار نحنأيضا معه ونفقد نفوذنا ؟· اننا الآن نستمد جاهنا من جاهك فاما ارتفعنا معك واما سقطنا معك فكيف اذن يمكن أن أعمل عملا يؤذى أو يحط من قدر رفعتك ؟ ·· ورفعتك تعرف أن مكرم عدوى وانه يكرهنى وكان دائما يشككم فى وفى اخلاصى لكم وفى ولاء المصرى لرفعتكم ··· وأنا لم أنشر المذكرة

الا كارها وقد رفضت نشرهـا ولكن ازاء الحـاحه أحلت الأمر على الاستاذ غنام فصرح بالنشر ••• ولما انتهى الاستاذ محمود أبو الفتح من دفاعه قام النحاس باشا وضمه الى صدره وتعانقا ••

* * *

وأقف هنـا قليلا لاتساءل مرة أخرى لماذا نشر محمود أبو الفتح هذه المذكرة مع علمه بخطورة ووخامة العاقبة ••

واذا كنت ألح فى هذا السؤال فذلك لأن المذكرة كما وصفتها ـ كانت القاضيـة •• وكانت السبب المبـاشر لاخراج مكرم عبيد من الوزارة أولا •• ثم اخراجه من هيئة الوفد ثانيا •••

لقد قرأتم دفاع الاستاذ أبو الفتح عن نفسه وهو دفاع ضعيف عند الذين يعرفون الحقائق • وكان من السهل جدا على صاحب « المصرى » أن يرفض نشر المذكرة بعد أنرفض الرقيب اجازة النشر • أما اعتذار أبو الفتح بأن الاستاذ سليمان غنام أجاز النشر فمردود عليه بأنه لم يسمح بالنشر الا لكى يحول دون استقالة الاستاذ مكرم عبيد •••

فهـــل كان الاســـتاذ أبو الفتح حريصا مثله على عدم استقالة مكرم عبيد •• بالعكس كما سترون مما يأتى ••• ثم لماذا لم يختصر الاستاذ أبوالفتح ليلتئذ الطريقويتحدث مباشرة بالتليفون معالنحاس باشا ويعرض عليه الأمر •• واذن لكان سمعها من رئيس الحكومـة ورئيس الوفد حاسمة قاطعة بعدم نشر المذكرة •• ولكنه لم يفعل •• وأستتر وراء الاستاذ غنام !

ومرة أخرى لماذا نشر المذكرة هل مراعاة أو مجاملة لمكرم عبيد ••؟ هذا احتمال ولكنه كما سترون أضعف الاحتمالات ••

أم لأنه كان يعلم أن نشر المذكرة سوف يوسع الهوة بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد ومن هنا نشرها لكى تكون القاضية ؟

وهذا هو الاحتمال الراجح••لأن أصدقاء أبو الفتح كانوا يعرفون يومئذ أنه حانقمغيظ لعدم دخوله الوزارة••وقد كان أذاع أو أذاع له بعض أصدقائه وبعض الصحفيين ـ وألمحوا الى الخبر فعلا فى صحفهم ـ انه سوف يدخل الوزارة •••

وفى هذا سألت مرة الاستاذ فؤاد سراج الدين ـ وكنا فى النادى الأهلى ـ فقال وهو يضحك ..

ـ وبتصدق برضه الكلام الفارغ ده..طيب دحنا رفضنا أن نرشحه وكيلا لمجلس الشيوخ فكيف اذن نقبل دخوله معنا فى الوزارة ؟ ..

اذن فقد كان فؤاد سراج الدين أحد الذين عارضوا فى ترشيح صاحب المصرى لكرسى الوزارة ... ولكن الاستاذ أبو الفتح لم يكن يعرف هذه الحقيقة . بل كان يعتقد أن الذى عارض فى دخوله الوزارة هو الاستاذ مكرم عبيد ... ومن هنا نشر المذكرة لكى تكون القاضية على كل أمل فى تسوية الخلاف بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد ..

هذه هى الحقيقة ...

وأكثر من هذا ...

قال لى الاستاذ الشافعى البنا ـ رحمه الله ـ انه كان فى وقت ما رئيسا لتحرير جريدة المصرى أيام كان الوفد فى المعارضة ... وكان يحدث أن يطلب الوفد نشر مقال معين فى موضوع معين .. وكان أبو الفتح يماطل فى نشر المقال اما خوفا من أن تبطش الحكومة القائمة «بالمصرى» .. واما لأن له مصلحة معينة فى عدم النشر وكان سكرتير الوفد مكرم عبيد يتكلم بالتليفون ويلح فى نشر المقال ثم يهدد ويتوعد ويقول « قولوا للاستاذ أبو الفتح انه اذا لم ينشر المقال غـــدا فى المصرى فان الوفد سوف يصدر بيانا يعلن فيه ن جريدة المصرى لا تعبر عن رأى الوفد » ..

وكنت أشفق من عواقب هذا التهديد وأذهب الى أبو الفتح أرجوه أن ينشر المقال المطلوب فكان يبتسم ويقول « ماتخافش . بس سيبنى أنا بكره يشتمونا شتمتين ويزعلوا منا يومين وبعدها الحكاية تفوت » .

وحكاية أخرى ..

قال لى الاستـــاذ فؤاد سراج الدين فى نفس المعنى ونفس الموضوع انه حدث مرة وكان موجـودا فى مصيف رأس البر مع النحاس باشا ومكرم باشا أن نشر «المصرى» مقالا فيه دعاية قوية لوزارة حسين سرى من أجل اتفاقية القطن التى كانت عقدتها مع الانجليز . وغضب مكرم

باشا وثار ثورة عنيفة وطلب من محمود أبو الفتح أن ينشر «المصرى» مقالا تنقض فيه المقال الاول ولكنه ماطل ولم ينشر ... وهنا أعلن مكرم باشا اما أن يشلح أبوالفتح من الهيئة الوفدية واما أن يستقيل هو من الوفد ..

ومضى الاستاذ فؤاد سراج الدين يقول ...

ـ لقـد أمضيت يوما وليلة وأنا أهدىء من ثورة مكرم باشا ضد المصرى وصاحبه ...

خلاصة القول اذن ـ وهذه جرأة أبو الفتح فى نشر ما يريد أو عدم نشر مالا يريد رغم الوفـد وزعمـاء الوفـد ـ خلاصة القول اذن أن أبو الفتح كان يمكنه أن يرفض نشر المذكرة .. ولو كان فى رفضه ما يغضب مكرم عبيد ...

ولكنه نشرها .. لأنه كان يريد أن تنشر ..

حدث مرة فى عام ١٩٣٨ وكان السعديون والدستوريون فى الحكم والنقراشى باشا وزيرا للداخلية ... حدث أن اعتدى رجال البوليس على « موكب » النحاس باشا أثناء سيره من المحطة الى داره .. وكان مكرم باشا يجلس بجوار النحاس باشا فى السيارة ...

وأصابت هراوة أحد رجال البوليس رأس مكرم باشا وأحدثت فيه جرحا عميقـا . وحملت الصحف الوفدية حملات عنيفة على الحكومة وطالبت بمحاكمة ضباط البوليس المسئولين .

وقال لى حسين أبو الفتح شقيق محمود أبو الفتح ان شقيقه قال يومها .. « معلوم . يجب أن يحاكموا العسكرى ابن .. اللى ضرب مكرم لأنه ماعرفش يضرب مكرم ضربة جامدة كفاية تخلص عليـه وتريحنا منه »

* * *

قلت أن جريدة «المصرى» نشرت المذكرة التى وضعتها اللجنة المالية ووزير الماليـة مكرم عبيد وقد رفضت فيها الموافقة على الاستثناءات التى طلبهـا النحاس باشا وبعض زملائه الوزراء لطائفة من الوطنيين الوفديين..وكان رفض اللجنة مسهبا ومقرونا بالاسماء والاسباب...

وكانت القاضية .. وأعلن السيد مصطفى النحاس أن التعاون بينه وبين مكرم باشا أصبح مستحيلا ... ومن ثم فهو يطلب منه أن يبر بوعده ويستقيل ..

ولهذا « الوعد » حكاية أذكرها بايجاز .. ذلك أنه كان حدث قبل ذلك ببضعة أسابيع — أى فى بدء الخلاف وأيام كان العتاب لا يزال مقبولا بين الرجلين — حدث فى احدى جلسات العتاب أن أعلن الاستاذ مكرم عبيد انه لا يزال الصديق الوفي والوفدى المخلص لرئيس الوفد مصطفى النحاس وانه — معاذ الله — لن يسمح لنفسه بالخروج على الوفد أو زعيمه مصطفى النحاس... وانه مستعد فى أى وقت اثباتا لولائه واخلاصه أن يقدم استقالته من الوزارة وفى أى وقت يطلبها منه مصطفى النحاس ..

وهكذا ... أوفد النحاس باشا وزير الاشغال عثمان محرم باشا بصفته أكبر الوزراء سنا وأقدمهم عهدا بالوزارة .. أوفده الى الاستاذ مكرم لكى يطلب منه أن يفى بوعده ويستقيل ...

ولكن مكرم باشا لم يكد يرى عثمان محرم داخلا عليه فى داره حتى صاح ..

— أنا عارف انت جاى ليه .. علشان تطلب منى أن أستقيل لكننى أرفض .. ولن أستقيل .. فاذهب وقل لمن أرسلك أن يقيلنى من الوزارة اذا استطاع .

وحاول عثمان محرم أن يقنع مكرم عبيد بالنزول على رغبة مصطفى النحاس والاستقالة ويقول له « ولو الى حين تهدأ ثائرة النفوس ويصفى الجو .. وليس من المستحيل أن تعود وتدخل الوزارة الى آخره » . .

ولكن مكرم رفض أن يصغى ورفض أن يستقيل .. وسمع النحاس باشا . وكانت مصادر أخبار السوء ووسطاء السوء يومئذ كثيرة كما أن الساعين لاخراج مكرم من الوزارة ومن الوفد — وقد أشرت اليهم — لم يقصروا جهدا فى نقل الاخبار التى توسع الهوة بين النحاس ومكرم ..

وسمع النحاس أن مكرم لم يرفض الاستقالة الا لأنه موحى اليه

أو موعز اليه بهذا الرفض ... وأن مصدر الايحاء أو الايعاز هو رئيس الديوان أحمد محمد حسنين ..

وازداد النحاس غضبا وثورة ... وأعلن أنه اذا لم يستقل مكرم عبيد طوعا فسوف يخرج من الوزارة مقالا ..

هذا ومكرم يخرج لسانه ساخرا ويتحدث الى بعض الصحف الافرنجية فى مصر والى مندوبى وكالات الانباء ويعلن أنه لن يستقيل... وليفعل النحاس باشا أقصى ما يستطيع .

وذهب النحاس باشا الى القصر يطلب اقالة وزير المالية مكرم عبيد...

وحاول فاروق أن يهدىء من ثائرة رئيس وزرائه ضد وزير المالية وأن يسوى ويصلح ما بين الرجلين والصديقين القديمين .. ولكن عبثا !

وما من شك فى أنها «مناورة» أو سياسة مرسومة .. وأن فاروق مثل رئيس ديوانه أحمد حسنين كان يريد التفرقة بين الرجلين والصديقين القديمين ... واضعاف الوفد وقسمته شيعا وأحزابا .

* * *

أصر اذن النحاس على اقالة مكرم عبيد من منصب وزير المالية .. وأخيرا قال له فاروق ..

ــ طيب بلاش الاقالة ...

واقترح أن يقدم النحاس باشا استقالة الوزارة .. فيكلفه باعادة تشكيلها .. وهنا يمكنه أن يعيد تشكيل الوزارة من غير مكرم عبيد..

ولم يعجب هذا الاقتراح السيد مصطفى النحاس ... لم يعجبه لانه كان أولا يريد « مرمطة » مكرم عبيد والانتقام منه باخراجه من الوزارة مطرودا أو مقالا ...

ولم يعجبه ثانيا لأنه خشى أن ينتهز فاروق الفرصة فيقبل استقالته هو وأعضاء وزارته...ويكلف زعيما آخر بتشكيل الوزارة الجديدة..

وتململ مصطفى النحاس .. ولكن فاروق ثبت على رأيه وقال ..

ــ لا .. لا .. كله الا الاقالة .. بلاش حكاية الاقالة دى ..

واضطر مصطفى النحاس أن يتراجع وأن يذعن...وقدم استقالته ثم أعاد الوزارة بدون مكرم عبيد .

خرج مكرم عبيد من الوزارة ولكن خروجه لم يهدىء من ثورة مصطفى النحاس . بل على العكس ... فقد ازداد حنقا وغضبا لأن « خصوم الأمة » ـ على حد تعبيره ـ الذين فى السراى وعلى رأسهم رئيس الديوان أحمد حسنين حالوا بينه وبين طرد مكرم عبيد ولم يمكنوه من اقالة مكرم عبيد ...

ومضى النحاس باشا يتحدث فى مجالسه وبين شيوخه ونوابه عن المؤمرات التى تحاك ضده والتى يدبرها رئيس الديوان بمساعدة بعض خصومه ـ خصوم النحاس باشا ـ من رجال الصحافة وغيرهم ...

وأنقل هنا من مذكراتى ..

زرت حسنين باشا بناء على موعد سابق حددناه بالتليفون وبقيت معه نحو ساعتين ..

وقلت له .. ان النحاس باشا يعتقد انك ضالع مع مكرم عبيد . وهو يكره بعض الصحفيين الذين يعارضونه . ولما كان بعض هؤلاء صديقا لك ومتصلا بك ويستقى أخباره منك وهو ينشر دعاية واسعة لمكرم باشا وينشر فى الوقت نفسه دعاية ضد النحاس باشا ـ كما تقول التقارير التى يقدمها رجال البوليس السرى لرفعته .. ـ فان « رفعته » معذور اذا هو اعتقد أن بعض هؤلاء الصحفيين انما يفعل ما يفعله بايعاز منك ومن السراى .

فقال حسنين .. وأنا مالى ؟ .. ما هو مصطفى النحاس ومكرم عبيد اللى كانوا بيبعتوا لى هؤلاء الصحفيين فى كل حاجة ...

ثم أخذ حسنين يدافع عن نفسه دفاعا طويلا ... فقال ..

ـ لقد كانت سياستى بعد حادث ٤ فبراير وقيام وزارة مصطفى النحاس ان ما جرى قد جرى واللى فات فات .. وانه لابد من التعاون مع الوزارة ورئيسها مصطفى النحاس وأن « مولانا » الملك قد أعطى النحاس كلمة بمساعدته ..

.. ولقد رأيت أن هناك رجلين من الصق الناس بالنحاس باشا وهما مكرم وأمين عثمان وأن العلاقات بين الرجلين وبين الملك والقصر ليست على ما يرام لأن الاشاعات كانت دائما كثيرة عنهما . كما أن

الاشاعات فى البلد كانت تزعم أن الملك لا يحب مكرم عبيد ولا يحب أمين عثمان • ومن هنـا أردت أن أخدم الوزارة وأخدم النحاس باشا نفسه بل وأخـدم أمين عثمان ومكرم عبيد • وذلك بأن أجعل الملك يقابلهما ويظهـر عطفه عليهما فيخرج الاثنان راضيين شاكرين لكى يعرف البلد أن هذه الاشاعات ليست صحيحة وأن الرجلين أو ذراعى النحاس ومستشاريه والصق الناس به ليسا مغضوبا عليهما بل على العكس يتمتعان برضاء الملك وعطفـه ••• ولقد خرج مكرم من مقابلة الملك راضيا مسرورا • وكذلك أمين عثمان فهل يلومنى النحاس على هـذا •• ؟

* * *

وهكذا خرج حسنين رحمه الله عن الموضوع الذى زرته من أجله •••

وقلت •• ولكن النحـاس باشا ليس غاضبـا بسبب مقابلة الملك لمكرم وأمين عثمان •

قال •• صبرك على شوية •

ثم مضى يقول •• ان هذه لم تكن محاولته الاولى من أجل تقريب مكرم من الملك وذلك أنه أثنـاء الازمة أول فبراير « أى الازمة التى انتهت بحادث ٤ فبراير » اقترح حسنين على الملك دعوة مكرم عبيد مع الزعمـاء الذين استدعاهم القصر للمشاورة فى الموقف السياسى ولكن فاروق عارض وقال أن الدعوة مقصورة على طبقة من الزعماء وهى طبقـة رؤساء الوزارات السابقين •• ورؤساء الاحـزاب السياسيـة فكيف اذن يمكن دعوة مكرم عبيد وهو ليس من هؤلاء أو هؤلاء ؟

قال حسنين :

ـ لكننى استطعت فى آخر الأمر أن أحصل على موافقة الملك بدعوة مكرم باشا • وكان فى النية استدعاؤه فعلا الى القصر للاشتراك فى مناقشات الزعماء بصفته السكرتير العام لأكبر هيئة سياسيـة فى البلاد •• ولكن الازمة تطورت بسرعة والحوادث أسرعت وكان ما كان•

ثم تحدث حسنين عن مقابلة فاروق لمكرم عبيد باشا مرة أخرى فى يوم الثلاثاء ٢٦ مايو • وقد تمت المقابلة المذكورة من غير علم مصطفى

النحاس وأثنـاء اشتداد الازمة بينه وبين مكرم عبيد والحاج النحاس باشا فى اقالة مكرم من الوزارة ٠٠

قال حسنين ٠٠

ـلم يكن من مصلحة أحـد ولا من مصلحتى كرئيس الديوان أن أتصرف أى تصرف يبدو منه اننى ضالع مع النحاس ضد مكرم ٠ بل كان من واجبى أن أحافظ على الحياد الدقيق ٠ وانه اذا كان النحاس باشا سوف يقابل الملك لكى يعـرض عليه أقالة مكرم من الوزارة ويبسط الاسباب فانه من واجبى ـ ومقتضيات الحياد ـ أن أمكن مكرم كذلك من مقابلة الملك لكى يعرض عليه وجهة نظره فى الخلاف الذى نشب بينـه وبين رئيسه مصطفى النحـاس ٠ كذلك كنت أرجو أن نتمكن من تسوية الأمر وازالة أسباب الخلاف بين الرجلين الصديقين القديمين « كذا ؟ » ولهذا السبب أشرت على الملك بدعوة مكرم باشا لمقابلته ٠٠ ولم يعلم النحاس باشا بهذه الدعوة الا فيما بعد وبلغنى أن فعته غضب جدا يومها ولكن مالوش حق ٠٠

ثم قال حسنين أن فاروق قال له بعـد مقابلة النحاس ٠ « مفيش فايده ٠٠ لقد حاولت ولكنه مصمم على خروج مكرم من الوزارة » ٠

لقد قالها فاروق وهو « بيشوح » بذراعيه شأن الذى أفرغ كل ما فى جعبته ولم يفلح ٠

* * *

ثم قال حسنين انه هو الذى أشار على فاروق برفض طلب النحاس الخاص باقالة مكرم عبيد وقال فى هذا ٠٠٠

ـ ان اقالة مكرم كانت ستفرح النحاس باشا يوما واحدا! وهو يوم تنشر فى الصحف ولكن هذه الاقالة كانت ستدفع مكرم الى «التشليت» للنحاس باشا ٠٠ فهل كان هذا فى مصلحة رفعته كرئيس للحكومة ورئيس للوفد ؟ ٠٠ ثم لماذا الاقالة وتوسيع الهوة بين الرجلين ؟ ٠٠ فليخرج مكرم من الوزارة ما دام النحاس مصمما على اخراجه ٠ ولكن أليس من الأفضل أن يخرج بطريقة لا توغر صدره وتملؤه حقدا ونقمة على مصطفى النحاس ؟ ٠٠

ثم قال حسنين ان هذه الشكوك لم تتولد ضده فى صدر مصطفى النحاس الا بسبب زينب هانم ..

قال حسنين باشا ان السيدة زينب الوكيل هى التى أوغرت صدر النحاس باشا ضده بسبب موقفه منهــا في مشروع كبــير . ثم مضى يقول ... ان لا كلمة ولا رأى للنحاس باشا عند زوجته وانها تسيطر عليه تماما ! وهى امرأة ذكية الفؤاد و « شاطرة جدا » وواسعة الافق. وهى اذا اقتنعت برأى سارت فيه الى النهاية ولقد ساعدتنى فى عدة مسائل فكثيرا ما كنت أذهب لمقابلة النحاس باشا فى فندق مينا هاوس أثناء اقامته فيه فكانت تستقبلنى وتجلس معى الى أن ينتهى «رفعته» من ارتداء ملابسه . وكانت تقدم لى القهوة وتتبسط معى فى الحديث. وكنت في بعض الاحيان أتحدث معها فى المسألة أو الموضوع الشائك الذى يشغل بالنا والذى جئت أتحدث فيه مع زوجها وكنت أبسط وجه المصلحة ووجهة نظرنا فكانت اذا اقتنعت برأيى ساعــدتنى وأقنعت زوجها النحاس باشا بأن المصلحة فيما أقوله أو أطلبه .

ومضى حسنين يقول ..

ولكن زينب هانم بالرغم من ذكائها فانها امرأة على كل حال. ومن عيوب المرأة انها اذا جرحت فى كبريائها اختل ميزانها وحسن تقديرها للأمور .. كنا نتحدث ذات يوم عن الرتب والالقاب عندما ضحكت وعرضت لما أسمته « رتب الجزم » وهى الرتب التى كان أنعم بهــا جلالة الملك على الذين تبرعوا لمشروع مقاومة الحفــاء .. ثم قالت ان عندها مشروعا تستطيع أن تجمع به نصف مليون جنيه .. وأن هناك أشخاصا مستعدون لأن يتبرع الواحد منهم بعشرة آلاف جنيه ... بس على شرط أن ينعم عليهم برتبة الباشوية.. ولقد سألتها زى مين؟.. فقالت ... توفيق مفرج . وصبحى الشوربجى ولكننى أشرت عليها بتأجيل هذا المشروع وأن الافضل عدم الخوض فيه الآن لأن الظروف غير مناسبة .

ولكن زينب هــانم لم تستمــع لنصحى ومشت فى مشروعها .. وأعلنت عنه فى الصحف وأصبح «مشروع البر» الذى تتولاه زينب

هانم حديث الناس فى كل مجلس وناد ٠٠ ولقد كنت أوثر ـ ولمصلحتها هي بالذات ـ مادامت قد مضت في مشروعها ان تترك أمر جمع التبرعات للجنة منظمة وان يكون هنـاك بنك يشرف على هذه العمليات كلها ٠٠ ولكن زينب هانم والذين معها تركوا الأمر فوضى بلا ضابط ولا رقيب ولا حساب ٠٠٠ وازدادت اشاعات السوء انتشارا ٠ ولقـد كانت أقاويل الفساد والرشوة واستغلال النفوذ موجودة قبل مشروع البر ٠٠ ثم جاء هذا المشروع وضاعف في انتشارها ٠٠ ففيم كان هذا التصرف؟ وفى مصلحة من ؟ ٠٠

ثم استطرد حسنين يقول :

وفى هذا الجو ٠٠٠ جو الاشاعات والقيل والقال والاتهامات التى ترمى من هنا ومن هناك طلبت منى زينب هانم أن يتفضل « جلالة الملك » بحضـور الحفلة التى أقيمت لمشروع البر فى دار الاوبرا ٠٠ ومن حسن الحظ ـ حتى لا أصدم بها ـ كان الملك غائبا عن القاهرة فى رحلة فى سينـا ٠٠ ومع ذلك فقـد بذلت وساطتى ارضاء لهـا وحضرت الملكتان فريدة ونازلى الحفلة فى الاوبرا ٠٠ وعاد الملك من سيناء ٠٠٠ وعادت زينب هانم تطلب منى أن يحضر الملك حفلة الشاى التى تقيمها فى فندق مينا هاوس ٠

وقلت لها ان هذا أمر مستحيل بحكم التقاليد ٠٠٠ وحاولت أن أقنعها بأن هذا الامر ليس له سابقة ولكن عبثا ٠

قلت لها أن الملك لا يمكنه أن يجلس الى مائدة الشاى وبجانبه حرم رئيس الوزراء الا اذا كانت جلالة الملكة موجـودة وان جـلالة الملكة لا يمكنها أن تحضر حفلة يدعى اليها السفير البريطانى وسفراء الدول والوزراء ورجال الدولة ٠ لأن حضورها يكون ثورة على جميع التقاليد ٠

ولكن زينب هانم لم تقتنع بحجتى وقالت ان الملك سبق أن حضر حفلة أقامتها هدى هانم شعراوى ٠٠ « واشمعنى يحضر حفلة الولية العجوزة الوحشة دى ولا يحضرش حفلتى ؟ ٠٠ »

قلت لهـا أن الملك حضر حفلة هدى هانم شعراوى « متنكرا » ـ أى بصفة غير رسمية ـ ولقد منعت الصحف من ذكر خبر حضـوره

الحفلة ٠٠ ومع ذلك فهناك فرق كبير بين الحفلتين فحفلة هدى هانم لم تكن شبه رسمية مثل حفلتك ٠٠ والملكتان فريدة ونازلى حضرتاها ٠٠٠ وأما حفلتك أنت فان لها طابعا رسميا أو شبه رسمى ٠٠ الى آخره

٠٠ ولكن زينب هانم لم تقتنع وأسرتها ضدى فى نفسها ٠٠

وذات يوم أرادت أن تضاربنى بعبد الوهاب طلعت باشا وكان هذا ذكاء رخيصا منها ٠٠ فقد قالت لى : « تعرف مين جانا النهاره ؟ ٠٠ عبد الوهاب طلعت باشا جه علشان يقول لى أنه مستعد لأى خدمة ويقدر يعمل لى كل اللى أطلبه منه ولكنى قلت له ٠٠ « أبدا ٠ واننى ما أطلب حاجه من حد الا من حسنين باشا بس ٠٠ »

* * *

وقال حسنين انه قال مرة لزينب هانم « قولى بس انت عاوزه منى ايه وأنا أعمله علشان خاطرك ٠٠ »

قالت ٠٠ عاوزاك تكسر لى ٠٠ كذا وكذا وكيت ٠٠ « سلسلة من النعوت والشتائم » وكانت تقصد مكرم عبيد ٠٠

وسألها حسنين ٠٠ وليه عاوزه تكسريه ؟

قالت ٠٠ لأنه بيكره الملك ٠٠

ومرة أخرى كان ذكاؤها رخيصا ٠٠

* * *

وانصرفت من مقـابلة حسنين باشا الى مكتبى ٠ ومن هناك كلمت فؤاد سراج الدين باشا بالتليفون واتفقت معه على أن نتقابل فى المساء فى فندق مينا هاوس وكان النحاس باشا يقيم وقتئذ بالفندق المذكور ٠ وكذلك الاستاذ فؤاد سراج الدين ٠

وتقابلنـا فى الموعد المحدد ٠ وجلسنا الى احدى الموائد الموضوعة حول حوض السباحة ٠٠ وتناول فؤاد باشا طعام العشاء بينما كنت الخص له دفاع حسنين باشا عن نفسه كما سمعته منه فى الصباح ٠

ثم قلت ٠٠ ــ ووافقنى هو على رأيى ــ ان حسنين برىء مما يتمهه به النحاس باشا ٠ وعلى كل حال « اية مصلحـة للنحاس باشا فى محاربة حسنين ومجاهرته بالعداء ؟ بل هل من المصلحة أن تحارب

فى جبهتين ؟ جبهة حسنين ومن معه من رجال القصر ؟ ٠٠ وجبهة المعارضة من الاحرار الدستوريين والسعديين ؟٠٠

وبعد تناول العشاء قمنا وصعدنا الى غرفة فؤاد باشا ٠ وتركنى فيها وغاب نحو نصف ساعة لأن « رفعة » الرئيس كان يتناول العشاء مع حرمه زينب هانم والسيدة حماته وحميه عبد الواحد باشا الوكيل٠

وعاد فؤاد سراج الدين وصحبنى الى غرفة الجلوس فى الجناح الخاص الذى كان النحاس يقيم فيه هو والسيدة حرمه ٠

وكان النحاس باشا متربعا فوق كنبة ٠٠٠ ولاحظت انه مشغول الخاطر معكر المزاج ٠٠

وبدأت الحديث فقلت له أن حسنين صديقى وأنا أعرفه جيدا ٠ وأستطيع أن أثق فيما يقول لى كصديق ٠٠ وهو برىء ٠٠

وسردت ـ أو حاولت أن أسرد حجج حسنين ومنها أن النحاس باشا ومكرم باشا هما اللذان كانا يرسلان اليه الوسطاء من أصدقائه ٠

وهنا قاطعنى النحاس باشا بحدة ٠ وبدأ هو يتكلم ٠٠ ولم يترك لى بعدها فرصة للكلام واتمام دفاعى عن حسنين ٠٠

والذين يعرفون الرئيس السابق مصطفى النحاس يوافقوننى على انه لا فائدة من مقاطعة « رفعته » اذا اندفع يتحدث ٠

وهكذا سكت ٠ وتركته يتكلم ٠٠

قال : هذا غير صحيح فأنا عمرى ماأرسلت له وسطاء ، ربما مكرم هو الذى أرسلهم أما أنا فلم أرسلهم ولا مرة واحدة لاننى أكرههم ولا اثق فيهم والذى حدث أننا كنا فى مصيف رأس البر فى الصيف الماضى وجاء أحد أصدقاء حسنين يقول لمكرم انه حاضر موفد من قبل الملك لكى يدعونا لمقابلة جلالته ٠٠ وجاء مكرم فقلت له : « يامكرم بلاش فلان لانى لا أثق فيه » ٠ ٠

قال : صحيح ٠٠ ولكن ما الضرر أن نسمع كلامه ٠٠

ثم قص رفعته التفاصيل وهى لاتخرج عما سبق أن ذكرته ٠

ثم استطرد النحاس باشا يقول :

ـ وسافرت أنا ومكرم الى القاهرة وقابلنى جلالة الملك ولكنه لم يقابل مكرم ، وغضب مكرم وقال : « وعلشان ايه جابونى بأه ؟يعنى أنا طيشه » . هذه ياسى التابعى هى المرة الوحيدة اللى جاءنا فيهـا صديق لحسنين باشا .. ولقد جاءنا كما رأيت من حسنين .

ثم قال بحدة وانفعال شديد :

ـ ده كلام فارغ دول بيلعبوا بالنار .. هؤلاء العكاريت .

الى آخره .. الى اخره ..

وبعد أن هدأ قليلا انتقل الى الحديث عن مقابلة فاروق لمكرم عقب تأليف الوزارة وهى المقابلة التى أثارت شكوك النحاس فى مكرم عبيد ولقد سبق أن أشرت الى هذه المقابلة وقلت أنها كانت منـــاورة أو مؤامرة من حسنين باشا للتفريق بين النحاس ومكرم .

وأعود الآن وأثبت هنا رواية النحاس باشا نفســـــه عن المقابلة المذكورة .

قال : بعد تأليف الوزارة بأيام جاءنى مكرم باشا وقال ان حسنين طلب منه أن يلتمس مقابلة الملك ، وانه ـ أى مكرم ـ قال له ان ليس عنده سبب يبنى عليه طلب المقابلة . ولكن حسنين قال له : « فتش على حاجة » وأخير قال له مكرم ان عنده رسم الورق الجديد البنكنوت من فئة عشرة قروش وخمسة قروش ، فهل يطلب المقابلة ليعرضه على الملك ؟ ووافق حسنين .

ومضى النحاس باشا فى روايته .. وأنا أسجلها هنا بحروفها نقلا عن مذكرات مكتوبة .. قال :

ـ ولما قال لى مكرم هذا رأيت انها حاجة غريبة . وأحسست أن فى الامر شيئا غير برىء فقلت لمكرم باشا « وهو كذلك .. روح .. ولكن كن على حذر .. دول يامكرم عاوزين يفرقوا بيننا ، وابقى فوت على بعد المقابلة أو كلمنى بالتليفون وقل لى على الحديث اللى دار فيها » .

وانتظرته فى المساء .. الساعة التاسعة .. تسعة ونصف .. عشرة .. ونصف ، وكنت كلما طلبته بالتليفون وجدت نمرته مشغولة .. وأخيرا وكانت الساعة منتصف الليل تقريبا دخلت ونمت .

وفي الصباح أحضروا الى «نوتة» أو رسالة منه كان املاها بالتليفون بعد نومي ـ أي بعد منتصف الليل وفيها يقول أن المقابلة كانت « عال وعظيمة » وانه سوف يقص على التفاصيل بعد عودته من الفشن .

وفى نفس الصباح قرأت فى احدى الجرائد بيانا لمكرم عن مقابلته للملك ٠٠ وهو بيان لايكتبه سوى عبد ٠٠ وماذا يقول الانجليز الان؟ أمن أجل هذا جاءوا بنا الى الحكم ؟ لقد جاءوا بنا ظنا منهم اننا وحدنا الذين نستطيع الوقوف فى وجه الملك ٠٠ فماذا يقولون اليوم بعد هذا البيان الذى لايكتبه سوى عبد .

ثم كلمنى مكرم بالتليفون من الفشن بخصوص المسألة اللى كان سافر من أجلها . وسألته ايه الكلمة اللى كتبتها دى فى الجرايد يا مكرم ؟ فقال : « ايه رأيك فيها ؟ قلت له « زفت وقطران » لما ترجع وأقابلك نتكلم فيها .

وعاد مكرم وقابلنى ٠٠ وقال انه لايرى رأيى وانه لم ير ضررا فى كتابة الكلمة المذكورة لاننا سبق أن كتبنا مثلها ومدحنا الملك باعظم منها ٠٠ فقلت له : « فليكن ٠٠ ولكن أنا الذى أكتب وأمدح لا أنت» لاننى أنا أقدر الظروف ٠٠ وأنا اذا مدحت فأنا أتقاضى فى مقابل المدح ثمنا ٠٠ أنا اللى ياخد من الملك واللى باعامل الملك مش انت ٠٠ ولكن قل لى لماذا لم تأخذ رأيى فيها وتستشرنى قبل نشرها » ؟

قال ٠٠ فى الحقيقة حسنين باشا طلب منى بعد خروجى من مقابلة الملك أن أكتب كلمة كويسة عن الملك وأنشرها .

فقلت له ٠٠ هذا سبب كان أدعى لان يحملك على أن تأخذ رأيى وأنت دائما تأخذ رأيى فى كل مسألة فلماذا لم تفعل هذه المرة ؟ ٠٠ هذا سعى للتفريق بيننا وبكره تشوف يامكرم .

ثم قال النحاس باشا انه عرض بلباقة لهذه المسألة فى اجتماع لمجلس الوزراء وعاتب مكرم ثم قال له امام زملائه الوزراء أنه يشفق أن تصبح المسألة مسابقة أو مزايدة بين الوزراء كل واحد منهم يسابق زملاءه الى مدح الملك ويزيد فى المدح عما قاله الذى سبقه .

ثم انتقل النحاس باشا الى الحديث عن اخراج مكرم من الوزارة ،

فقال انه كان يعرف قبلها بشهر أن مكرم باشا ينوى أن يجعل من «الاستثناءات» ميدانا للمعركة ٠٠ وانه ـ أى النحاس باشا ـ أفضى برأيه هذا الى بعض الوزراء فقال لهم : (مكرم مش ناوى يقعد معنا وبكره تشوفوا » ٠٠ وان نجيب الهلالى ذهب يومئذ الى مكرم وسأله فى هذا فأنكر مكرم أن فى نيته شيئا من هذا وأكد اخلاصه للنحاس وتضامنه مع زملائه أعضاء الوزارة ، ولكن النحاس باشا ظل متمسكا برأيه وهو « أن مكرم مش ناوى يقعد معانا »

الى أن كانت مسألة الاستثناءات التى كان رئيس الوزراء والوزراء طلبوها لعدد كبير من الموظفين الوفديين ومن الانصار والاقارب والمحسوبين ٠ ٠ وهنا أخذ وزير المالية مكرم عبيد يسوف ٠٠ ويماطل فى الرد على طلبات النحاس والوزراء ٠٠ وكان ـ عندما يعجله النحاس باشا بالرد ـ كان يقول له : « طول بالك شوية لان اللجنة المالية بتعارض وأنا باعمل جهدى علشان أقنعها بالموافقة »

ومضى النحاس باشا فى حديثه يقول :

ـ ولكننى قلت له : المهم أن ترسلوا لنا ردكم أيا كان ، بالموافقة أو بالرفض مش مهم ٠٠ بس ردوا علينا لان الحركة واقفة ، وهناك حركة أخرى سوف تتلو هذه الترقيات المطلوبة ومش ممكن عملها الا بعدها ٠٠ واخيرا جاء رد اللجنة المالية وقال مكرم انه لم يكتبه وان اللجنة المالية هى التى كتبته ٠٠ وفى جلسة مجلس الوزراء التى عرضت فيه مذكرة اللجنة المالية بعدم الموافقة على الاستثناءات المطلوبة ـ وقد رفض المجلس هذه المذكرة ـ قال مكرم انه لا يرتب أية نتيجة على رفض مجلس الوزراء مذكرة اللجنة المالية ٠٠ وانه يضع استقالته تحت تصرفى ٠٠ ولكننا تصافينا فى الجلسة ٠٠ وعند مغادرتنا لقاعة اجتماع مجلس الوزراء دعانى مكرم لتناول الغداء معه فى داره ولكنى اعتذرت بمرضى واننى أتناول أدوية معينة لم تكن معى ٠٠ وقلت له : اننى سوف أتناول الغداء عنده فى فرصة أخرى ٠

* * *

ولكن مكرم ـ وقد كنا تصافينا كما قلت ـ نشر مذكرة اللجنة

المالية بقصد التشنيع على وعلى أقاربى ولكى يحرجنى ويحرج زملاءه الوزراء أمام الرأى العام ، وهنا رأيت أن التعاون بيننا لم يعد ممكنا وقررت اخراجه من الوزارة ومن منصب سكرتير الوفد ٠٠ لأن دى مسألة ثقة وتعاون بين رئيس الوفد وسكرتير الوفد ٠٠ ولكن ليس فى نيتى اخراجه من هيئة الوفد أو من الهيئة الوفدية ٠٠ وأرسلت اليه عثمان محرم باشا بصفته أقدم الوزراء لكى يذكره بوعده ويطلب منه أن يستقيل ٠٠ ولكن مكرم لم يكد يرى عثمان باشا حتى صاح: « أنا عارف أنت جاى ليه ٠٠ لكن مش راح أستقيل ٠٠ وخلى النحاس يقيلنى اذا كان يقدر »

ومعنى هذا ان مكرم كان واثقا من مركزه ، وكان يعرف مقدما ومن حسنين و «شلته» أن الملك سوف يرفض أن يقيله من الوزارة ٠

ثم انتقل النحاس باشا بالحديث الى مقابلته لفاروق فى يوم الثلاثاء ٢٦ مايو ١٩٤٢

ولقد تمت المقابلة المذكورة بينما كان مكرم باشا جالسا فى احدى غرف القصر ينتظر دوره للمقابلة «الملكية» ولكن النحاس باشا لم يكن يعرف أن مكرم موجود فى السراى وانه سيقابل الملك »

قال النحاس عن مقابلته لفاروق :

ـ ولما قابلت الملك التمست منه اقالة مكرم وشرحت لجلالته حكم الدستور فى هذا الشأن وكذلك حكم السوابق الدستورية ومنها اقالة عبد العزيز فهمى باشا ولكن جلالته قال : لا ٠٠ لا ٠٠ بلاش السابقة دى ٠٠ شوف لنا يامصطفى باشا طريقة تانية غير الاقالة ٠

قلت لجلالته ٠٠ حسنين باشا هوه اللى تخن ودن مكرم علشان بعت له مع حسن الاعور يطلب منه ألا يستقيل ، فقل جلالتك لحسنين باشا أن يطلب من مكرم أن يستقيل أو أحسن من كده يبعت يجيبه فى السراى ويطلب منه باسم جلالتك أن يستقيل ٠٠ فقال الملك: دى فكرة عال ٠٠ ولكن نفرض أن مكرم رفض أن يستقيل يبقى الحل ايه؟ أظن الأوفق يامصطفى باشا أن تقدم استقالة الوزارة وأنا أعدك أن خطاب التأليف بتشكيل الوزارة يصلك فى نفس اليوم ٠

ومضى النحاس باشا فى روايته فقال :

ـ ولما رآنى الملك ترددت قال : «والا انت خايف منى ومش واثق فى كلامى» ٠٠ وأسرعت أقول له : معاذ الله يامولانا ٠٠ وأنا أؤكد لمولاى اننى لم أقبل الوزارة الا اجابة لرغبتك ورغبة منى فى خدمتك وأنا الان أحترق بالنار فى كل يوم ولا أنام الليل ٠٠ وثق يامولاى أن أهنأ يوم فى حياتى هو يوم يقبل جلالة الملك استقالتى ويعفينى من أعباء الوزارة وأنا مريض وصحتى متعبة ٠

* * *

وقال فاروق : لو تعلق الامر بصحتك فقط لما كان هناك مانع من اعفائك من أعباء الحكم ٠ ولكن الظروف لاتسمح ٠

ثم قال النحاس باشا ان مكرم قال لبعض الشيوخ والنواب الذين زاروه اننى ـ أى النحاس ـ طلبت من الملك اقالته وان الملك رفض ٠٠ فمن الذى أخبر مكرم بهذا وبما دار بين الملك وبينى ٠٠ لازم يكون حسنين باشا ٠٠ وهى مؤامرة بينه وبين مكرم ٠

* * *

وأصبحت وكلمت حسنين باشا بالتليفون ٠٠ قلت له : «النحاس باشا هايج جدا ويصر على اتهامك انت وبعض أصدقائك بكذا وكذا»

واحتد حسنين باشا ٠٠ ولعلها كانت المرة الوحيدة التى سمح فيها لنفسه بأن ينفعل وأن يحتد ٠٠ ولعله خشى العاقبة ، وأشفق من محاربة النحاس باشا له وقد كان يعرف أن مركز النحاس يومئذ كان قويا مؤيدا ٠٠ وانه اذا ركب النحاس رأسه وأعلن الحرب على حسنين وقال مثلا : « اما أنا ٠٠ واما حسنين» فقديتدخل الانجليزمرة أخرى وقد يسفر تدخلهم عن نتائج لاتسر رئيس الديوان احمد محمدحسنين

ومن هنا بدا الانفعال واضحا فى صوت حسنين وهو يقول :

ـ شوف يامحمد ٠٠ أنا زى ماقلت لك ٠٠ لايد لى فيما حدث ٠٠ وليس فى برنامجى أن أحارب النحاس باشا ٠ ولكن اذا كان عايز يهاجمنى فسوف اضطر أن أشب على قدمى وأرد الضربة ضربتين ٠

ثم تواعدنا على اللقاء فى بحر الاسبوع على أن أكلمه بالتليفون قبلها

ووجدت أن الحالة خطيرة وان الشد من الطرفين قد يؤدى الى قطيعة أو ينتهى باصطدام •• وكلمت فؤاد باشا سراج الدين بالتليفون وقلت له : ان مقابلتى مع النحاس باشا مساء أمس لم تنته الى النتيجة التى كنا نرجوها ، واننى اضطررت الى التظاهر بالموافقة على رأيه لانى أدركت أن لا فائدة من مناقشة « رفعته » •• وقلت :

ـ وانت تعرف النحاس باشا وتعرف عناده وانه اذا انطلق فى حديث فليس لى هناك من يستطيع أن يقاطعه أو يوقفه ، وأنا فى الحقيقة لاأوافقه على رأيه فى حسنين •• وبعد هل من حسن السياسة مبادرة حسنين بالعداء ؟ •• فأرجوك ياباشا أن تعمل من ناحيتك على اقناع النحاس باشا بهذا الرأى •

ووافقنى فؤاد سراج الدين وقال انه يفكر فى دعوة النحاس باشا والسيدة حرمه وحسنين باشا لتناول العشاء معه فى داره •• ولعل هذا الاجتماع العائلى يساعد على تهدئة الجو بين الطرفين •

* * *

ومر يومان أو ثلاثة •• ولما لم أتصل بحسنين بالتليفون كما كنت وعدته سأل عنى هو مرتين وزرته فى داره فى صباح السبت وقلت له أن فؤاد سراج الدين يفكر فى دعوتك مع النحاس باشا لتناول العشاء فى داره فقال انه يفضل أن يبدأ هو بدعوة النحاس باشا والسيدة حرمه لتناول الغداء أو العشاء معه •• ثم عاد وقال :

ـ الافضل أن تتناول الغداء معى أنت وفؤاد باشا اولا ••

وقمت الى التليفون وكلمت فؤاد باشا واتفقنا على أن نتناول الغداء مع حسنين باشا بعد غد أى يوم الاثنين •

* * *

وجلسنا حول مائدة الغداء فى دار حسنين باشا بميدان عبد المنعم بالدقى •

وانقل هنا ـ بشى من الايجاز ـ مادونته يومئذ فى مذكراتى بتاريخ الاثنين ٨ يونيه عام ١٩٤٢

* * *

قص علينا فؤاد باشا ــ ويظهر أنه كان أعد مقدما حديثــه ــ قص علينا بوادر الخلاف بين النحاس ومكرم ولو أنني أعتقد أن هـــذه الحكاية لم تكن أول بادرة من بوادر الخلاف ٠٠ قال :

ذات يوم وكان النحاس باشا لايزال يقيم فى الباخرة محاسن ٠٠ قالت زينب هانم للاستاذ قاسم جوده الذى كان يزورها كلاما كثيرا معناه أنه وغيره من الصحفيين يسرفون فى الكتابة عن مكرم باشا وعن حركاته وسكناته بينما رئيس الوزراء نفسه وبقية الوزراء لا يكتب عنهم نصف مايكتب عن مكرم عبيد ٠

ويظهر أن الاستاذ قاسم جوده أبلغ مكرم باشا ماقالته زينب هانم لان مكرم ذهب وقابل النحاس باشا وقال له أنزينب هانمتسىء اليه وتطعن فى حقه وعاتبه فى هذا ٠٠ وقال له النحاس باشا أنه يستبعد صحة الخبر وسأله عن اسم الذى أبلغه هذا ولكن مكرم رفض أن يبوح باسمه ٠٠

وأبلغ النحاس باشا السيدة زوجته أن مكرم عاتب عليها ، وروى لها ما سمعه منه ، وكانت السيدة مريضة فى فراشها ، ولكنهاكلمت مكرم بالتليفون وطلبت منه أن يزورها ففعل ٠

ولما دخل عليها قالت له ان مصطفى باشا أبلغها عتابه ولكنها تنكر أنها طعنت فيه أو أساءت اليه فى أى حديث لها ٠ وسألته عن اسم الذى نقل اليه هذه الرواية فقال « شخص أثق فيه كل الثقة وهــو لا يكذب » ، ورفض أن يذكر اسمه ٠

وطال الحديث والعتاب ٠٠ وبدرت من مكرم باشا هذه العبارة ٠٠ (يظهر انك خايفه على مركز جوزك منى) ٠

وهنا انتفضت زينب هانم غاضبة وصاحت بصوت عال : « منك انت ٠٠ أخاف منك على مصطفى النحاس ؟ ٠٠ ايه اللى تقدر عليــه ؟ تقدر تعمل رئيس وزارة لكن هل تقدر ٠٠ تكسب الزعامة أو الحب الذى تكنه الامة لمصطفى النحاس ؟ ٠٠ جوزى هو اللى خلقك ؟ ٠

وقال مكرم : « اللى خلقنى ربنا مش جوزك ٠٠ وانا اللى كونت نفسى بجهادى وتضحياتى »

وكان النحاس باشا قد آثر أن يترك مكرم باشـــا وزينب هانم وحدهما يتعاتبان • ولكنه أقبل على صياحهما فوجد زوجته تبكي غيظا وغضبا •• ولما سأل عن السبب التفت الى مكرم وقال : «انت غلطان• قوم بوس راس أختك وصالحها » وقام مكرم وقبل رأسها ويدها •• وتصالحا وتصافيا •

* * *

ثم قال فؤاد باشا ان زينب هانم اتفقت مع النحاس باشا على كتمان هذا الحادث عن جميع الناس حتى انه لما ذهب نجيب الهلالى باشا وأحد الوزراء الى والدها عبد الواحد الوكيل لكى يوسطاه فى الصـــلح بين ابنته ومكرم باشا ، وجدا أن الرجل لم يكن يعرف شيئا مطلقا ولم يكن قد سمع أى شيء مطلقا عن وجود أى خلاف أو سوء تفاهم بين ابنته زينب هانم ومكرم عبيد •

ثم قال فؤاد باشا : ولكن مكرم خرج يقول لأصدقائه أن زينب هانم شتمته وأهانته •

ثم انتقل فؤاد باشا سراج الدين الى نقطة أخرى فقال ان النحاس باشا كان قال للوزراء قبلها بشهر : ان مكرم باشا مش ناوى يقعد معانا ، وانه سوف يختار ميدان المعركة حول الاستثناءات •

وأنكر الوزراء على رفعته هذا القول وذهب نجيب الهلالى الى مكرم وسأله فى هذا فأنكر مكرم وأكد أن لاشيء من هذا يدور بخاطره ، وأكد مرة أخرى اخلاصه وولاءه لمصطفى النحاس •

ولكن النحاس أصر على رأيه وأتهامه لاخلاص مكرم وان الاستثناءات هى الميدان الذى سوف يختاره لمهاجمة الوزارة •• ثم قال النحاس• « وبكره تشوفوا • وأنا أقبل منازلته فى الميدان الذى يختاره »

وتحدث فؤاد سراج الدين بعد ذلك عن وزارة التموين والخلاف الذى كان ناشئا بسببها وانكر على مكرم عبيد دعواه ، وهى أنه فوجيء بها فى خطاب العرش •• وقال ان الحديث فى اعادة الوزارات الثلاث دار فى احدى جلسات مجلس الوزراء وان مكرم عارض بشـــدة فى سحب وزارة التموين منه ولكن النحاس باشا أقنعه بضرورة تخليه

عن الوزارة المذكورة .. وهنا تظاهر مكرم بأنه قد اقتنع ، وبعدئذ طلب مكرم تأجيل تعيين وزير لوزارة التموين لمدة شهر واحد فأجابه النحاس باشا الى طلبه .

وكان المفهوم ـ بل والمتفق عليه ـ ان يتقدم مكرم بعدانتهاء الشهر ويقول ان صحته متعبة وانه لايستطيع القيام بأعباء العمل فى وزارتى المالية والتموين ومن ثم فهو يرجو اعفاءه من منصب وزير التموين ـ وكان هذا هو المتفق عليه ـ وهكذا ينقذ المظاهر أمام النـــاس ويعتقد الجميع انه ـمكرمـ هو الذى تخلى بمحض ارادته عن وزارة التموين ، ولكن الشهر الذى كان طلبه انقضى ولم يحرك مكرم ساكنا وبقى محتفظا بالوزارتين ، المالية والتموين ..وكان النحاس باشا قد وعد الملك بتعيين وزراء للوزارات الثلاث فى بحر أسبوعين .

واستدعى النحاس باشا مكرم وسأله متى يعلن رغبته فى ترك وزارة التموين ؟

وقال مكرم انه لن يترك وزارة التموين .

وقال له النحاس .. ازاى يامكرم ؟ وأقول للملك ايه ؟ أقول له أنا كذاب .. فأجابه مكرم : لا .. قل له أنا اللى كداب .

* * *

وبعدها انتقل فؤاد سراج الدين الى الحديث عن البيان الذى قدم به مكرم الميزانية فقال ان البيان المذكور كان مفاجأة للنحاس وللوزراء لان مكرم باشا لم يكن قد اطلع عليه أحدا منهم مع أنه تعرض فى البيان لكل وزارة ولعمل كل وزير ، وارتبط فى هذا البيان أمام البرلمان بوعود لايرجع أمر تحقيقها اليه وحده بل يعود الى الوزارة كلها والى جميع الوزراء .. مثال ذلك أنه أعلن فى بيانه أن ثمانية أوامر عسكرية سوف تصدر من الحاكم العسكرى العام ـ وهو النحاس باشا ـ فى مسائل كذا وكذا وكيت .. فهلا كان سأل الحاكم العسكرى أولا عن رأيه قبل اعلان النبأ أمام البرلمان ؟

وأعلن كذلك فى بيانه ان قوانين كذا وكذا سوف تصـــدر .. فهلا كان سأل الوزراء المختصين عن رأيهم ... مثال ذلك وهو أمر

سبب حرجا كبيرا للوزارة ٠٠ انه أعلن فى بيان الميزانية ومن غير أن يستشير زميله وزير العدل ان البيوع الجبرية سوف توقف ٠٠ وصفق البرلمان طويلا لهذا النبأ ٠٠

ولقد حدث بعد أيام معدودة من القاء البيان أنه كانت هناك بيوع جبرية فى المحاكم المختلطة ٠٠ واستند المدينون الذين سوف تباع أملاكهم الى ما جاء فى بيان وزير المالية أمام البرلمان ٠٠ ولكن المحاكم المختلطة قالت ان بيان الوزير لا يربطها لان ما جاء فيه لم يصدر به قانون ٠

وفزع المدينون الى وزير العدل ٠٠ وكان ان اضطر الوزير ـ صبرى أبو علم ـ الى أن يتصل بالنائب العمومى لدى المحاكم المختلطة وبصفة شخصية ودية ويرجوه أن يتدخل وينقذ الوزارة من هذا الحرج ٠

واتفق الرأى على أن يحضر وكلاء النيابة جلسات البيوع الجبرية ويطلبوا التأجيل للاطلاع ٠٠ الى أن يصدر القانون المطلوب ٠٠

* * *

وقال فؤاد باشا ان بيان مكرم كان طويلا ٠٠ وكان النحاس يتململ ويظهر ضجره وامتعاضه من بعض ما جاء فى البيان ٠٠ ولما طال القاء البيان وكانت الساعة قد جاوزت العاشرة مساء الى الحادية عشرة ٠٠ هم النحاس باشا بمغادرة الجلسة « مجلس النواب » ولكننى ـ فؤاد سراج الدين ـ همست فى أذنه انه لا يليق أن يغادر الجلسة قبل أن ينتهى مكرم من القاء بيانه ٠٠ وجلس ٠٠

ولما انتهى مكرم من القاء البيان قام اليه النحاس باشا من باب المجاملة ـ وقبله وقال له « برافو يامكرم » فكانت تحية بل وجهودا يشكر عليه النحاس باشا ٠٠

ومضى الاستاذ فؤاد سراج الدين فى روايته فقال :

ـ وفى صباح اليوم التالى استدعى النحاس باشا مكرم وعاتبه على ما جاء فى بيانه من وعود وعهود قيد بها الوزارة من غير أن يستأذن أو يستأنس برأى أحد من زملائه الوزراء ٠ فضحك مكرم وقال له ٠

ـ نبقى خالصين ‥ زى حكاية وزارة التموين فى خطبة العرش أى ان هذه مفاجأة لكم ‥ وتلك كانت مفاجأة لى ‥

ثم تكلم فؤاد سراج الدين عن مذكرة اللجنة المالية عن الاستثناءات التى كانت السبب المباشر فى اخراج مكرم من الوزارة فقال ان النحاس ـ كما سبق الذكر ـ كان يعرف ان مكرم سوف يختار هذا الميدان بالذات فكان يستعجله رد وزارة المالية على طلبات الترقية المطلوبة فى وزارة الداخلية وكان مكرم يقول انها لا تزال قيد البحث ‥ و « طول بالك يا باشا لانى ألاقى صعوبة مع اللجنة المالية » ٠

وأخيرا قال له النحاس باشا ‥ « ردوا علينا كما تريدون ‥ المهم أبعتوا ردكم بالرفض أو الموافقة علشان نقدر نتصرف » ٠

وأخيرا جاءت المذكرة

وكانت جريدة المقطم فى مساء الاربعاء ‥ وجريدة الاهرام فى صباح الخميس قد أشارتا الى هذه المذكرة المقدمة من اللجنة المالية انها تتضمن رفض الموافقة على الترقيات والاستثناءات المطلوبة ‥ وقد أغضب نشر الخبر النحاس باشا ٠

وكان الجو مكهربا ٠ وكنا جميعا نخشى من الانفجار ‥ وتحدث بعض الوزراء فى هذا المعنى مع مكرم فأكد لهم ان المسألة مسألة « روتين » وان ليس فى نيته أى شىء خبىء ٠

ودخل الوزراء قاعة اجتماع مجلس الوزراء وقلوبهم واجفة وما دار فى الجلسة المذكورة مدون فى محضر الجلسة الذى نشر ببلاغ رسمى ‥

ولقد تصافى النحاس ومكرم فى ختام الجلسة ـ « وقد رويت التفاصيل » وظن الوزراء ان الجو صفا ‥

ولكن خاب ظننا فقد ذهب مكرم بنفسه الى جريدة المصرى ومعه مذكرة اللجنة المالية يطلب نشرها ‥ ويلح ويتوعد ويهدد اذا لم تنشر ‥

وكان النحاس باشا قال أثناء جلسة مجلس الوزراء التى عرضت فيها المذكرة ان مذكرة اللجنة المالية هذه مقصود منها التشنيع عليه

بالذات فقال له مكرم (لوكنت عاوز يا باشا أشنع عليك كنت نشرت الامثلة والاسماء ٠٠) ٠

وها هو قد نشر فعلا الامثلة والاسماء في المذكـــرة التي نشرت بجريدة المصري في يوم السبت التالي لانعقاد جلسة مجلس الوزراء ٠٠ وهكذا اسقطت حجة مكرم في عدم رغبته في التشنيع على مصطفى النحاس ٠

* * *

وانتهى فؤاد « باشا » سراج الدين من حديثه الذي لخص فيـــه أسباب الخلاف بين النحاس ومكرم

وبدأ حسنين « باشا » حديثه أو دفاعه عن نفسه ٠ وعن سياسته فاستهل كلامه بعبارته « الاكليشيهية » المعروفة وهي أنه لايشتغل بالسياسة ولا يفهم في الســـــياسة وقال ـ وهو يلتفت الى كأنه يستشهد بي :

« ومحمد يعرف كده ! مش كده يا محمد ؟ »

وابتسمت وقلت بأه اسمع ٠٠ماتحرجنيش وبلاش أسئلة علشان ما تسمعش مني أجوبة صريحة

وضحك وضحكنا ٠٠

وبدأ الحديث ورواية التاريخ منذ عام ١٩٣٧ ٠٠ وكيف انه كان زاهدا « كذا » في منصب رئيس الديوان وكيف ان الملك أرغمه على قبول هذا المنصب في عام ١٩٤٠ ٠٠

ثم شرح سياسته ٠٠ وقد سبق أن أفضت فيها وفي شرحهـــا ٠ ولكنني أعود فألخص هنا حديثه فيما يلي :

قال :

ـ (١) ان سياسته قائمة على أن الاغلبية ـ وهي الوفديين ـ تحكم ٠ وهذه سياسته منذ أن ولى رئاسة الديوان أي منذ عامين ٠

(٢) انه عمل ومن قبل أن يلي الوفديون الحكم على اقناع الملك بأن الوفديين قد سالموه ٠٠ لا طمعا في الحــكم وانما اعترافا منهم بخطئهم في الماضي « أي في وزارة ١٩٣٧ » ٠

(٣) انه صارح حسين سرى والدكتور هيكل والسعديين بأن سياسته تقوم على أن يتولى الوفديون ـ وهم الاغلبية ـ الحكم .. بينما الاحرار الدستوريون والسعديون يقومون بمعارضة قوية نزيهة

(٤) أسهب في ذكر الخدمات التى أداها للوزارة الوفدية منذ تولت الحكم فى شهر فبراير الماضى .. وتحدث عن الصعاب العديدة التى ذللها من طريق الوزارة ..

(٥) أفاض فى وصف اعجابه بذكاء وظرف زينب هانم الوكيل .

(٦) قارن بين الاشاعات السخيفة والتى لا يقوم دليل واحد على صدقها .. وهى الاشاعات التى يسمعها النحاس باشا ضده ـ ضد حسنين ـ وبين هذه الخدمات والحقائق البارزة التى دلل بها على حسن نواياه نحو النحاس باشا ..

★ ★ ★

هذه هى خلاصة حديث أو دفاع حسنين أجملتها فى عبارات أو عناوين .. ولكننى أحب أن أذكر « طرائف » جاءت فى التفاصيل التى لم أذكرها ..

كان حسنين عرض فى حديثه لمشروع البر والحفلات التى أقامتها زينب هانم للمشروع المذكور وقال ان فاروق لم يحضر الحفلات المذكورة حرصا على التقاليد .

وهنا قلت أنا انه لو كان الملك حضر حفلة الشاى فى فندق مينا هاوس وجلس الى جانب زينب هانم حرم رئيس الوزراء لكانت الخطوة الثانية المنطقية أن تدعى حرم رئيس الوزراء وزوجات الوزراء الى حفلات السراى الرسمية وكن يومئذ يختلطن بالمدعوين من سفراء ووزراء .. وهذا خرق للتقاليد .. ولكننا سوف نصل اليه قريبا وبالتدريج ..

وهنا قال حسنين ان الملكتين نازلى وفريدة تقولان انه لم تبق فى مصر سيدة تلبس « اليشمك » سواهما .. وان اللى عاوز يتفرج على حاجة انتيكة فى مصر يروح يتفرج عليهما وهما باليشمك .

★ ★ ★

ولقد عرض حسنين أثناء حديثه الطويل لعلى ماهر وذكر رأيه فيه وفي سياسته وقد عرضت لهذا كله ٠

وكان مما قاله ان السيد على ماهر لم يهنئه على تعيينه رئيسا للديوان ٠ ولكنه أرسل اليه الاستاذ ناصر شاويش يقول له « ان على ماهر باشا لم يحضر لتهنئتك لانه مش عاوز يجى السراى خوفا من أن يرى وجه عبد الوهاب طلعت » ٠

ثم قال حسنين ٠٠ ولقد كان عبد الوهاب طلعت الذراع اليمنى لعلى ماهر ٠٠ ولكنه ــ بعد خروج على ماهر من رياسة الديوان ومن الوزارة ــ راح يطعن فيه ويشهر به أمام جميع الكبراء الذين كان يلقاهم ٠

ثم ذكر لنا حسنين كيف ان على ماهر ــ بالرغم من ذلك وبالرغم من طعن وتشهير عبد الوهاب طلعت ــ كان لا يتردد فى الاستعانة بعبد الوهاب طلعت على الدس لحسن صبرى لدى فاروق حتى ان حسن صبرى رحمه الله مات محصورا مجزورا من على ماهر ٠٠

وقد قال حسنين هذه العبارة وهو يمر بيده على رقبته ليرينا كيف ذبح على ماهر المرحوم حسن صبرى باشا ٠

وروى لنا تفاصيل آخر دسيسة أو الدسيسة التى قضت ــ فى زعمه ــ على حياة حسن صبرى باشا رحمه الله ٠

قال : حدث قبل افتتاح الدورة البرلمانية فى نوفمبر عام ١٩٤٠ « وكان حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة » أن ذهب اليه أحد الوزراء وهو الدكتور عبد الحميد بدوى باشا واقترح عليه مراعاة لظروف الحرب الاقتصاد فى مظاهر الابهة والفخامة والبهرج والموكب الملكى والزينات والاعلام ٠٠ الى آخره وأن يكتفى بأن يلقى رئيس الوزراء ــ أى حسن صبرى ــ خطبة العرش بالنيابة عن الملك ومن غير حضور الملك ٠٠٠

وسرعان ما طار خبر هذا الاقتراح الى السراى ودخل على فاروق من صور له الامر على أنه خيانة عظمى « لصاحب الجلالة » ٠٠

وأصبح حسن صبرى متهما بالخيانة العظمى ٠٠ ولكن عبد الحميد

بدوى ذهب الى حسنين وقال له فى صراحة تامة انه هو صـــاحب الاقتراح وان حسن صبرى لم يقبل اقتراحه على علاته بل طلب منه أن يتحدث فيه مع رئيس الديوان .

وعرف فاروق ان حسن صبرى مظلوم..فقلده بيده وقبيل حفلة افتتاح الدورة البرلمانية الوشاح الاكبر من نيشان محمد على ..

وتوفى حسن صبرى بعد ذلك بخمس وعشرين دقيقة ..

* * *

وكان الساسة من خصوم الوفد ومصطفىالنحاس يرون انرئيس الديوان احمد محمد حسنين لم يعرف أنينتهز فرصةهذا الخلافالذى نشب فى صفوف الوفد وفرق بين رئيسهمصطفى النحاسوسكرتيره العام مكرم عبيد .. وانه كان من واجب حسنين باشا أن ينتهــز الفرصة ليطوح بالوزارة كلها وينتقم لحادث ٤ فبراير .

وكان من بين أصحاب هذا الرأى السيد على ماهر « باشا » الذى كان معتقلا يومئذفى السرو .. فقد قابلت أحد أصدقاء على ماهر فى جريدة الاهرام وقال لى : ان محمد على ماهر زار أباه على ماهر فى معتقله بالسرو وقد وجد أباه مسرورا جدا من تطور الحوادث ـ أى من الخلاف الذى وقع فى صفوف الوفد ـ وقد قال له أبوه على ماهر باشا .. « لو كنت اليوم رئيسا للديوان لكنت طيرت مصطفىالنحاس من الوزارة فى ٢٤ ساعة .. ولكن فى رئاســـة الديوان دلوقت واحد خرنج » ..

و (خرنج) معناه عبيط أو معتوه ضعيف .. وكان يقصد حسنين باشا .. وكان من رأى على ماهر باشا أنه كان يجب على « الخرنج » أحمدحسنين ان يشير على الملك فاروق يوم قدم اليه النحاس باشا إستقالة الوزارة باستدعاء زعماء الوفد ـ وزعماء الاحزاب الاخرى لاستشارتهم فى الموقف على أساس أن هناك انشقاقا فىالوفد وهو الهيئة التى تستند اليها الوزارة فى الحكم .. ثم يشــير على الملك باخراج النحاس ومكرم معا من الوزارة ..

ولكن « الخرنج » لم يعرف كيف ينتهز هذه الفرصة .. وقال لى

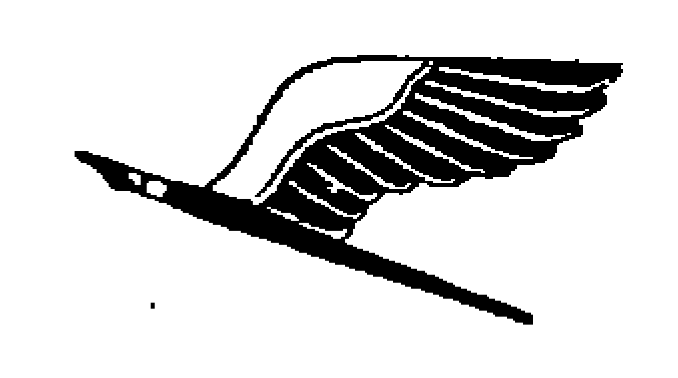
صديق على ماهر باشا انه يقول كذلك ·· « التابعى كف عن الكتابة عنى لانه أحس بأن الرأى العام معى » ··

وقلت أنا ·· كلا ·· لقد كففت عن الكتابة عن رفعته لا لان الرأى العام معه كما يقول ·· بل لانه معتقل الآن ولا حول له ولا قوة ··

* * *

وفى مقابلة أخرى قال لى بعض أصدقاء على ماهر باشا أنه يشكو من آلام شديدة فى أسنانه وأنه يصرخ أحيانا من شدة الالم ويقسم على أنه سوف ينتقم من مصطفى النحاس الذى اعتقـــله ويعلن أنه سوف يحاكمه أمام محكمة عسكرية بتهمة الخيانة العظمى وان المحكمة سوف تحكم على مصطفى النحاس بالاعدام ··

وكانت الاشاعات الذائعة يومئـــذ فى دوائر القصر وبين أنصار وأصدقاء على ماهر ان رفعته هو المرشح الوحيد لرياسة الوزارة بعد دخول جيوش المحـــور مصر ·· وهزيمة الجيش البريطانى وانسحابه من مصر ·· وكان الرأى السائد يومئذ ان الانجليز لابد مغلوبون على أمرهم وأن روميل سوف يدخل مصر ··



الماريشال روميل على أبواب مصر

وكان روميل قد بدأ يتحرك فى شهر يناير ..

ومضت المعارك مائعة بقية فصل الشتاء .. فلما أقبل الربيع بدأت الحالة تتطور بسرعة فى مصلحة جيش المحور - ألمانيا وايطاليا - وضد صالح بريطانيا وحلفائها .

ومنى الجيش البريطانى بسلسلة من الهزائم . لعل أشدها وأخطرها كانت معركة جسر الفرسان الذى خسر فيها الجيش البريطانى معظم دباباته وانسحب تاركا الطريق مفتوحا أمام الماريشال روميل ..

وأحس كل من فى مصر ان الحالة خطيرة جدا .. فقد سقطت طبرق الحصن المنيع بدون مقاومة تذكر .. ومن بعدها سقطت الضبعة .. واحتل الجيش الالمانى السلوم .. وزحفت طلائعه نحو مرسى مطروح .. والاسكندرية .

وفى صباح السبت ٢٧ يونية ١٩٤٢ - وكانت الشائعات المزعجة تملأ البلد - زرت حسنين فى داره فلم أجده .. وقيل لى أنه ذهب يعود ابنه هشام فى المستشفى فقد أجريت له عملية الزائدة الدودية .. وانتظرت حتى حضر حسنين وقلت له اننى سألت هذا الصباح وزير العدل صبرى باشا أبو علم عما اذا كان النحاس باشا قد أبلغ جلالة الملك تطورات الموقف فى الصحراء الغربية وأعطاه صورة صحيحة عن الحالة . أم تركه يستقى الاخبار من الخارج كما حدث يوم اغلاق الحدود .. وهل هو مثلا أبلغ الملك تفاصيل ما دار فى الاجتماع الذى عقده « رفعته » فى يوم الاثنين الماضى ٢٢ يونية مع السفير مايلز لامبسون والجنرال ستون ؟ .. وأن صبرى أبو علم باشا قال لى : ان النحاس باشا قد أدى فى هذه المرة واجبه وأنه أبلغك - أنت

يا حسنين باشا ـ كافة التفاصيل ..

قلت هذا لحسنين فابتسم بمرارة وقال : أبداً ! ..

ثم مضى يقص على التفاصيل .. قال :

ـ عرفت ان النحاس باشا عقد اجتماعا مع من ذكرت وانتظرت أن يتصل بى فور انتهاء الاجتماع ولكنه لم يفعل ومضى العصر .. ثم المغرب .. وأقبل الليل ورفعته لم يتصل بى .. وسألنى الملك « هل اتصل بك رئيس الوزراء ؟ فقلت كلا .. ولعله يجمع الاخبار والتفاصيل وكل مايمكن جمعه لكى يعطينـا صـــورة كاملة عن الموقف » ..

.. «ولكن هذا كان فى الحقيقة اعتذار منى عن النحاس باشا لأننى كنت أنتظر أن يتصل بى ويطلب مقابلة الملك لكى يبلغه ما حدث . ولكن الذى حدث أن رفعته أصدر بلاغا رسميا عن الاجتماع المذكور .. ونشرت الصحف البلاغ .. وكان ذلك قبل أن يطلع الملك على شيء ما »

وهكذا قرأ الملك البلاغ الرسمى فى الصحف مثل سائر الناس

ومضى حسنين باشا فى روايته يقول :

«وفى صباح اليوم التالى لم أستطع صبرا .. والواقع اننى أهملت أو تهاملت فى اداء واجبى كرئيس للديوان لأنه كان يجب على أن أتصل بالنحاس باشا قبل ذلك وأسأله .. ولكننى راعيت الذوق الحسن فلم أفعل ... ولكنى وجدت أنه لم يبق موجب للذوق ... فكلمت بالتليفون أمين عثمـان باشا وبسطت له وجهة نظرى ... وبعدها بقليل اتصل بى النحـاس باشا وقال لى .. « انت فين ؟ أنا بافتش عليك» ... وكلمنى كلاما عموميا عن الحالة وانها مطمئنة . وسألنى ما اذا كنت أريد أن أقابله فقلت له نعـم أحب أن اقابل رفعتك .. قال « بس أنا عندى برلمان النهاردة » قلت له « اذن ففى أى وقت يناسبك » .. ثم حدثنى عن البيان الذى سيلقيه فى البرلمان وسألنى هل يرسل لى نسخة منه فقلت وأكون شاكرا لو فعل .. »

« وهكذا انتهى حديث النحاس باشا معى بالتليفون .. وبعـدها بقليــل كلمنى أمين عثمــان بالتليفون وقال لى .. « انت مش عايز

تقابل النحاس باشا ؟ .. فقلت له « ازاى » بالعكس .. أنا عاوز أقابله » قال : « هوه فهم كده » .. فقلت فهم غلط .. وأنا غايته أحببت أن لا أربطه بموعد أو ميعاد وتركت له اختيار الوقت المناسب»

واتفقنا على موعد المقابلة ثم أبدى حسنين باشا رأيه فى البيان الذى ألقاه النحاس باشا فى البرلمان فقال انه فيما عدا تلات أو أربع نقط فان البيان المذكور يبدو كأنما قد كتب فى السفارة البريطانية. وانها لعجيبة أن يقول النحاس باشا فى بيانه انه مطمئن بينما الانجليز أنفسهم يسمون ما حدث « كارثة » ويصفون الحالة بأنها خطيرة وجرائد اليوم تقول نقلا عن جرائد لندن ان الزحف الالمانى لو أوقف يكون هبة من الله .. ومع ذلك فان النحاس باشا يقول أنه مطمئن .

* * *

ولم يقل النحاس باشا فى أول الامر لحسنين أكثر مما جاء فى البيان الذى ألقاه أمام مجلسى البرلمان وهو أن الحالة مطمئنة وأن الانجليز سوف يدافعون عن مصر .. الى آخر مدى .. ولقد حاول حسنين أن يعرف من النحاس باشا حدود « هذا المدى » وهل هو يقف مثلا عند مرسى مطروح ؟ أم أن الدفاع « الى آخر مدى » معناه أن الحرب سوف تجرى فى داخل البلاد ؟ ..

ولكن النحاس باشا رفض المناقشة فى امكان وقوع هذا الاحتمال.. وهنا يقول حسنين رحمه الله .. «قلت له : نفرض .. لاقدر الله .. لا سمح الله .. يعنى لو دخل الألمان مرسى مطروح أو .. لو زحفوا بعدها ! .. »

ولكن النحاس باشا قال مش ممكن ...

وعاد حسنين باشا يقول « يعنى لا سمح الله .. لا قدر الله .. وربنا ما يقدر .. انما يعنى لو حصل ... »

فقال النحاس باشا « يمكن نخلى المدنيين ساعتها يتركون المدن الى القرى .. »

يعنى الحرب تدخل مصر .. وهذا هو الخراب .

* * *

وكان حسنين يروى لى تفاصيل هذا الحديث وهو منفعل وحائر فىفهم عقلية النحاس باشا ٠٠ وكيف انه أصبح آلة فىيد الانجليز ٠٠ وقد تحدث حسنين طويلا فى هذا المعنى وكان مما قاله ٠٠ «النحاس باشا فى يد الانجليز خالص ، لانه يعرف أنه لو كان الامر بيد البلد لما بقى فى رياسة الوزارة خمس دقائق ٠٠ »

ثم انتقل حسنين بالحديث الى الشائعات التى تقول بأن الجيش الانجليزى فى الصحراء الغربية لا يريد أن يحارب ٠٠ وقارن بين موقفهم اليوم وموقف الجنود الايطاليين أيام الجنرال ويفل أيام كان جنود بريطانيا تحارب بشجاعة ٠٠ وجنود ايطاليا يهربون ٠٠ وها هى ذى الآية قد انعكست ٠٠ فأصبح الانجليز يهربون ٠٠ وجنود ايطاليا وألمانيا وراءهم ٠٠ ثم قال ان طيارا انجليزيا كان زاره فى داره وورطه حسنين فى الحديث حتى اعترف له بأن هناك أمرا مريبا فى استسلام حصن طبرق الحصين فقد قال

There is something fishy وان هذا الشىء المريب ــ كما قال حسنين ــ هو أن الجيش البريطانى رفض أن يقاوم وسلم للالمان من غير قتال ومضى حسنين يقول :

ــ فاذا كانت هذه هى الحالة فكيف يكون النحاس مطمئنا كما يقول ؟ ٠٠ بل لعل روميل على علم بحقيقة الحالة وانهيار معنوية الجيش البريطانى ولهذا السبب نراه يسرع فى زحفه حتى لا يعطى الانجليز فرصة لجمع جموعهم ولم شملهم ٠٠ وقد لا يبعد أن يدخل على ــ فى أى وقت ــ فى مكتبى ضابط ألمانى يرفع يده بالتحية ويقول ٠٠ هيل هتلر ؟ ٠٠

ومضى حسنين « باشا » فى حديثه فقال فى معرض التدليل على خطورة الحالة التى يصر النحاس باشا على وصفها بأنها « مطمئنة » قال ان هناك خطا قد أنشىء بين أمريكا ومصر لنقل الصور الفوتوغرافية باللاسلكى وقد افتتحه مستر روزفلت بارسال صورة له مع محمود « بك » حسن وزير مصر المفوض فى واشنطون وقد نشرت الصحف المصرية الصورة المذكورة ٠٠ ورؤى بعدها أن ترسل القاهرة ردها

على هذه التحية الى واشنجطون بارسال صورة الملك فاروق مع مستر كيرك وزير أمريكا المفوض في القاهرة ٠

ثم قال حسنين ٠٠

ـ ووقفت منذ أيام في احدى الحفلات أتحدث مع مستر كيرك في مسائل عادية فقلت له انني زرت أمريكا منذ سنوات ٠٠ وتعرفت برجالها وقلت لهم يومئذ ان أمريكا سوف تأخذ في يوم مكانها في قيادة العالم والمدنية الحديثة وانني لسعيد لان نبوءتي قد تحققت ٠٠ وكنت أظن أن مستر كيرك سوف يسر بكلامي هذا أو يعلق عليه بشيء ما ولكن الرجل ظل شارد الذهن ينظر الى بعينين « فارغتين » وكأنه لا يسمع حرفا مما أقول ٠٠ ذلك لانه كان يدرك خطورة الحالة ومدى الكارثة التي حلت بجيش الحلفاء في الصحراء الغربية ٠٠ بينما أنا لم أكن قد أدركت بعد هذه الحقيقة ومع ذلك فان النحاس يقول ان الحالة (مطمئنة) ٠٠٠

وعلا صوت حسنين وهو يقول ٠٠

ـ بأه دى بلد ٠٠ البلد كلها تهتز علشان النحاس اختلف مع مكرم ٠٠٠ ومفيش حديث في البلد كلها الا عن خلاف مكرم والنحاس ٠٠ بينما الالمان على أبواب البلد والبلد مهددة بالخراب اذا قرر الانجليز المقاومة في دلتا النيل وريف مصر ٠٠

* * *

ثم عاد حسنين وتحدث عن عقلية النحاس « باشا » فقال انه قابله في اليوم التالي لسقوط طبرق في أيدي الالمان وكان ينتظر أن يحدثه النحاس « باشا » عن هذه الكارثة المروعة التي وقعت بالانجليز وفتحت أمام الالمان الطريق الى الاسكندرية ٠٠ ولكن النحاس باشا سأله عن براءات رتبة الباشوية للوزراء ولماذا لم يرسلها الديوان حتى الآن ؟ ٠٠ وقال له حسنين ان البراءات أرسلت فعلا ولكن النحاس أنكر وصولها ٠٠ فأكد له حسنين انها أرسلت يوم كذا ٠٠٠ وهنا استدعى النحاس «باشا» الدكتور محمد صلاح الدين وسأله في هذا فقال صلاح الدين ان البراءات قد وصلت حقيقة ٠٠ وضحك

النحـاس « باشا » وقال لحسنين « شوف ازاى أنا مش عارف ؟ ·· البراءات عنـدى ومش عارف ··· وكنت كلمت الملك عنهـا ··· حتى ونكت معاه وقلت له أيوه خلوها عندكم علشـــان أضحك على الوزراء وأغيظهم وأقول لهم البراءات مش جاية وانتم مش باشوات·»

ثم تحدث حسنين عن دقة وحرج مركزه وكيف انه يخشى أن يقال عنه « طابور خامس » ومن ثم يعرض مركز الملك للخطر اذا ذهب مثلا وطلب من السفير البريطانى ضمانات على عدم جر الحرب الى القاهرة ودلتا النيل ··· أو طلب منه تفسيرات لعبارة « المقاومة الى آخـر مدى ·· » كذلك اذا أشار على الملك بدعوة زعماء البلد واستشارتهم فى الموقف فانه يخشى أن يقول الانجليز ان فاروق قد بدأ يسـتعد لتأليف وزارة ممالئة للمحور ···

وهز حسنين كتفيه وقال انه حاول أن يجس نبض الزعماء فاجتمع مع بعضهم وتحدث معهم فى الموقف وخطورته وصواب الحصول على ضمانات بعدم تعريض البلد للخراب ولكن أحدا من الزعماء ـ ولا النحاس نفسه ـ يقبل أن يخطو هذه الخطوة فيقابل السفير البريطانى ويحدثه فى هذا الموضوع···لانهم جميعا يخافون من غضب الانجليز وشكوكهم ·· أو غضب الالمان وانتقامهم ··

ثم قال بانفعال ··

ـ ودينى وما أملك لقد تحققت من أن البلد دى كلها مفيش فيها رجـل واحد ··· وأقسم بربى لو الحالة صفيت وربنا انقـذ البلد وأعطانى الملك « كارت بلانش » فى تأليف الوزارة فاننى لن أختار ولا واحدا من هذا الطقم أبدا ·· بل سوف أعمل وزارة من الشباب·· وأنا متأكد انهم لو غلطوا فان غلطاتهم تبقى أرحم بكثير من غلطات حضرات الزعماء الكبار ···

ثم قال بمرارة ··

ـ زعماء ايه ياشيخ ؟ ·· دول مفيش فيهم ولا راجل واحد ·· وفهمت من حديثه ـ تلميحا واستنتاجا ـ ان النحاس « باشا »

* * *

وقد تورط الى أبعد حد فى تأييد الانجليز والدعوة والدعاية لهمليس بالرجل الذى يمكن أن يتفاهم معه الالمان اذا دخلوا البلد ٠٠٠ أو الرجل الذى يمكنه أن ينقذ ما يمكن انقاذه ٠٠ وان واجب النحاس « باشا » اذن هو أن يتخلى من تلقـاء نفسه عن الحكم حتى يخلى السبيل لقيام وزارة أخرى لم يتورط رئيسها وأعضاؤها مع الانجليز الى هذا الحد ٠٠ ومن ثم يمكنها الى حد ما أن تتفاهم مع الالمان ثم قال ــ ولا أدرى هل هذا هو رأيه شخصيا أم رأى فاروق وقد اقتبسه فى حديثه ــ قال : اننا شعب مستعبد فأين هى الوزارة التى تستطيع ان تودع الانجليز اذا خرجوا ٠٠ وتستطيع أن تستقبل الالمان اذا دخلوا ؟ ٠٠ وتقول للانجليز ٠٠ وداعا يا أسيادى ٠٠ ثم تقول للالمـان ٠٠ أهلا وسهلا يا أسيادى ٠٠

قال ٠٠ يجب اعداد هذه الوزارة ٠٠

★ ★ ★

قلت له : لقد عرضت عليك رئاسة الوزارة ثلاث مرات ورفضتها ٠ ولكنى أظن أن واجبك الآن أن تتولى الحكم وساعتهـا تقـدر تكلم الانجليز وتتفاهم معهم على عدم خراب البلد ٠

قال : ان الانجليز يتهموننى بأن سياستى « ماكيافيلية » فلن يطمئنوا الى ٠ ان واجبى هو أن أبقى الى جانب الملك ٠٠

قلت : ما أنت برضه جنب الملك وانت رئيس وزارة ؟ ٠٠

ولكنه ــ ومن غير أن يتكلم كثيرا ــ راوغ فى الرد ٠ وقدرت أنه اما انه خائف مشفق من المسئولية ٠٠ واما اننى أصبت الهدف عن غير قصد وكانت منى رمية من غير رام ٠٠ أى أنه قد فكر فعلا وقدر هذا الاحتمال وهو أن يتولى رئاسة الوزارة ولكنه لا يريد أن يقولها لى الآن ٠٠

٠٠ أو احتمال ثالث وهو أن رئاسته للوزارة لا تفيد الملك فى شىء لأنه منسوب أو محسوب على الملك فكل خطوة منه سوف تفسر عند الانجليز بأنها ايعاز من فاروق ٠٠ وانه يمهد لدخول الالمان ٠٠ أو انه على الاقل يعمل بتصرفاته وخطواته هذه على نشر الفزع والقلق وروح الهزيمة فى البلد ٠٠

وأراد حسنين ـ رحمه الله أن يتخلص من الحديث فى هذا الموضوع وقد أحس بالحرج فقال ..

ـ وهناك أمر عندما أفكر فيه ترتجف ركبتاى .. وهو أن الانجليز اذا اضطروا الى الانسحاب من مصر فقد يأخذون معهم الملك ..

قلت : هذا أمر محتمل جدا .. ويبقى زى الملك بطرس ملك يوغوسلافيا وجورج الثانى ملك اليونان وساعتها يتخذه الانجليز مادة للدعاية ويقولون انه انضم اليهم وترك مصر هاربا من طغيان الالمان .. ويذيعون بيانات ونداءات باسمه .

ثم قلت .. ولماذا لا يفكر الملك فى الهرب ساعة الخطر .. ثم يعود الى مصر بعد دخول الالمان ؟

قال : مش ممكن لأن الملك تحت الرقابة الشديدة ..

قلت : وهل بلغ الأمر الى هذا الحد ؟

قال : نعم .. للاسف لا يجد أحدا يطمئن اليه .. حتى ولا حكومته لأنها ضالعة مع الانجليز . ثم قال : ونفرض ان الملك استطاع الهرب . ثم حدثت بعدها معجزة وأمكن للانجليز صد زحف جيوش روميل يبقى مركز الملك فاروق ايه بعد أن هرب ؟ .. لن يستطيع العودة الى مصر .. ان الصعوبة هى فى تحديد اليوم أو الموقف الذى يصح للمرء أن يقول فيه ان كل أمل للانجليز فى كسب المعركة قد ضاع .. وانهم لابد أن يخرجوا من مصر .. وان هذه هى الساعة .. أو هذا هو اليوم .. كيف نحدده ؟ ..

قلت : يوم يجتاز الالمان خطوط مرسى مطروح ..

قال : كلا .. فلو فرضنا واستولى الالمان على مرسى مطروح فان الانجليز ينوون مواصلة الدفاع ... ومنه تدمير خزان أسوان وقناطر محمد على لكى يغرقوا أراضى الدلتا ويجعلوها بحرا من الطين تغوص فيه دبابات الالمان ..

قلت : كلام فارغ .. مرسى مطروح اذا ضاعت .. ضاع كل شىء . ولابد يومئذ من انسحابهم ودخول الالمان .

قال : يعنى راية الخطر .. الراية الحمراء هى سقوط مرسى مطروح ؟ ..

قلت نعم .. دون شك

وسكت حسنين يفكر قليلا ..

وقلت .. ومن يعرف .. اذا تمكنوا من حمل الملك معهم قسرا .. فربما صحبوا معهم أيضا النحاس ووزراءه لتكوين حكومة مصر « الشرعية أو الحرة » خارج مصر مثل حكومات بولنده والنرويج وهولنده .. الى آخره ..

قال .. صحيح ..

* * *

وانهارت تماما مقاومة الانجليز فى الصحراء الغربية ... وسقطت خطوط دفاعهم الواحد بعد الآخر وكان الجنود الالمان يجدون مشقة فى اللحاق بالجنود البريطانيين بسبب سرعة انسحابهم .

وسقطت مرسى مطروح فى أيدى الالمان ...

وتقدمت بعدها قوات المحور .. ثم توقفت بسبب نفاد الوقود أو البترول الذى لا غنى عنه فى حرب الدبابات ... وكان توقفها عند « عنق الزجاجة » الذى اختاره البريطانيون خطا لدفاعهم الاخير قبل الاسكندرية ...

وكان « عنق الزجاجة » هذا ـ أو خط الدفاع ـ يمتد ما بين البحر عند محطة العلمين ومنخفض القطارة ويبعد عن المكس ـ احدى ضواحى الاسكندرية ـ بنحو أربعين كيلو مترا .

وبدأ أهالى الاسكندرية يسمعون دوى المدافع وهى تطرق أبواب دلتا النيل .. وساد الذعر والرعب والفزع وخصوصا بين يهود مصر الذى أسرعوا الى بضائعهم المكدسة فى المخازن يعرضونها للبيع بأرخص الاسعار .. وكان المارة فى شارع جامع شركس بالقاهرة يشاهدون يومئذ عشرات منهم يحاصرون قنصلية بريطانيا ليحاولوا الحصول على « فيزا » أو اذن بدخول فلسطين أو جنوب افريقيا .

كانت بحق أيام الذعر والفزع وكان من الصعب أن يصدق أحد أن شيئا ما سوف يوقف الزحف الالمانى ويحول دون دخولهم الاسكندرية والقاهرة .

اللهم الا اذا وقعت معجزة ٠٠ ولكن سلطات الحلفاء أنفسهم لم تكن فيما يظهر تؤمن أو حتى ترجو يومئذ وقوع هذه المعجزة ٠٠٠ فقد كان المارة فى ميدان قصر الدوبارة والشوارع المحيطة به يرون أعمدة الدخان تتصاعد من مداخن السفارة البريطانية والسفارة الامريكية وبعض المبانى والدور والعمارات التى كانت تشغلها ادارات مختلفة تابعة لقيادة الجيش البريطانى ٠٠٠

وكانت أعمدة الدخان تتصاعد ليلا ونهارا ٠٠ أياما متوالية ٠٠ وعرف سكان القاهرة ان رجال السفارتين والقيادة البريطانية يحرقون أوراقهم السرية استعدادا لمغادرة القاهرة ٠٠٠

وسافر بعض كبار الماليين والادباء والصحفيين ممن كانوا يحملون يومئذ على هتلر والنازية ٠٠ أو كانت لهم علاقات بمجهود بريطانيا الحربى ٠٠ سافروا الى أسوان ومنها الى الخرطوم ٠٠

وقابلت ذات صباح الاستاذ محمود أبو الفتح وسألنى ٠٠

ـ راح تودى فلوسك فين ؟ ٠٠

قلت ٠٠ فلوسى كلها أحملها فى جيبى ٠٠٠

وابتسم وقال انه أرسل « فلوسه » الى جنوب افريقيا ٠ وفى مساء نفس اليوم وكنت فى جريدة الاهرام أسأل عن آخر الاخبار سألنى رئيس التحرير الاستاذ أنطون الجميل « باشا » ماذا يفعل بأمواله المودعة فى البنوك ؟ ٠٠٠

وقلت له ان محمود أبو الفتح أرسل أمواله الى جنوب افريقيا ٠٠٠ وابتسم رحمه الله بمرارة وقال ٠٠٠

ـ وهو يعنى جنوب افريقيا اللى مأمون ومضمون ٠٠٠

وكان الاستاذ أنطون الجميل يعتقد أنه اذا سقطت مصر فى أيدى الالمان فلن يقف بعدئذ شىء فى طريقهم ٠٠٠ بل سوف يكتسحون وادى النيل الى جنوب افريقيا ٠٠٠ ويشقون طريقهم شرقا كما تشق السكين طريقها فى قالب الزبد عبر فلسطين ولبنان وسوريا والعراق

وقص على المرحوم الاستاذ توفيق دوس باشا المحامى ورئيس مجلس ادارة شركة الفنادق المصرية ٠٠ قال :

ـوذات صباح دق جرس التليفون فى مكتبى واذا بالمتكلم أحـد رجال السفارة البريطانيـة وطلب منى باسم السفارة واسم القيادة البريطانيـة أن أعمل فى ظرف ٢٤ ساعة لا أكثر على فتح واعـداد فندق ونتر بلاس بالاقصر • وكان الفندق المذكور مغلقا يومئذ لاننا فى الصيف ـ شهر يوليه ـ والفندق لا يفتح الا فى موسم الشتاء •

وقلت للمتحدث باسم السفارة والقيادة ان هـذا مستحيل ••• لانه يجب أولا جمع عشرات الخدم والسفرجية والطهاة الى آخره ••• لتنظيف الفندق واعداده ••• ولـكن المتحـدث قاطعنى قائلا أن لا ضرورة لشىء من هذا •• بل لا ضرورة لوجود أى خدم أو سفرجية على الاطلاق •• لان البنات سوف يقمن بتنظيف الفنـدق وخـدمة أنفسهم بأنفسهم •• بل وطهى طعامهن •• والمهم هو فتح الفنـدق فورا لان قطارا خاصا يغادر القاهرة مساء اليوموهو يحمل خمسمائة من فتيات « الانسا » والمجندات البريطانيات الى الاقصر ••• ومنهاـ اذا لزم الامر ـ الى الخرطوم •••

قال توفيق دوس باشا :

ثم ضحك محدثى من السفارة البريطانية وهو يقـول : ولعلك توافق على أنه من غير المرغوب فيه أن نترك وراءنا فى القاهرة كل هذه المتعة وأسباب السرور غنيمة للجنود الالمان ••

* * *

وفتيات « الانسا » فرقة كانت مخصصـة للترفيـه عن الجنـود البريطانيين فكانت تقيم لهم فى مختلف المعسكرات الغناء والموسيقى والتمثيل ••

اذن فقد كان الخطر خطرا حقيقيا ••• لا مبالغة فيه ••• وها هى ذى السلطات العليا التى تعرف الحقائق تحرق أوراقها ••• وتسرع وترسل الفتيات البريطانيات المجندات بعيدا عن القاهرة ـ الميئوس من انقاذها ـ الى الاقصر منطقة الامان ولو الى حين •••

ثم انتشرت اشاعة تبين فيما بعد انها خبر صحيح ••• وفحواها أن السلطات البريطانية العسكرية طلبت بالحاح من الحكومة المصرية

اغراق غرب الدلتا أو مديرية البحيرة وما الى جنوبها ··· لكى تحول هذه الاراضى الى بحر من الطين تغوص فيه دبابات الجيش الالمانى وعربات النقل وسياراته ومدرعاته ومصفحاته ··· وتعرقل زحف روميل على دلتا النيل ···

وبدأت ألوف من المهاجرين تفد على القاهرة من الاسكندرية والبحيرة وشمال الدلتا ·· وأرسل الضابط المصرى قائد منطقة الاسكندرية خطابا سريا الى وزارة الحربية المصرية فى القاهرة ·· يسألها فيه عما يجب عليه عمله فى حالة دخول قوات المحور من الالمان والايطاليين ··· هل يجب عليه أن يقاوم هو وجنوده ·· ؟ أم يستسلم ويسلم سلاحه وذخيرته ··؟

وعرض الخطاب أو السؤال المذكور علىوزير الحربية يومئذ المرحوم الفريق حمدى سيف النصر باشا فقال :

ـ ماتردوش عليه ··

ولكن قائد الاسكندرية عاد وارسل بعد يومين رسالة سرية أخرى كتب عليها (مستعجل جدا » ويكرر فيها نفس السؤال ويلح فى الجواب ···

ولما عرضت هذه الرسالة الثانية على وزير الحربية صاح ··

ـ انقلوا ابن ··· ده من اسكندرية وأرسلوه حتة تانية وابعتوا واحد تانى محله ·· هو عاوز يودينى فى داهية ··

ذلك أن حمدى باشا رحمه الله كانيخشى اذا أمر قائد الاسكندرية بالمقاومة ثم دخلالالمان··· أن يحاكمه الالمانأمام مجلس عسكرى·· واذا أمره بالاستسلام للالمان ثم نجح الانجليز فى صد الالمان ··· أن يحاكمه الانجليز بتهمة الخيانة ·

ومن هنا رفض أن يرد على رسالة قائد منطقة الاسكندرية ··

وفى هذا الجو من التوتر والفزع ··· اجتمع مجلس الوزراء برياسة « صاحب المقام الرفيع » مصطفى النحاس باشا وقال رفعته فى بداية الاجتماع أنه رأى بسبب خطورة الحالة وتطورها السريع أنيدعو المجلس للنظر فيما يجبعليه اتخاذه لتأمينسلامة البلاد···

بينما كان « رفعته » يؤكد منذ أيام قلائل أن الحالة « مطمئنة » !.
وبعد أن تناقش الوزراء طويلا فى الموقف وقدروا جميع الاحتمالات قرروا أن يرسل مجلس الوزراء خطابا بامضاء «رفعة» رئيس الحكومة الى الماريشال روميل ...

وعهدوا الى الاستاذ نجيب الهلالى «باشا» بوضع صيغة الخطاب المذكور . وكتب الاستاذ الوزير الاديب الخطاب المذكور ـ وقد تكون صورة من هذا الخطاب التاريخى محفوظة فى سجلات مجلس الوزراء...

وقد جاء فى الخطاب .. أن مصر دولة غير محــاربة وأن جميع الاجراءات العسكرية التى اتخذتها السلطات العسكرية البريطانيــة فى مصر قد تمت كرها أو على غير رغبة من الحكومة المصرية .

وأن مصر حـكومة وشعبــا تحب السلام وتستمسك به . وان حكومة مصر قد اتخذت الآن جميع الاجراءات لحفظ الأمن والحيلولة دون وقوع أية اضطرابات.

* * *

وهذه هى خلاصة الخطاب المذكور كما استقيتها من أوثق المصادر.

واتفق رأى مجلس الوزراء على أن يكون رسولهم الذى يحمل هذا الخطاب الى الماريشال روميل هو محافظ الاسكندرية وكان يومئــذ عبد الخالق حسونة « باشا » الامين العام ـ الآن ـ لمجلس جامعــة الدول العربيه .

ونزولا على حكم « البروتوكول » والعرف والتقاليد ... وتقديرا لخطورة الحالة وخطورة المهمة قرر المجلس أن يعهد الى أكبر أعضائه سنا وأقدمهم عهدا بالمنصب الوزارى وهــو عثمان محرم « باشا » بالاتصال بمحافظ الاسكندرية عبد الخالق حسونة باشا ... ليبلغه خبر المهمة الجليلة الخطيرة التى يعهد بها اليه مجلس الوزراء !

واتصل عثمان محرم باشا بمحافظ الاسكندرية عبد الخالق حسونه باشا وأبلغه قرار مجلس الوزراء وقال ان خطاب رفعة النحاس باشا الى الماريشال روميل سوف يرسل اليه مع رسول خاص .

ولابد أن السيد عبــد الخالق حسونه فغر فاه دهشة وهو يتلقى

تفاصيل هذه المهمة العجيبة التى يكلفه بها مجلس الوزراء .

ولكنه سأل وزير الاشغال ..

– وكيف السبيل للوصول الى الماريشال روميل وتسليمه خطاب رئيس الحكومة ؟

وأجاب عثمان محرم باشا :

– تركب يا أخى سيارتك وتخرج بها الى أن تقابل روميل وهوقادم فى طريقه الى الاسكندرية ..

وهنا لم يستطع السيد عبد الخالق حسونه أن يخفى السخرية من لهجته وهو يسأل أو يتساءل :

– هل حصلتم يامعالى الباشا من الجيش الانجليزى على تصريح لى بالمرور بسيارتى ؟ .

وسكت « معالى » الباشا الوزير ..

وعاد محافظ الاسكندرية يقول ..

– ان بينى وبين الوصول الى الجيش الالمانى قوات الجيش البريطانى المنتشرة على طول الخط .. وهناك كذلك أسلاك شائكة وحقول ألغام ... ثم ليس من الضرورى أن يكون الماريشال روميل موجودا فى مقدمة جيشه .. فقد يكون فى مقر قيادته فى المؤخرة وراء الخطوط ... وسوف يلزمنى فى هذه الحالة جواز أمان من القيادة الالمانية بخلاف جواز المرور والأمان من القيادة البريطانية ... فهل فكرتم فى هذا كله يامعالى الباشا ؟

وضاق صدر عثمان محرم باشا بكل هذه الاسئلة وهذه الاعتراضات التى أثارها محافظ الاسكندرية والتى لم تكن موضع بحث أو مناقشة فى مجلس الوزراء .. لأن أحدا من أصحاب الرفعة والمعالى الوزراء لم يخطر بباله أن مقابلة روميل ستكون بمثل هذه الصعوبة !!

ضاق صدر معاليه فقال ..

– على كل حال الخطاب جاى لك .. واحفظه عندك لحد ما تقابل روميل وتسلمه له يدا بيد ..

وعاد محافظ الاسكندرية يسأل ..

ولكن أقابل روميل ازاى ؟
وأجاب وزير الاشغال ..
ـ لما يدخل الاسكندرية .. روح قابله واعطى له الجواب ..
وهكذا انتهت هذه المحادثة التاريخية العجيبة ..
ولحسن حظ السيد عبد الخالق حسونه... وسوء حظ التاريخ.. لم يدخل روميل الاسكندرية ويتسلم الخطاب الممهور بامضاء السيد مصطفى النحاس ..

* * *

وأنقل هنا من مذكراتى المكتوبة .. فى مساء السبت ٢٧ يونيه سنة ١٩٤٢ ..

كلمت فؤاد سراج الدين باشا بالتليفون واتفقنا على أن نتقابل فى « جروبى » الساعة الثامنة مساء .. ولكنه عاد وكلمنى فى منتصف الساعة السابعة واقترح أن تكون المقابلة فى داره فى نفس الميعاد .

وكانت هذه أول مرة أدخل فيها داره الفخمة فى جاردن سيتى .

وسألنى عما اذا كنت سمعت بخطاب مكرم باشا فقلت لا .. لم أسمع شيئا .. قال أن مكرم باشا أرسل الى النحاس باشا أول أمس خطابا منه ومن عشرين نائبا يطلب فيه عقد الهيئة الوفدية فى صباح يوم الاثنين « بعد غد ٢٩ يونية » للنظر والمناقشة فى المسائل الآتيـة ..

١ ـ الموقف الحربى الحالى .
٢ ـ الاستثناءات التى لا تزال الوزارة سادرة فيها .
٣ ـ التصريحات بتصدير بعض المواد الاولية التى ترخص بهـا الوزارة لبعض انصارها والمحسوبين عليها .
٤ ـ مراقبة دار مكرم عبيد والحصار المضروب حولها .
٥ ـ تحـديد مركز مكرم باشا فى الوفد ومنصب سكرتير الوفد

وهـذا بسبب تصريحات النحاس باشا فى اجتماعات عديدة أعلن فيها أن مكرم لم يعد سكرتيرا للوفد .

* * *

ثم قال فؤاد سراج الدين باشا ان النحاس باشا قال بعد أن قرأ

خطاب مكرم انه لن يرد عليه وانه ـ أى فؤاد باشا ـ وافقه على رأيه ٠٠٠ ولكن النحاس باشا عدل عن رأيه وأرسل الدكتور محمد صلاح الدين لكى يبلغ رد النحاس وهو ٠٠٠

ان النحاس باشا يطلب من الذين أرسلوا هذا الخطاب أن يقابلوه لكى يعرف منهم شخصيا الاسباب التى يريدون من أجلها عقد الهيئة الوفدية ٠

ثم ٠٠ عن (١) ٠٠ غـير ممكن أن يقول النحاس باشا عن الموقف الحربى أكثر مما قاله فى مجلس النواب ٠

عن (٢) ٠٠ لقد أبديت يامكرم باشا رأيك فى الاستثناءات وأبديت أنا رأيى ٠ وأيدنى الوزراء فى رأيى ٠ وهناك استجواب مقدم وسوف ينظر فى يوم الاثنين ويمكنك يومئـذ أن تقول كل ما تريده أثناء مناقشة الاستجواب فى مجلس النواب ٠

وعن (٣) ٠٠٠ غير صحيح ٠

وعن (٤) ٠٠ غير صحيح ٠

وأما عن (٥) ٠٠٠ فانك يامكرم لست سكرتيرا للوفد لانك لم تعد سكرتيرا للوفد ٠٠ وبناء عليه أرفض طلب عقد الهيئة الوفدية ٠

ثم قال فؤاد سراج الدين تعليقا على خطاب مكرم ٠٠

ـ ان مكرم كان يعرف مقدما ان النحاس باشا لن يوافق على دعوة الهيئـة الوفدية للاجتماع فى صبـاح بعد غد الاثنين للمناقشة فى المسائل التى ذكرها هو وأصحابه فى الخطاب ومنها مسألة الاستثناءات التى قدم عنها استجوابا تحدد لنظـره جلسـة نفس اليوم الاثنين ولكن مكرم أراد أن يقوم بمناورة بارعة يستبق بها الحوادث ويبرر موقفه فى هذه الجلسة القادمة لان فى نيته أن يهاجم النحاس باشا ويحمل على الوزارة فى الجلسة المذكورة ٠٠ ولكنه يشفق من عتاب العاتبين ولوم اللائمين ومن أن يقال له « كيف ـ وأنت لاتزال عضوا فى الوفد والهيئة الوفدية ـ كيف تهاجم رئيس الهيئـة ورئيسك وتحمل على وزارة الهيئة التى تنتمى اليها ؟ » ٠٠ ومن هنا أرسل خطابه لكى يمكنه أن يقول للعاتبين وللائمين (لقد حاولت أن أناقش

مصطفى باشا فى هذه المسائل فى الهيئة الوفدية أى فى اجتماع عائلى فيما بيننا ولكنه رفض .. فلا تلومونى اذن اذا تكلمت علانية فى جلسة مجلس النواب » .

هذه هى مناورة مكرم البارعة .. لانه كان يعرف مقدما أن النحاس باشا لن يوافق على عقد الهيئة الوفدية .

* * *

وكنت ذكرت رأى الاستاذ فؤاد سراج الدين وهو أنه كان يرى أن من الاصوب فصل مكرم عبيد من الوفد «الآن» أثناء وجود النحاس باشا فى رياسة الوزارة وفى يده سلطات الرقابة المفروضة على النشر والصحافة خير من السكوت عليه .. اذ قد يضطر الوفد فيما بعد الى فصله .. وقد يكون النحاس باشا يومئذ خارج الحكم ولا سلطان له على الرقابة ولا سلطة له فى منع نشر مالا يرضيه اذا حمل عليه مكرم فى الصحف ..

ولقد عاد فؤاد باشا هذا المساء ـ مساء ٢٧ يونيه ـ الى نفس الموضوع ونفس المعنى فقال ..

ـ ان مكرم لا يزال عضوا فى هيئة الوفد .. ولهذا السبب فان مهاجمته أو الحملة عليه ليست ممكنة الآن .. بل ان أعضاء الهيئة الوفدية والوفديين جميعا الموالين المخلصين للنحاس باشا يمسكون بأعصابهم وألسنتهم ولا يسمحون لانفسهم بالحملة عليه احتراما منهم لعضويته فى الوفد والهيئة الوفدية ولكن يوم يعلن فصل مكرم من الوفد فان المانع يزول وتنطلق ألسنة الجميع ضد مكرم عبيد ..

وانتهى فؤاد سراج الدين من الحديث عن خطاب مكرم عبيد ..

* * *

وكنت أصغى اليه وأنا أعجب كيف يمكن لرجال مصر المسئولين أن يشغلوا أنفسهم بأمر الخلاف بين النحاس ومكرم .. وجيوش زوميل تطرق أبواب مصر .. ودلتا النيل مهددة بالخراب ؟

وقلت لفؤاد باشا اننى زرت حسنين « رئيس الديوان الملكى » هذا الصباح ووجدته مشغول البال على ابنه هشام الذى أجريت له أول أمس عملية المصران الاعور .. واننى فهمت من حديث حسنين

ان كل من فى القصر - من الملك الى أصغر فرد فى الحاشية - جميعهم خائفون جزعون قلقون من تطور الموقف الحربى من سيء الى أسوأ .. وانهم جميعا يتساءلون عن نوايا الانجليز وخططهم والى أى مدى ينوون الدفاع والمقاومة ...؟ هل يذهبون فى هذا المدى الى حد نقل الحرب الى دلتا النيل معتمدين كما قال أحد نقادهم العسكريين على فروع النيل وقنواته فى تعطيل زحف الالمان ...

ثم سألته لم لا يطلب النحاس باشا مقابلةالملك شخصيالكى يبلغه آخر تطورات الحالة ويطمئنه ان كان عند رفعته أسباب تدعو الى الاطمئنان ؟ .. ووافقنى فؤاد باشا على رأيى وقال انه يحبذ مقابلة النحاس للملك وانه اذا كان النحاس لم يطلب حتى اليوم مقابلة فاروق . وذلك لأنه كان يخشى أنيرفض فاروق مقابلته أو يسوف فيها كما سبق أن حدث ..

ثم قال انه سيقابل النحاس باشا الآنلانهم مدعوون عند الاستاذ حسن يس لتناول العشاء وسوف يقول لرفعته ان هذا هو رأيى من غير أن يدخل فى التفاصيل ..

* * *

وتركت فؤاد سراج الدينوعدت الى دارى.ومنها سألتبالتليفون عن حسنين باشا فقيل لى انه لم يعد بعد .

وكلمنى هو بالتليفون فيمنتصف الساعة الحادية عشرة مساء .. ورويت له ما دار بينفؤاد باشا وبينى .. واننى اقترحت أنيطلب النحاس باشا مقابلة الملك .. الى آخره ... الى آخره ..

وقال حسنين ... عال خالص .

وشكرنى بحرارة .

* * *

وأصبحنا يوم الاحد ٢٨ يونيه ..

وكلمت صبرى أبو علم باشا فى مسألة تخص أحد الزملاء الصحفيين وكان الزميل المذكور وسطنى فيها لدى صبرى أبو علم باشا رحمه الله.

وعرفت من صبري باشا أثناء الحديث أن « رفعة الرئيس » موجود الآن مع جلالة الملك ·· وأن رفعته كان «التمس» المقابلة هذا الصباح فأجيب طلبه في الحال ·· واستقبله فاروق في نفس الصباح ··

* * *

وكلمت حسنين في مكتبه بالقصر وسألته عن الحالة فقال ·

ـ أيوه ·· وصاحبك هنا ـ يقصد النحاس باشا ـ لكن أظن فات الوقت لان الاخبار وحشة ··· وبعدين أقول لك ··

و « الاخبار الوحشة » التي كان يشير اليها لابد أن تكون أخبار الموقعة الحربية الدائرة عند مرسى مطروح ·

ولم يكن في امكان حسنين أن يفسر أكثر من ذلك بالتليفون ·· لان موظفي تليفونات قصر عابدين ـ كما كان قال لي هو بنفسه ـ كانوا ينصتون للأحاديث وينقلو الاخبار التي يسمعونها ؟

* * *

ثم عاد حسنين وكلمني بالتليفون في ساعة متأخرة من المساء وكنت في داري··وقال ان النحاس لم يطلع الملك في مقابلة الصباح على شيء جديد ·· وانه وأن تكن الاشاعات مزعجة ·· الا ان أخبار « اخواننا » هنا مطمئنة ··

ولم يزد على هذا ·· وكعادتي معه لم ألح في الاستفسار أو طلب المزيد من التفاصيل ولا أعرف من هم الذين يقصدهم «باخواننا» ؟·· هل يقصد الانجليز ·· أم يقصد النحاس باشا ووزرائه ؟ ··

ولم يكن في نيتي أن أخرج هذا المساء · ولكنني ذهبت الى جريدة الاهرام لكي أسأل عن آخر الاخبار الواردة من جبهة القتال ·· وقابلت في مكتب رئيس التحرير الدكتور محمود عزمي والسيدة قرينته ··

وقالت السيدة أو على الأصح سألتني ما اذا كنت سمعت ان فلانا قد طلق زوجته فلانه ·؟

وفلان هذا كان من نجوم السينما وأبناء الذوات وقد توفاه الله منذ سنوات ·· أما فلانة فلا تزال على قيد الحياة ·· قلت انني

لم أسمع شيئا عن هذا الطلاق ..

قالت السيدة حرم الدكتور محمود عزمى ان فلانة هذه هى الآن « صديقة » الجنرال ريتشى قائد الجيوش البريطانية فى الصحراء الغربية ... وأن الجنرال لم يسافر الى الميدان بل يدير المعركة بالتليفون . والى جانبه صديقته فلانه المذكورة ...

وقال المرحوم محمود عزمى :

– على كل حال الثابت أن الجنرال ريتشى كان يزور الاسكندرية مرة فى كل أسبوع وينزل بفندق بوريفاج حيث كانت تقابله فلانة المذكورة ...

وقلت أنا ان الاشاعات كثيرة عن فلانة هذه ومعظمها غير صحيح .

ثم سألت الدكتور محمود عزمى عن رأيه فى الحالة وفى دفاع الانجليز فقال أن الانجليز ينوون الدفاع عن مصر الى آخر رمق وان خطتهم وخطوط دفاعهم هى ..

١ – مرسى مطروح .

٢ – الضبعة .

٣ – الخطاطبة (فى مديرية البحيرة) .

٤ – من الاهرام الى الزمالك .

٥ – قناة السويس .

قلت : والاسكندرية .. والقاهرة ..؟

قال لم يتخذ بشأنهما بعد أى قرار .

قلت على أى حال اذا كانت هذه هى خطة الانجليز فانها تعنى خراب مصر ..

قالت السيدة حرم محمود عزمى ..

– نعم الدفاع شبرا شبرا كما فعل الروس فى مدينة سباستبول .

* * *

وأنقل عن مذكراتى بتاريخ ٢٩ يونيه ١٩٤٢ ..

الحالة تزداد خطورة . واشاعات مزعجة تملأ البلد ..

وسمعت اليوم من مصادر مختلفة ان الانجليز استطاعوا أن يردوا

قوات المحور عند مرسى مطروح وأن يرغموها على التقهقر مسافة عشرة كيلو مترات وأن يأخذوا منها خمسة عشر ألف أسير ...

ثم أعلنت وكالات الانباء فى المساء أن شيئا من هذا لم يحدث . وأن الذى حدث فعلا هو سقوط مرسى مطروح فى أيدى قوات المحور من الالمان .

ومررت بجريدة الاهرام ودخلت غرفة رئيس التحرير الاستاذ أنطون الجميل . وكان بين الموجودين الاستاذ توفيق اليازجي « المعروف بميوله المحورية .. » وكان الحديث بينهم عما عسى ان يفعل الملك فاروق وهل هو يحاول الهرب من مصر خوفا من أن يرغمه الانجليز على الخروج معهم عند انسحابهم ؟

وقلت للحاضرين ما أعرفه وهو أن الانجليز أقاموا حول الملك مراقبة شديدة دقيقة حتى لا يكاد ينتقل من قصر الى قصر الا وعندهم الخبر ..

وكان الاستاذ توفيق اليازجي يبتسم ابتسامة هادئة ناعمة .. وقالت سيدة من الموجودين ان الامبراطورية البريطانية قد شاخت ودب الانحلال فى عظامها تماما مثل روما فى آخر عهدها بالمجد والسلطان ... فقد كانت روما عندما أشرفت على نهايتها .. كانت تحارب بأبناء جميع أمم الارض الا أبناء روما .. وكذلك الحال اليوم مع بريطانيا التى تخوض المعارك وتحارب بجنود من استراليا ونيوزيلنده والهند وبورما وجنوب افريقيا وفلسطين بل ولبنان « وكان فريق من أبنائه قد التحق بقوات دى جول الحرة » .. ولكنك تبحث عن جنود الانجليز فلا تجدهم .

★ ★ ★

وحدثت مساء اليوم فى مجلس النواب فضيحة ... ولا أعنى أن الاستثناءات كانت فضيحة ... وهى قد كانت كذلك ... ولكننى اقصد أن نظرها والمناقشة فيها فى هذا اليوم وهذه الظروف بالذات هى التى كانت فضيحة ... فبينما الجيوش تتطاحن على أبواب مصر ... ودوى المدافع والقنابل يسمع بوضوح فى الاسكندرية

وطائرات جيوش المحور تحلق فوق الاراضى المصرية ٠٠ أصر رئيس الوزرء النحـاس باشا عنـد افتتاح جلسة مجلس النواب على نظر الاستجوابات المقدمة عن الاستثناءات وغيرها رغم أن أصحاب هذه لاستجوابات طلبوا تأجيل النظر فيها مراعاة للحالة وتقديرا منهم لخطورة الموقف ٠٠٠

ولكن « رفعة الرئيس » أصر على نظرها ٠٠٠

وقامت «خناقة» حامية بينه وبين مكرم عبيد٠٠٠ وأعلن النحاس باشا فى الجلسة أمام النواب أن مكرم لم يعد سكرتيرا للوفد ٠

٣٠ يونيه ١٩٤٢

وكان للاقاويل والاشاعات التى ينشرها فى القاهرة المهاجرون القادمون من الاسكندرية والبحيرة ٠٠ أثرها فى الجمهور فقد انتشر الذعر بين سكان القاهرة ٠

وكلمت النحاس باشا بالتليفون وتحدثت اليـه عن جلسة أمس وأبديت رأيى فى الطريقة التى نشرت بها جريدة «المصرى» ما دار فى الجلسة المذكورة ٠

ثم سألته عن الحالة ٠٠٠ فقال انها مطمئنة وليس فيهـا ما يدعو للذعر والقلق ٠٠

وكلمت فؤاد باشا سراج الدين بالتليفون وعرفت منه أنه لم يكن فى نية الانجليز أن يدافعوا عن مرسى مطروح وان قرار التخلى عنها والانسحاب منها كان معروفا للوزراء منذ أربعة أيام ٠٠ وأن خط دفاع الانجليز هو عند العلمين « وقد كتبتها فى مذكراتى بالالف « العالمين » لاننى لم أكن قد سمعت بهذا الاسم من قبل ٠٠ »

وعرفت فى المساء من الاستاذ أنطون الجميل أن قوات المحور قد اجتازت مرسى مطروح وجاوزت فوكه والضبعة ٠٠٠ وامست أمام العلمين ٠٠

* * *

أول يوليه ١٩٤٢

الذعر شديد ٠٠ والاشاعات كثيرة ٠٠

والجمهور يحاصر محال البقالة ومواد التموين لكى يشترى منهـا حاجته ويخزنها للطوارىء ... واضطر محل بقالة « لاباس » فى شارع قصر النيل أن يغلق أبوابه بسبب شدة الزحام ..

ونفدت فى يومين اثنين جميع الدراجات والبسكليتات من محال بيعها فى القاهرة فقد أقبل الجمهور على شرائها بسبب اشاعة تقول أن الانجليز سوف يحرقون مستودعات البنزين قبل انسحابهمحتى لا تقع فى أيدى الالمان .. ومعنى هذا أنه سوف يستحيل استعمال السيارات فى الانتقال ..

* * *

ومن اشـــاعات اليوم ان الانجليز طلبـــوا من الملك الانتقال الى فلسطين .. بل الى أسيوط .. بل الى السودان ومعه الوزارة .. اشاعات كثيرة مختلفة .

ولكن هناك خبرا أكيدا واحدا وهو ان الانجليز رفضوا أن يعلنوا أن القاهرة مدينة مفتوحة .. وكنت سمعت هذا الخبر من احدى اذاعات راديو برلين منذ يومين ..

ومعنى هذا انهم سيدافعون عن القاهرة وسيدور القتالفىالقاهرة من حى الى حى . ومن شارع الى شارع بل ومن عمارة الى عمارة .. وسمعت كذلك ان الانجليز نصبوا أوكار المدافع على طول شـــارع الهرم . وبعض أوكار المدافع هذه قد أقيم خلفبعض الدور والفيلات فى الشارع المذكور ..

وكانت النتيجة أن هجرها أصحابها .. الى مســاكن أخرى فى القاهرة أو فى الريف .

* * *

وذاع اليوم ان مسيو كابسيس الوزير المفوض لحكومة اليــونان الحرة قد غادر مصر هربا من قوات المحور ..

وكذلك مسيو جاكيه وزير بلجيكا المفوض .. ثم عدت وسمعت انهما لم يهربا بل أعدا فقط جوازات سفرهما .

وذاع فى المساء أن قوات الاحتلال قد وصلت الى العامرية والمكس

•• وان شركة مصر للطيران قد أوقفت سفر طائراتها الى الاسكندرية وان مستر كازى وزير الدولة فى الشرق الاوسط غادر مصر ••

عقد البرلمان بمجلسيه ــ مجلس الشيوخ ومجلس النواب ــ جلسة سرية أعلن فيها النحاس باشا :

(١) مصر حصلت على غطاء الذهب •

(٢) فى كل بلد مؤونة تكفيها لمدة شهر واحد •

(٣) الانجليز رفضوا الموافقة على جعل القاهرة مدينة مفتوحة • ولكن الوزارة اتخذت كافة الاجراءات وقامت بجميع اللازم لتأمين المدنيين وحمايتهم •

(٤) كذب رفعته الاشاعات الخاصة بانتقال الملك والحكومة الى أى بلد آخر •

* * *

وأقف هنا قليلا ــ وأترك مذكراتي ــ وأروى حديثا قصيرا سمعته من أمين عثمان باشا بعد ذلك بعام أو نحو ذلك •• أى فى عام ١٩٤٣ •

وكان المرض قد اشتد على رفعة النحاس باشا فى عام ١٩٤٣ حتى خيف على حياته وزارنى ذات يوم صديق لى كان يومئذ مديرا لمكتب أمين عثمان وزير المالية وقال لى ان أمين باشا يهمه أن يعرف رأيى فيمن سوف يتولى زعامة الوفد بعد النحاس باشا • اذا أصابه مكروه لا سمح الله ••• وان أمين باشا يريد أن يزورنى ويتحدث الى فى هذا الموضوع ••

وزارنى فعلا أمين عثمان فى مكتبى بمجلة آخر ساعة ولكنه لم يعرض فى حديثه لموضوع الزعامة ورئاسة الوفد والى من تؤول بعد النحاس باشا ••

ولعله كان عرف رأيى مما كنت قلته لصديقى مدير مكتبه • بل جلس يتحدث عن العام الماضى وحوادثه وأزماته ــ عام ١٩٤٢ ــ وأيام العلمين •• وكان مما قاله ــ وهو ما يخالف قول النحاس باشا أمام مجلس البرلمان ــ ان الانجليز طلبوا فعلا من النحاس باشا مغادرة مصر •

قال أمين عثمان « باشا » ٠٠ ان السفير البريطانى مايلز لامبسون زار النحاس باشا أيام اشتداد الخطر وقال له ان الحكومةالبريطانية تنصح لحكومة جلالة ملك مصر بالانتقال الى الخرطوم ٠٠ خصوصا ان السودان أرض مصرية (كذا !) فلن يضيرها فى شىء أمامالشعب أن تنتقل من جزء من مصر الى جزء آخر من مصر ٠٠

ومضى المرحوم أمين عثمان فى روايته يقول ٠٠ ان النحاس باشا استطاع أنيتخلص بلباقة من هذا الاحراج اذ قال للسفير انهوأعضاء الوزارة رهن مشيئة الملك فاذا قرر جلالته مغادرة مصر الى السودان فانهم سوف ينتقلون معه ٠٠ واذا قرر البقاء فى مصر فانهم باقون معه ٠٠٠

٠٠٠ وكان النحاس باشا قد اتفق سرا مع فاروق على البقاء وعدم مغادرة البلاد ٠٠

* * *

هذه رواية المرحوم أمين عثمان ٠٠ وأنا أصدقها ٠٠ بل لعلآتفاق النحاس مع فاروق على البقاء فى مصر وعدم الهرب ٠٠٠ لعله يفسر سر الخطاب العجيب الذى أمر النحاس باشا باعداده ٠٠ وارساله الى المارشال روميل مؤكدا فيه ان مصر لا ناقة لها فى الحرب ولا جمل ٠٠ وانه وزملاءه كانوا مكرهين مرغمين على التعاون مع الانجليز ؟٠٠

وأعود الان الى مذكراتى ٠٠ وأنقل منها ٠٠

يوم ٢ يولية ١٩٤٢

خف الذعر قليلا فى الصباح ٠٠ ثم عاد واشتد فى المساء ٠٠فقد أذاعت محطات الاذاعة فى برلين وروما وأنقرة (وكانت تركيا يومئذ محورية تشيد بانتصارات هتلر ثم عادت وانقلبت عليـــه وأمست أمريكانية بريطانية) ٠٠

أذاعت المحطات المذكورة ان قوات المحور اخترقت اســتحكامات العلمين وانها تطارد الجيش البريطانى فى أنحاء الدلتا ٠٠

ثم نفت شركة روتر الخبر المذكور ٠٠

* * *

وعرف اليوم ان السفير البريطانى قابل الملك ٠٠ وانه طلب من جلالته مغادرة القاهرة ٠٠ ولكن الى أين ؟٠٠

ثم قابل السفير النحاس باشا وطالت المقابلة أربع ساعات وانعقد بعدها مجلس الوزراء ودام الاجتماع الى الساعة الواحدة صباحا ٠٠ وسمعنا فى نفس المساء ان النحاس باشا هائج ساخط على الانجليز لانهم لم يفوا بعهودهم ووعودهم له ومنها مثلا عدم تدمير المنشآت مثل القناطر الخيرية والكبارى ومستودعات البترول ٠٠ الى آخره ٠

وكان رفعته أعلن فى الجلسة السرية التى عقدها البرلمان انه أخذ وعدا بذلك من الانجليز ولكن يبدو ان السفير مايلز لامبسون عاد وراوغ فى الوعود التى كان أعطاها ولهذا السبب هاج النحاس وثار

* * *

ومررت فى السهر بجريدة الاهرام جريا على عادتى فى الايام الاخيرة ٠٠ وبينما نحن نتحدث فى الحالة دخل أحمد الالفى عطية وقطع علينا حديثنا لكى يسألنا ٠

ــ أنا طول عمرى محسوبكم ٠٠ ترجمتها ايه باللغة الالمانية ؟٠

وضحكنا ٠٠ وقال أنه كان كتب خطابا مفتوحا الى هتلر ونشرته « الاهرام » ٠٠ وكان خطابا قليل الادب ٠٠ وانه نادم الان وهل ينفع الندم ٠٠

وكان النحاس باشا دعانى لمقابلته فى الساعة العاشرة مساء فى دار فؤاد سراج الدين بجاردن سيتى ٠٠ ولكنى لم أذهب بسبب طول اجتماع الوزراء ٠ وقد دامت الجلسة الى الساعة الاولى صباحا

وعرفنا اليوم ان ذهب مصر لا يزال فى البنك الاهلى ٠٠ مع أن النحاس باشا كان أعلن فى جلسة البرلمان ان ذهب مصر فى أيد مصرية وحراسة مصرية ٠٠

(هذا ما وجدته مسجلا فى مذكراتى ٠ ولا أذكر اليوم ماذا كنت أقصد بالبنك الاهلى ؟ هل البنك الموجود بشارع قصر النيل بالقاهرة؟٠ أم مركز البنك الاهلى القائم فى لندن ؟) ٠٠

* * *

وعرفنا كذلك ان الجنودالبريطانية هى التى تتولىحراسةالقناطر الخيرية ابتداء من اليـــوم ٠٠ لماذا ؟٠٠ لابد ان الغرض هو نسفها وتدميرها عند انسحابهم لكى يغرقوا دلتا النيل أو يحيلوها الى بحر من الوحول ٠٠

* * *

وأنقل عن مذكراتى بتاريخ ٣ يولية ١٩٤٢

كنت أنوى السفر اليوم الى رأس البر٠٠وقد أعددت فعلا حقيبتى ٠٠ ثم كلمت وزير التجارة الاستاذ محمود سليمان غنام بالتليفون وسألته عن « الحالة » فقال أنها « وحشة » وان الانجليز انما تولوا حراسة القناطر الخيرية لكى يدلوا سياراتهم التى تمر هنـــاك على الطريق ٠٠!!

لابد انه يعتقد اننى ساذج أبله حتى أصدق مثل هذا التفسير ٠٠

وكلمت زميله وزير التموين الاستاذ أحمد حمزه فقال : « الحالة وحشة » وربنا يلطف ولما سألته عنسبب حراسة الجنود للقناطـر الخيرية قال انهم يتولون حراستها لكى يقاوموا جنود « الباراشوت » ـ المظلات ـ الالمان فى حالة ما اذا حاول هذا السلاح الاســتيلاء على المنشآت المصرية ٠٠ لان جنود الجيش المصرى مشغولون الان بحفظ الامن فى الاقاليم ٠٠

ومضى الاستاذ أحمد حمزة يقول :

ـ هذا من جهة ٠ ومن جهة أخرى فانه اذا هبط جنود المظـــلات وقاومهم الجيش المصرى اشتبكت مصر فى حرب مع دولتى المحور٠٠ ولهذا السبب رأى الانجليز أن يتولوا حراســة القنــاطر الخيرية بأنفسهم ٠٠

انتهى كلام الوزير ٠٠ ومعناه ان الانجليز يشفقون من اشتباك مصر فى حرب مع ألمانيا ٠٠ ويحرصون على تجنيب مصر خطر دخول الحرب ضد ألمانيا ٠٠

ولكن من الذى يصدق هذا الكلام ؟٠٠ وهل قبل وزراؤنا هـذا السبب وصدقوه ؟٠٠

ثم كلمت فؤاد سراج الدين بالتليفون فطلب منى أن أمر عليه٠٠ ومررت عليه ودار بيننا حديث طويل الخصه فيما يأتى :

قلت له ان الملك يود أن ينحى النحاس « باشا » عن رياسة الوزارة لكي يتولاها من هو أقدر منه على التفاهم مع الالمان ولكنه يخشى أن ينتقم منه الانجليز لانه نحى « رجلهم » عن الحكم٠٠فهل فكر النحاس في تأليف وزارة قومية قادرة على مواجهة الموقف ؟ أو فكر فى التنحى من تلقاء نفسه عن الحكم لكى يفسح الطريق أمام سواه من الذين — كما يقول الملك — لم يتورطوا فى تأييد الانجليز

وقال فؤاد سراج الدين ان النحاس « باشا » يطلع الملك الان أولا بأول على تطورات الموقف وكل شيء ولا يخفى عنه شيئا ٠٠

أما الوزارة القومية فان رفعته لا يفكر فيها ولا يقبلها ولا يوافق عليها مطلقا لانه يرى أن قبوله لها يناقض ما سبق أن قاله ضدها ٠

ولقد دار البحث أمس فى اجتماع مجلس الوزراء فى دعوة الجبهة الوطنية (وهى الهيئة الممثل فيها زعماء جميع الأحزاب السياسية فى مصر وجماعة المستقلين والتى تولت المفاوضات مع انجلترا فى عام ١٩٣٦ وانتهت الى عقد المعاهدة المعروفة) ٠٠ ولكن اعترض على دعوة الجبهة المذكورة بما يأتى :

(١) فى دعوة الجبهة انتقاص من قدر ومكانة البرلمان القائم ٠لان دعوتها تعنى ان هذا البرلمان لا يمثل الامة التمثيل الكافى ٠

(٢) جميع أعضاء الجبهة الوطنية موجودون فعلا اما فى مجلس الشيوخ واما فى مجلس النواب ما عدا أربعة أو خمسة منهم اسماعيل صدقى وأحمد ماهر والنقراشى ٠ وهذان الاخيران لهما ممثلو حزبهما السعدى فى البرلمان ويستطيعون مناقشة الحكومة فى كل شيء ٠

(٣) نفرض ان البرلمان قرر أمرا ٠٠ وقررت الجبهة أمرا آخر ضده فماذا يكون الحل والرأى ؟٠٠ومضى فؤاد سراج الدين فى كلامه أو فى بيانه فقال :

ان النحاس « باشا » لن يستقيل ولن يتنحى من تلقاء نفسه عن الحكم ٠ واذا شاء الملك فليقله ٠٠ ولو أنهم جميعا يتمنون ترك الحكم

من كل قلوبهم ٠٠ أو على الاقل أن يشترك معهم سواهم فى تحمل المسئولية ٠٠ (وبدل ما نبقى ١٤ وزيرا نبقى حتى ١٤٠) ٠٠ ولقد قال محمود غنام أمس فى اجتماع مجلس الوزراء « ياريت يا اخواننا يريحونا من مسئولية الحكم ٠٠ أو حتى يعتقلونا ٠٠ »

وأما لماذا يرفض النحاس باشا أن يستقيل فذلك لانه ظل ثلاثة أعوام أى منذ قيام الحرب يطالب بالحكم للاغلبية ــ أى له وللوفديين ــ بحجة ان البلد فى ظروف حرب خطيرة وان الاغلبية هى التى يجب أن تتولى الحكم وتمسك بالدفة وتقود السفينة الى بر الامان ٠٠ فهل اذا جد الجد وحل الخطر يتنحى الربان ويترك السفينة وسط الانواء ويهرب ؟٠٠

واستطرد فؤاد سراج الدين يقول انه اذا دخل الالمان مصر فان النحاس « باشا » سوف يقول لهم أننا دولة غير محاربة ٠ وانه انما نفذ المعاهدة التى كان أمضاها منذ ست سنوات مع الانجليز وانه بذلك حفظ كلمة مصر وشرف امضائها فهو لم يفعل الا ما يفعله كل سياسى شريف ٠٠

وسوف يقول لهم كذلك انه قاوم كثيرا من المطالب الانجليزية وأبى عليهم أن يجر مصر الى الحرب مهما كانت الظروف بعكس على ماهر الذى كان يريد غداة قيام الحرب أن تعلن مصر الحرب ضد ألمانيا ٠٠ والذى وعد الانجليز بعد ذلك بدخول مصر الحرب ضد دولتى المحور « اذا توغلت قوات المحور فى الاراضى المصرية مبتدئة » ٠٠ وهذا الشرط قد تحقق وبناء عليه كانت مصر قد دخلت الحرب الان ضد دولتى المحور لو كان على ماهر بقى حتى اليوم رئيسا للوزارة

* * *

ثم قال انه متعب من العمل وانه لم يستطع أمس حضور حفلة قران شقيقه ٠٠ بسبب انهماكه فى العمل وطول جلسة مجلس الوزراء التى لم تنته الا فى الساعة الثانية صباحا ٠

ولما ذهب بعدها الى « بيت الفرح » وجد ان المصابيح قد أطفئت وكل شىء قد انتهى ٠٠

وانه ينام الان والتليفون الى جانبه ‥ لان الحالة خطيرة خالص ثم نصحنى بأن أسحب أموالى من البنوك ‥

وضحكت وقلت ان جيب « جاكتتى » يتسع لاموالى كلها وهنا قال:

ـ والله الواحد مش عارف يعمل ايه بفلوسه اللى فى البنوك ‥

فأشرت عليه بما كنت سمعته فى حجرة رئيس تحرير الاهرام انطون الجميل وهو انه يحسن بأصحاب الاموال « السائلة » أن يشتروا بأموالهم هذه أسهم شركات صناعية أو أراضى لانه اذا نجح الانجليز فى صد الالمان ارتفعت قيمة الاسهم ‥ واذا دخل الالمان مصر هبط سعر الجنيه الاسترلينى ـ والجنيه المصرى ‥ بالتبعية ـ الى الحضيض ‥ وارتفعت أسعار الاسهم بطبيعة الحال وبنسبة هذا الهبوط ·

وهز فؤاد رأسه‥وبدا عليه انه لم يفهم هذه النظريةالاقتصادية ‥ ولا أنا ‥ فهمتها ·

* * *

ألقى مستر تشرشل فى مجلس العموم خطبة طويلة نقلها البرق الى مصر ‥ حوالى منتصف الليل ‥ وكان مجلس الوزراء مجتمعا فى تلك الساعة ولكن الوزراء لم يطلعوا على الخطبة ولم يسمعوا بما جاء فيها مع ان فى غرفة سكرتيرية الدكتور محمد صلاح الدين جهازا خاصا لنقل برقيات روتر ‥

ولو ان تشرشل كان أعلن مثلا عزم بريطانيا على الانسحاب من مصر لما كان وزراؤنا سمعوا بالنبأ ‥ ولظلوا يتناقشون فى الحالة وهم فى جهل تام بما يدور ‥

وجاء فى خطبة تشرشل المذكورة :

(١) ان هذه المعركة بدأت فى يوم ٢٦ مايو ·

(٢) كان الانجليز على أتم استعداد · وكانوا ينوون البدء بالهجوم ولكن الالمان سبقوهم بأيام معدودة الى الهجوم ‥

(٣) كانت قوة سلاح الطيران أقوى من قوة سلاح الطيران الالمانى بنسبة ٨ الى ٥ وقوة دباباتهم أقوى من دبابات الالمان بنسبة ٧ الى ٥

ومع ذلك خسروا المعركة وهزموا أمام الالمان .

* * *

والنتيجة ان الالمان لم ينتصروا بسبب تفوقهم في السلاح أو في العدد .. وانما انتصروا بسبب علو الروح المعنوية عندهم .. وبفضل قيادتهم البارعة الحكيمة ..

وكانت قيادة الجيش البريطاني في يد جنرال ريتشى الذى كان يدير المعركة بالتليفون تارة من القاهرة وتارة من الاسكندرية والى جواره صديقته المصرية الحسناء !

وسمعت من الاستاذ انطون الجميل ان تدهور الروح المعنوية وانعدام النظام في صفوف جنود بريطانيا كانا بدون شك من أسباب الهزيمة وخسارة المعركة .

وقص على طرائف ومنها :

ـ نقلا عن الاستاذ توفيق دياب ـ وقد أقسم صديقنا الكاتب الكبير على صحة الرواية ـ ان بعض الفلاحين في مركز منيا القمح اشترى مدفعا رشاشا من الجنود البريطانيين .

ـ نقلا عن الاستاذ مصطفى أمين ان جنديا هنديا كان يسير في الشارع وهو يدفع أمامه فردتى « كاوتش » للسيارة وقد عرضهما على صديقنا بدولارين اثنين .

ـ نقلا عن الاستاذ حسين أبو الفتح ان بعض الضباط البريطانيين أبدى استعداده لان يورد له أى عدد يشاء من سيارات الجيش البريطاني بسعر مائتى جنيه للسيارة الواحدة ..

ـ نقلا عن الاستاذ حفنى محمود ان سيارة حربية حضرت مرة من السويس الى القاهرة لكى تشترى ورق آبر و « جلاس وجاتو » من جروبى .

ـ ان جنود البوليس الحربى البريطاني ـ أثناء طوافهم بالمحال العامة ـ طلبوا من بعض الجنود الذين كانوا يرقصون في قاعة الرقص بجروبى أن ينصرفوا الى ثكناتهم لان الساعة جاوزت التاسعة مساء ولكنهم رفضوا واستمروا في الرقص .

وكلمت حسنين باشا بالتليفون وقلت له اننى أنوى السفر الى رأس البر لاستريح فيها بضعة أيام ولكنه صرخ فى وقال انت اتجننت ولا ايه ؟٠٠

ثم نصحنى بعدم السفر الان الى أن ينجلى الموقف وقال :

ـ يظهر ان العلمين كمان سقطت فى أيدى الالمان ٠٠ والانجليز ينوون تنفيذ خطة التدمير الشامل التام ومنها نسف الكبارى وقد تقطع خطوط المواصلات فى ساعات معدودة ٠٠ فكيف تسافر يا سى محمد الى رأس البر ٠٠؟

* * *

عدلت عن السفر الى رأس البر ٠٠٠

ولما كان مسكنى فى الزمالك٠٠وقد يدمر الانجليزالكبارى وهكذا تقطع المواصلات بين الجزيرة والقاهرة فقد رأيت ان من الخطر العودة الى مسكنى ٠٠ ومن ثم ذهبت بحقائبى الى فندق فى المدينة وحجزت لى غرفة فيه ٠

* * *

مررت على جريدة الاهرام وقابلت مصطفى أمين الذى قال لى ان مستر كيرك وزير أمريكا المفوض ورجال المفوضية غادروا القاهرة٠٠ وان اشاعة سفر أمين باشا عثمان صحيحة لانه صحب أسرته الى فسطين ثم عاد اليوم ٠

وانه ـ أى مصطفى أمين ـ قابل جنرال ستون أمس وان ستون قال له ان النحاس باشا أعصابه تعبانة ٠٠

فقد اجتمع به أمس وكان معهما السفير مايلز لامبسون ومستشار السفارة سمارت ٠ وقد تكلم السفير ربع ساعة ٠ وتكلم هو ـ أى ستون خمس دقائق ـ وتكلم سمارت دقيقتين ـ أما النحاس باشا فقد تكلم ثلاث ساعات ٠

وقال جنرال ستون ان تدمير المنشآت أو عدم تدميرها مسألةتبت فيها وزارة الحرب وان القيادة هنا لا تملك حق اتخاذ قرار فيها ٠٠ ثم قال انهم اذا كانوا وعدوا النحاس باشا بشىء ما منذ يومين فان

الامور تتطور من يوم الى يوم · والوعد الذى يعطى فى ضوء حالة ما فى يوم ما قد يجوز نقضه فى ضوء حالة جديدة ··

وقال لى مصطفى أمين كذلك ان سفيرنا فى لندن حسن نشأت باشا أرسل تلغرافا يقول فيه انه نظرا لاحتمال دخول قوات المحور مصر وانقطاع الاتصال بينه وبين مصر فانه يطالب بارسال خمسين ألف جنيه لتغطية نفقات السفارة لمدة عامين ·· وقد أرسل اليـــه المبلغ المطلوب ··

* * *

وساد الذعر فى الاوساط المالية و· هرع الناس الى البنوك يسحبون أموالهم المودعة فيها ·· ويظهر ان البنك الاهلى تأثر أكثر من سواه وقد لجأ مديره الى وزير المالية ليجد له مخرجا من هذا المأزق ··

وقال لى أحد موظفى وزارة المالية ان وزيرها كامل صدقى باشا أشار على مدير البنك الاهلى ـ ولكن بصفة غير رسمية ـ ان يوعز الى بعض موظفى البنك بالانقطاع عن العمل ·· أو بالتغيب بسبب المرض ·· أو حتى بالاضراب عن العمل ·· لكى يتخذ من غيابهـــم وقلة عدد الموظفين الموجودين عذرا يبرر به عدم استطاعته صرف جميـــع المبالغ المطلوب سحبها من البنك ··

* * *

وأنقل عن مذكراتى بتاريخ السبت ٤ يولية ١٩٤٢ :

قابلت أحمد الوكيل صباح اليوم فى « جروبى » وقلت له : (قل لى بأه ايه الاخبار اللى مقالهاش مصطفى باشا للوزراء) ··؟

فقال ·· الانجليز طلبوا منه أن ينتقل معهم هو والوزارة ولكنه رفض وقال لهم انه قاعد فى البلد واللى يجرى على البلد يجرى عليه· فتضايق الانجليز منه وبدأوا معه سياسة القريفة ·

* * *

وذهبت الى مكتبى فى (آخر ساعة) فوجدت أنطون الجميـــل ينتظرنى · ورويت له ما سمعته فقال ان الخبر صحيح وان الوزراء الذين تصدوا لنفى الخبر أما انهم كاذبون واما انهم لا يعرفون الحقيقة

لان مصطفى النحاس أخفاها عنهم. والحقيقة هى ان السفير البريطانى عرض الامر بلباقة على الملك فاروق فقال له أن الخطر محتمل وان الالمان قد يدخلون مصر وفى هذه الحالة ربما فكر جلالة الملك فى الانتقال الى مكان آخر . فاذا استقر رأى جلالته على هذا فانهم ـ أى الانجليز ـ مستعدون لان يقدموا لجلالته جميع التسهيلات ويضعوا خدماتهم تحت تصرفه ولجلالته أن يختار المكان الذى يشاء .. وقد رد فاروق شاكرا ولكنه قال انه لا ينوى مغادرة مصر ..

وفاتح السفير البريطانى النحاس باشا فى نفس الموضوع فقال له النحاس .. لا .. لن تخرج الوزارة من مصر . وعلى كل حال فانها تحت أمر جلالة الملك وما يريده سوف أنفذه ..

وهو رد بارع من النحاس باشا لانه أولا أثبت ولاءه واخلاصه للملك .. وثانيا ألقى المسئولية على الملك فاروق ..

ثم تحدثنا ـ انطون الجميل وأنا ـ عمن عساه يكون (رجل الساعة) الذى يستطيع مواجهة الموقف بأخطاره واحتمالاته والذى يمكنه اعداد العدة لكل احتمال ..

وقال انطون بك انه يعتقد ان اسماعيل باشا صدقى هو أقدر الزعماء جميعا على مواجهة الموقف وانه (رجل الساعة) لانه أولا معروف بصداقته الطويلة للسياسة الانجليزية ومع الساسة الانجليز ..

ولكنه لم يتورط معهم أثناء الحرب .. ولانه ثانيا أبدى نوعا من الميل أو الصداقة لالمانيا فى بداية الحرب .. وهو ما أكسبه ثناء الاذاعة الالمانية دون أن يفقده حسن ظن الانجليز به ..

ومضى أنطون الجميل يقول انه لو كان اسماعيل صدقى على رأس الحكومة الان لاستطاع أن يجلو الموقف من كل الوجوه ولكان أرسل بصفته رئيس الحكومة المصرية رسالة الى روميل يشرح فيها موقف مصر المستقلة من هذه الحرب ومن الوجهة الدولية ثم يطلب منه أن يحدد موقفه ونوايا حكومته ـ ألمانيا ـ تجاه مصر .

وكان النحاس باشا قد صرح فى البرلمان وفى مجالسه وأمام أنصاره أكثر من مرة ان الحالة مطمئنة ثم تبين بعد ذلك ان الحالة ليست مرضية ولا هى تدعو الى الاطمئنان • وهذا من وجهة النظر الانجليزية • وظن كثيرون ان النحاس باشا كذب على الامة وخدعها وخدع البرلمان • أو على الاقل انه ضحية الانجليز الذين كذبوا عليه وخدعوه • ولكنى بت أعتقد أن الامر ليس كذلك • وان الانجليز لم يكذبوا على النحاس ولم يخدعوه •• وان الحقيقة هى أنهم أنفسهم كانوا مخدوعين ••

وهذه هى الحقيقة كما وضحت من خطبة مستر تشرشل التى قال فيها بصراحة ان السرعة الخاطفة التى زحف بها جنرال روميل أفسدت على القيادة البريطانية خططها فقد كان الانجليز يحسبون انهم بانسحابهم مسافة مائة وخمسين ميلا سوف يكسبون أسبوعين أو ثلاثة أسابيع يرتاحون فيها ويجمعون قواهم ويعيدون تنظيم قواتهم ثم يعودون ويكرون على قوات روميل ••

ولكن روميل دفع قواته وراءهم بسرعة خاطفة ولم يترك لهم يوما واحدا للراحة •• ثم فوجئوا بوجوده أمامهم عند العلمين بعد خمسة أيام فقط من بدء انسحابهم •• أى انه استطاع أن ينقل جيشه وجميع معداته وأسلحته مسافة مائة وخمسين ميلا فى خمسة أيام ؟

هذا ما أعلنه تشرشل فى خطبته ومن هنا نفهم لماذا كان الانجليز متفائلين ومطمئنين الى الحالة • ولكن تطور الموقف بسرعة زحف روميل •• قلبت خططهم واطمئنانهم رأسا على عقب ••وهنا اضطروا أن يطلعوا النحاس باشا على الحقيقة أو على جانب منها وأن يصارحوه بأن الحالة ليست مرضية ولا تدعو الى الاطمئنان •• وان الخطر المحتمل هو دخول قوات المحور الاراضى المصرية وكانت نقطة التحول من الاطمئنان الى القلق هى طلبهم من النحاس الخروج معهم هو ووزرائه ••

وقد لاحظ كثيرون انه بينما جميع طبقات الشعب حتى أولئك الذين عرفوا بميولهم نحو المحور ـ ألمانيا وايطاليا ـ فى حالة فزع

وقلق من المستقبل المجهول ٠٠ ومن الاخطار التى سوف تتعرض لها مصر فى فترة الانتقال من احتلال بريطانى الى احتلال ألمانى ايطالى٠

ومن انسحاب جيوش مدحورة ودخول جيوش ظافرة ٠٠فان بعض المواطنين الشرقيين فرحـون لا يخفون سرورهم ٠٠ وسر فرحهم ان الفرصة قد حانت أخيرا للتخلص من منافسيهم فى أســواق المال والتجارة والسمسرة فى البورصة ٠٠ وهم اليهود ٠٠

ولقد استغل هؤلاء الشرقيون نفسية الذعر والهلع التى أصـبح فيها اليهود واشتروا منهم بضائع كثيرة بأسعار لا تزيد كثيرا عـلى سعر التراب ٠٠ وبعد أن كانت أسعار بضائع كثـيرة بدأت تهبط بسبب كثرة البضائع التى أخرجها اليهود من مخازنهم وطرحوها فى السوق عادت الاسعار وارتفعت من جديد بعد أن انتقلت هذه البضائع الى أيدى اخواننا الشرقيين هؤلاء ٠

أما المصريون أبناء البلد فقد أضاعوا الفرصة وأمضوا الوقت فى تبادل الاخبار والاشاعات والنكات على حساب الانجليز تارة٠٠وتارة على حساب الالمان ٠٠

وفى المساء قابلت مصطفى أمين فى جريدة الاهرام ودار الحديث عما عسى أن يحدث للوزارة اذا دخل الالمان مصر ٠٠

وقلت ان النحاس باشا يرفض أن يستقيل لانه يعد استقالته الآن فرارا من الميدان ٠٠ وان الملك لا يريد أن يأخذ على نفسه مسئولية اقالة النحاس باشـا لانه يخشى الانجليز فى حالة ما اذا نجحوا فى وقف زحف الالمـان وردوهم عن مصر ٠٠ كذلك لا أظن ان الملك فى حالة دخول الالمان سوف يختار من تلقاء نفسه على ماهر باشا رئيسا للوزارة لانه سوف يؤيد بهذا الاختيار صحة ما شاع عنه وهو انه ــ فاروق ــ ضالع مع الايطاليين والالمانيين ٠٠ وقد يحاسبه الانجليز على هذا اذا قدر لهم النصر وعادوا وطردوا الالمان من مصر ٠٠ ولهــذه الاسباب كلها أصبحت أرى رأى انطون الجميل وهو ان الملك سوف يختار اسماعيل صدقى رئيسا للوزارة بعد دخول الالمان ٠٠

ولكن مصطفى أمين لم يوافقنى على هذا الرأى ٠ وقال ــ بل اكد

٠٠ أن على ماهر هو رئيس الوزارة القادمة وأن الأمر متفق عليه منذ أسابيع وان التصريح المشترك الذى أذاعته سلطات الاذاعة فى برلين وروما وبارى وأعلنت فيه ان قوات المحور ـ ألمانيا وايطاليا ـ التى تدخل مصر سوف تدخل لكى تحرر مصر من استعمار بريطانيا وتعطينا استقلالنا كاملا وانه ليس عند ألمانيا أو ايطاليا أية نية للانتقاص من استقلالنا ٠٠

وقال مصطفى أمين ان هذا التصريح الذى اشتركت فى صياغته واعلانه حكومتا ألمانيا وايطاليا قد تم بفضل مساعى مراد سيد أحمد باشا الصديق الحميم لعلى ماهر باشا والذى يقيم منذ بداية الحرب فى مدينة جنيف فى سويسرا (وكان سعادته وزيرا مفوضا لمصر فى روما عند اعلان الحرب وقد طلبت منه الحكومة أن يعود الى مصر ولكنه رفض العودة وآثر أن يقيم فى أوروبا متنقلا بين ايطاليا وسويسرا وألمانيا ٠٠٠)

ثم قال مصطفى أمين ان على ماهر باشا ثائر هائج فى المعتقل وانه يقول انه عندما يتولى الحكم سوف يشنق مصطفى النحاس ٠٠ وفى هذا يقول ٠٠ (ولن أحاكمه أمام محكمة عسكرية بل سوف أحاكمه أمام محكمة مشكلة من مستشارى النقض والابرام ٠٠وتهمته الخيانة العظمى) ٠٠ ثم يصرخ ـ وكان رفعته مريضا بأسنانه ـ يصرخ (أسنانى ٠٠ أسنانى يا عالم ٠٠ بس ابن ٠٠ حابسنى ليه) ٠

* * *

وكان فريق من الرأى العام يعطف يومئذ على على ماهر باشا ويعد اعتقاله عملا غير قانونى ٠٠ وان النحاس باشا اعتقله نزولا على ارادة الانجليز ٠

والواقع ان السلطات البريطانية كانت طلبت من كل حكومة مصرية تولت الحكم بعد يونيه ١٩٤٠ اعتقال على ماهر باشا ٠٠٠ بسبب ميوله المحورية ونشاطه ونشاط بعض أصدقائه العدائى ضد الحلفاء ٠٠٠ وقد تقدمت بهذا الطلب فى وزارة حسن صبرى باشا ٠٠٠ وفى وزارة حسين سرى باشا ٠٠٠ ولكن حسن صبرى وحسين سرى رفضا أن

يعتقلا على ماهر ·· واستطاع الاثنان فى كل مرة أن يسـويا الأمر وأن يقنعا على ماهر باشا بمغادرة القاهرة والاقامة فى قصره الاخضر فى الريف ···ولكن رفعته كان يعود دائما الى القاهرة بعد بضعة أيام أو بضعة أسابيع ···

أما صديقـه اللواء صالح حرب باشا فقد عمل بنصيحة الحكومه وترك القاهرة وأقام فى أسوان ·

* * *

زرت حسنين باشا فى داره · وبدأت الحديث فقلت اما أن الوزراء يكذبون · واما أن النحـاس باشا لا يطلعهم على الحقـائق وذلك أن اثنين منهم أكدا لى أنه ليس صحيحا أن الانجليز طلبوا من النحاس باشا انتقال الوزارة معهم الى بلد آخر بينما سمعت من مصدر موثوق به صدق أخباره أن الخبر صحيح ·· فما هى الحقيقة ؟

وقال حسنين باشا ان الخبر صحيح · وقص على تفاصيل كثيرة ومنها الحديث الذى دار بين الملك فاروق والسفير البريطانى مايلز لامبسون فى هذا الموضوع وكيف أن فاروق رفض أن يغادر الاراضى المصرية ··· الخ ·

ومضى حسنين يقول ··

ــ ولما عرض النحاس باشا الموضوع على الملك قال أولا أنه رفض طلب الانجليز وانه قال للسفير ان الوزارة لن تغـادر مصر وانهـم « قاعدين » مهمـا حدث ·· ثم عاد وقال ثانيا ·· (وعلى كل حال لا أريد ان أؤثر على جلالتكم أقل تأثير فيما اذا رأيتم رأيا آخر) ··

وتساءل حسنين ما معنى هذا ·· ثم اليس النحاس باشا رئيس الحكومة وكبير مستشارى الملك ومن واجبه أن يقول رأيه صريحـا واضحا فى مثل هذه المواقف الخطيرة ·· فما معنى تردده وتراجعه·· مع انه سبق الاتفـاق مع « رفعته » على عدم خروج الملك والوزارة من مصر؟ ·· اللهم الا أن يكون رفعته يريد جس نبض الملك و(توقيعه) ليرى هل هو لا يزال مصمما حقيقة على البقاء فى مصر أو هو يفكر فى الهرب من الانجليز ومغادرة مصر سرا الى بلد آخر ·· ولمصلحة من هذا المكر من جانب النحاس باشا ؟ ··

وهنا قلت لحسنين باشا ·· اننى لم أفهم أين هو (مكر) النحاس باشا ؟

وازداد حسنين حدة وانفعالا وقال ··

ـ المكر ياسى محمد فى قوله للملك أنه لا يريد أن يؤثر عليه فى حالة ما اذا كان له رأى آخر ·· يعنى ياجلالة الملك أنا زى أبوك ·· قل لىولا تخبيش على ··· اذا كنت عايز تهرب من الانجليز وتخرج من البلد قل لى وأنا أساعدك ·· أهو ده المـكر ياسيـدى ·· عاوز يعرف علشان يجرى للانجليز ويقول لهم الحقوا ·· الملك فاروق راح يهرب من مصر ··

وأنكرت على حسنين باشا رأيه هذا فى النحاس باشا وقلت له··

ـ مش للدرجة دى ياباشا حرام عليك ··

وقال ·· حرام على ؟ يظهر انك عبيط ·· ان النحاس باشا أصبح اليوم فى قبضة الانجليز تماما ·· ولقد قاوم فى أول الامر شيئا ما ولكنه انتهى بالاستسلام لهم استسلاما تاما والفضل فى ذلك لامين عثمان باشا ··

ثم قال حسنين ··

ـ حـدث مرة فى احدى جلسات مجلس الوزراء وكانت المعـارك الحربية بدأت تتطور من سىء الى أسوأ أن قال النحاس باشا للوزراء (يظهر أن الانجليز ينوون عمل « شىء خفيف من التدمير » وصرخ الوزراء وصاحوا فى وجهه كيف ؟ ·· وهنا تراجع رفعته وقال ده اللى فهمه وجايز يكون غلطان · لكن الوزراء قالوا له (لازم تستدعى بكرة السفير والجنرال ستون وتناقشهما وتأخـذ منهما وعدا صريحا بعدم تدمير أى شىء)

واستطرد حسنين يقول ··

ـ وكان فى وسع النحـاس باشا أن يذهب الى البرلمان ويواجهه بالحقيقة ويطلعه على كل ما يعرفه عن نوايا الانجليز ·· أو على الاقل لا يكمم البرلمـان ولا يخدعه ولا يضلله بالاكاذيب بل يتركه يتكلم ويثور ويحتج ·· ويتخذ من ثورة البرلمان سندا له يستند اليه فى

أحاديثه ومفاوضاته مع السلطات البريطانية فيقول لها مثلا أن البرلمان وهو من أنصار الوفديين ـ هائج ثائر ضده فكيف يحكم ونفس أنصاره وشيوخه ونوابه ثائرون ضده ٠٠ وكان فى وسعه أن يطلب منهم ضمانات مطمئنة يواجه بها البرلمان ويهدء بها من ثورة البرلمان٠٠ ولكن رفعته لم يفعل بل فعل العكس فقد ذهب الى البرلمان وألقى بتصريحات مطمئنة وهو يعلم أنها غير صحيحة ٠٠ وان الانجليز ينوون تنفيذ خطة التدمير التام ٠٠ وعلى أساس هذه التصريحات الكاذبة المطمئنة نال رفعته ثقة البرلمان بينما كانت المصلحة كل المصلحة هى فى أن يخرج من البرلمان مدحورا لكى يستطيع أن يوقف الانجليز عند حدهم ٠٠ ولكن يظهر أن أمين عثمان سحر النحاس وخدره تماما وأصبح يفعل به ما يشاء ٠

ثم قال حسنين أن بين ما ينوى الانجليز عمله ـ عند انسحابهم ـ اطلاق الماء المالح فى ترعة المحمودية لكى تغرق جميع الاراضى الزراعية الواقعة على ضفتيها ٠ وهذه العملية اذا أريد اصلاح الضرر الناشىء عنها تكلف مصر أربعين مليونا من الجنيهات ٠

ووصف حسنين باشا مقابلة له مع النحاس وروى الحديث الذى دار بينهما ٠ قال ٠٠

ـ قال النحاس باشا ان الانجليز خانوه وكذبوا عليه وحنثوا فى عهودهم معه ٠ وأردت أن أستدرجه فى الحديث فقلت له اننى أستبعد يارفعة الباشا صحة هذه الاشاعات ٠ وان فى نية الانجليز تدمير كذا وكيت ٠٠ ولكنه صاح فى وجهى (بل هى الحقيقة ياحسنين باشا ٠٠ التدمير التام والخراب التام ٠٠)

فقلت له ٠٠ سوف نسجل احتجاجنا ٠٠

ثم سألته ـ وبعدين ؟

قال ٠٠ وبعدها يفعل الله بنا ما يشاء ٠

★ ★ ★

واتهم حسنين باشا وزير الاشغال عثمان محرم بأنه أمر رجاله سرا بمساعدة الانجليز فى تنفيذ خططهم ؟

ثم قال حسنين انه لم يأت يوم على مصر كانت فيه محتلة احتلالا تاما كما هى الآن • فقد كان الانجليز يحاولون منذ شهور الحصول على نصيب فى حق حراسة بعض الطرق والمنشآت ولكن طلباتهم فى هذا الشأن كانت ترفض دائما •• ولكنهم الآن وبموافقة النحاس باشا قد تغلغلوا فى صميم الريف وأصبح كل شىء فى مصر فى قبضة يدهم فاذا أزفت الساعة التى يتبينون فيها انهم خسروا المعركة فانهم سوف يدمرون كل شىء •• وكل شىء الآن تحت أيديهم وفى حراستهم •• وليس لمصر يومئذ أن تعترض لانهم سوف يقولون أن ما تم قد تم بالاتفاق مع رئيس الحكومة •

وقال حسنين انه تحدث مع بعض أصدقائه من الانجليز فى هذا الموضوع فقال لهم (ثقوا اذا دمرتم كل هذا فسوف أكون أنا أول من يهب لقتالكم لانكم تكونون قد خربتم بلدى خرابا تاما • واذا دخل الالمان مصر فسوف يهرع كل مصرى لاستقبالهم • وليطلب منهم أن يسمحوا له بالقتال فى صفوفهم ضدكم انتم الذين دمرتم بلده •• واذا قدر لكم أن تعودوا الى مصر فسوف يهب المصريون لصدكم وقتالكم) •

ومضى حسنين يقول انه اذا نفذ الانجليز خططهم فان النتيجة هى خراب الدلتا أى الوجه البحرى • ولقد قال لهم قائد من خيرة قواد الجيش الفرنسى وهو الجنرال كاترو ان كل ما يهمهم فى مصر هو قناة السويس •• وان خط الدفاع عن قناة السويس ليس فى الصحراء • بل على ضفاف النيل وفى الدلتا •• ذلك لان الدلتا تعد من الوجهة الحربية هبة لا تقدر للقائد الذى يدافع عنها اذ انها بعشرات القنوات والمصارف التى تشقها وتخترقها طولا وعرضا •• وبارضها الهشة الطرية وبقناطرها التى يمكن تدميرها عند الحاجة •• تعطل وتعوق سير الجيش الذى يهاجم ويحاول التقدم •• وهكذا تصبح الدلتا ميدانا للمعارك •• ويحل الخراب وويلات الحرب من كر وفر بكل بلدة وكل قرية فيها ••

وهنا قلت لحسنين باشا ••

ـ اذن ليس هناك أمل الا فى ثورة تنفجر فى البرلمان ويقوم معها الشعب فيضطر النحاس باشا والانجليز أن يتمهلوا ويراجعوا موقفهم ويترددوا فى هذه الخطة ·

قال ·· ربما كان هذا ممكنا منذ عشرة أيام قبل أن يضع الانجليز أيديهم على كل شيء ·· كان هناك أمل فى أن يتمهل الانجليز وأن يحجموا عن التدمير أو لو أن الجيش المصرى كان هو الذى تولى حراسة المنشآت ··· لأن الانجليز كانوا يفكرون ساعتها طويلا قبل تدمير هذه المنشآت والمجازفة بوقوع تصادم بينهم وبين الجيش المصرى · أما الآن فقد ضاعت الفرصة ولم يبق هناك ما يخشاه الانجليز لانهم هم الذين يحرسون ويتحكمون فى جميع المنشآت ···

وقال حسنين :

ـ لقد قال لى النحاس باشا أثناء حديثى معه ··· (تصور ياحسنين باشا ان الانجليز عاويزين يدافعوا عن القاهرة ·· من النوافذ والبلكونات والسطوح ·· بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية ·· وأنا قلت لهم : وفايدة ده ايه ؟ ··

وتنهد حسنين وهو يقول ··

ـ اذا قدر لك أن تكتب يوما عن هذه الايام فاكتب وقل ان شيوخ البلد ونوابها قيل لهم أن هناك خطرا يهدد بيوتهم بالحرق ويهدد أراضيهم بالغرق ويهدد ريف مصر وقرى مصر بالدمار ·· ولكنهم سكتوا خوفا على الاربعين جنيها التى تصرف لهم من البرلمان ··

ووقفت أتهيأ للخروج · وهنا سألنى حسنين باشا وهو يسير معى الى الباب :

ـ هل تظن أن هناك خطرا على الملك ·· أن يأخذه الانجليز معهم رغم أنفه ؟ ··

قلت ·· لا أظن أن الغباوة تصل الى هذا الحد بهم ·· ثم ما الفائدة التى تعود عليهم ؟ ··

قال ·· ليس الخطر فى انه ملك ·· ولكن الخطر فى أن مصر وملكها لهما مكانة فى العالم العربى والعالم الاسلامى وقد يخشى الانجليز

من أن يستغل الالمـان هـذه المكانة ويبنوا عليها دعاية واسعة فى مصلحتهم وضد الانجليز ٠٠ ولهذا قد يفكر الانجليز فى أن يأخذوا الملك معهم٠٠ولو بالقوة لا ليفيدوا منه ولكن لكى يحرموا الالمان منه٠٠ ومن استغلاله فى دعايتهم ٠٠

* * *

وانقل من مذكراتى بتاريخ ٦ يوليه ١٩٤٢

عقد مجلس النواب جلسة سرية ٠ وبعد انفضاضها اجتمع الوفد وأصدر قرارا بفصل مكرم «باشا» وراغب حنا «بك» من الوفد ومن الهيئة الوفدية ٠

وقال لى فؤاد سراج الدين انه قرار حكيم وعادل وان الرأى العام يؤيده بل كان يطالب به ٠٠ وان المعارضة نفسها استهجنت موقف مكرم عبيد باشا فبينما الحرب على أبواب مصر والحالة تزداد خطورة ساعة بعـد ساعة ٠٠ والمعارضة نفسها تنسى خلافاتها مع الوزارة وتؤيدها فى موقفها فى الدفاع عن البلاد ٠٠ يقف مكرم «باشا» فى مجلس النواب يطلب المناقشة فى الاستثناءات وفى سوء استعمال سيارات الحكومة ويقول انأسبوع البر (مشروع زينب هانم الوكيل) ضريبة منغير قانون ٠٠ثم يتهم الوزارة بالتفريط فىحقوقالبلاد ٠٠

* * *

عن مذكراتى بتاريخ الثلاثاء ٧ يوليه ١٩٤٢

قابلت فى جريدة الاهرام الاستاذ عبد الحميـد عبـد الحق وزير الشئون الاجتماعية ٠ وعند انصرافنا دعانى للركوب معه فى سيارته لانه يريد أن يحدثنى فى أمر ما ٠

ولقد تحدث عن حيرته وأى موقف ينبغى له أن يتخذ بين صديقه القديم مكرم عبيد وبين زعيمه ورئيسه مصطفى النحاس ؟

وأفاض طويلا فى الحديث عن صداقته القوية لمكرم عبيد وكيف أن ضميره غير مستريح وقال أن كثيرين كانوا ينتظرون منه أن يقف بجانب مكرم عبيد باشا وأن يؤيده ضد النحاس ولكنه اختار موقف الحياد بين الاثنين ٠٠ ودلل على حياده بأنه منـذ خروج مـكرم من

الوزارة لم يزر النحاس باشا فى داره أو فى مكتبه وانه اعتذر عن عدم حضور جميع الحفلات التى قامها الشيوخ والنواب للنحاس باشا وذلك لكيلا يسمع طعنا أو سبابا فى صديقه مكرم عبيد ..

... وانه انقطع كذلك عن زيارة مكرم باشا حتى لا يسمع أى طعن أو سباب فى مصطفى النحاس ..

... وانه منصرف الآن الى تأدية عمله كوزير ليس الا ولا شأن له بالخلاف وأسباب الخلاف بين النحاس ومكرم .

ثم سألنى هل أنصح له بالاستقالة من الوزارة ؟

قلت .. كلا ...

ثم سألته .. ايه فائدة بل أى معنى يكون لاستقالتك ؟ هل تريد أن تستقيل تضامنا مع مكرم باشا ولأنه خــرج من الوزارة ومن الوفد ؟ ... ولكنك قبلت أن تدخل الوزارة بعد أن خرج منها مكرم عبيد ... ثم انت دخلت الوزارة وانت تدرك تماما خطورة الخلاف بين النحاس ومكرم وأن الانفجار لابد أن يقع .. ومع ذلك قبلت المنصب ودخلت الوزارة وقبولك معنــاه انك كنت تنوى البقاء مــع مصطفى النحاس حتى ولو خرج مكرم عبيد .. واذا استقلت اليوم فان الناس ستقول انك دخلت الوزارة لكى تحصل على لقب (وزير سابق) ثم تخرج منها فيأول فرصة..وهذ مالا يرضاه أصدقاؤك . ونصيحتى أن تبقى فى الوزارة تؤدى ــ كمــا قلت ــ عملك كوزير ليس الا .. ثم ان للنحاس باشا حقا عليك فقد وثق بك واختارك وزيرا معه وانت قبلت فلا « تخلو » به هكذا ...

قال ... أنت غلطان فالنحاس باشا لا يحبنى .. وهو أدخلنى الوزارة لكى يبعدنى عن مكرم .

سألته .. ولماذا قبلت المنصب اذن ما دام هذا هو رأيك ؟ ..

قال بعد تردد ... وبابتسامة باهتة فيها استحياء ..

ــ الحقيقة اننى لم أكن أريد دخول الوزارة ولكن بعض من يهمنى أمرهم من أقرب الناس الى ألحــوا على بقبول المنصب لانهم يريدون أن يرونى وزيرا ..

وقال الاستاذ عبدالحميد عبدالحق انه لايستطيع كسب ثقة أو حب النحاس باشا لان النحاس باشا يحب التملق وهو ـ عبد الحميد ـ يكره أن يتملق أحدا ٠٠ ثم قال ان صبرى أبو علم ومحمود غنام يزوران النحاس باشا دائما ويتملقانه ومن هنا استطاعا أن يكسبا ثقته وحبه ٠٠

ثم قال ان صبرى أبو علم لا يجيد الخطابة كما يجيدها هو ٠٠ وان فؤاد سراج الدين لا يعرف كيف يتكلم ٠٠ ومثله محمود غنام ؟ أما هو ـ عبد الحميد عبد الحق ـ فانه برلمانى متمرن كما أثبت فى مجلس النواب أيام كان زعيما للمعارضة (ما بين ١٩٣٨ و١٩٤٢) وان فى امكانه أن يعرض فى البرلمان وجهات نظر الوزارة على أفضل وجه ولكنه مضرب عن هذا اكراما لخاطر مكرم باشا ٠٠ كما أنه تغيب عمدا عن حضور جلسات البرلمان التى كان يتوقع فيها اصطداما بين النحاس ومكرم ٠

وأوصلنى بسيارته الى مسكنى ٠ وقال وأنا أغادر السيارة :

ـ فكر كمان وابقى قل لى أعمل أيه ؟ ٠٠

ويظهر أن النحاس باشا أصبح يخاف أو يغار على رجاله من الملك فاروق ٠ فقد قابلت (رفعته) اليوم فى مكتبه برياسة مجلس الوزراء لكى أشكو اليه من عنت الرقابة ٠٠ وقبل أن أدخل عليه جلس معى الاستاذ ابراهيم فرج وتحدثت اليه فى موضوع الرقابة وكيف أن بين الاخبار التى منعت الرقابة نشرها خبرا عن (عطف جلالة الملك على وزير التجارة الاستاذ محمود غنام) ٠٠٠

وهنا ابتسم ابراهيم فرج وقال ان النحاس باشا نفسه هو الذى أمر بمنع نشر الخبر المذكور

وأبديت دهشتى وسألته لماذا ؟ ٠

وتردد طويلا ثم قال كلاما ملفوفا غامضا ولكنى فهمت منه أن النحاس باشا غير راض تماما عن محمود غنام وألححت على ابراهيم فرج أن يطلعنى على السبب ٠

وأخيرا قال انه لما ذهب محمود غنام وقابل الملك فاروق ليرفع اليه

فروض الشكر على تعيينه وكيلا لوزارة الداخلية استبقاه الملك فى حضرته ثلاثة أرباع الساعة ‥ وذكرت الصحف أن الاستاذ غنام كان موضع عطف المليك ‥

وسكت ‥

قلت ‥ وماذا فى هذا ؟

قال ‥ ان مصطفى النحاس أصبح يشك فى كل شيء ويتوجس شرا من كل شيء بعد خلافه مع مكرم باشا ‥ وما قيل وما نشر يومئذ عن عطفه على مكرم باشا ثم ما حدث بعد ذلك وكيف كتب مكرم باشا فى الاهرام مقالا رفع فيه الملك الى السماء ‥

ولهذا السبب أصبح مصطفى باشا يخاف من تأثير هذا العطف الملكى على رجاله ‥ وهو لا يريد أن يخسر محمود غنام كما خسر من قبله مكرم عبيد ٠

وضحك الاستاذ ابراهيم فرج وضحكت معه ‥

ولكن النحاس باشا عاد بعد ذلك وعين محمود غنام وزيرا للتجارة ‥ لا حبا ولا ثقة فيه ‥ ولكن لكى يبعده عن مكرم عبيد ‥

تماما كما فعل مع عبد الحميد عبد الحق ‥

* * *

قابلت فى ميدان سليمان باشا مستر نابيير الملحق بادارة النشر والصحافة بالسفارة البريطانية وبعد تبادل التحية انطلق يتكلم ضد النحاس باشا وزينب هانم بنفس اللهجة التى يتكلم بها واحد من خصوم الوفد ‥ وأفاض فى الحديث عن فضائح أقارب النحاس وأصهاره واستغلالهم لنفوذه فى الحصول على امتيازات وعقد صفقات ثم قال ‥

ـ لماذا لا يشلح الوفديون النحاس باشا من زعامة الوفد ؟ ولماذا لا يعود أحمد ماهر وأصحابه الى الوفد وينتخبون أحمد ماهر رئيسا للوفد ‥

ثم قال انه يسلم بأن مكرم عبيد لا يستطيع أن يجمع حوله كلمة الأمة ولكن أحمد ماهر يستطيع وأن النحاس باشا أخذ يفقد نفوذه

وسألته هل هذا هو رأيه الشخصى أو رأى السفارة ..
ونظر الىطويلا ثم هز كتفيه .. وسار فىطريقه .. وأثناء حديثه معى كانت رائحة الخمر تفوح من فمه ..

* * *

كلمت فؤاد باشا سراج الدين بالتليفون وقلت له اننى أسافر اليوم الى رأس البر ورجوته اذا تطور الموقف الى أسوأ وأصبحت الحالة خطيرة حقيقة أو خيف منتدمير المواصلات أنيكلمنى بالتليفون فى رأس البر .

ولكنه قال .. لا . بلاش الكلام فى التليفون سوف أرسل لك فى هذه الحالة تلغرافا بامضاء جميل أقول لك فيه (احضر حالا بسبب القضية) وانت تفهم ..

وسافرت بالسيارة الى رأس البر .

(نقلا عن مذكراتى بتاريخ الاثنين ٢٠ يوليه)

كنت كلمت حسنين باشا بالتليفون من رأس البر لكى أسأله عن تطورات الموقف وسألنى هو متى أعود الى القاهرة وفهمت من لهجته أن عنده شيئا يريد أن يقوله لى وعدت أمس من رأس البر وكلمته بالتليفون صباح اليوم فدعانى لمقابلته فورا ..

وقابلته فى داره وبقيت معه نحو ساعة .

بدأ حديثه معى بالانجليزية بسبب وجود أحد الخدم معنا فى حجرة الاستقبالفقالما معناه أن الانجليز قد لعبوا أوراقهمبمهارة.. وعرفوا كيف يلعبونها ..

ثم مضى يقول انهم لميكونوا يستطيعون أنيحصلوا من أى رئيس وزارة مهما كان ضالعا معهم على أكثر مما حصلوا عليه من مصطفى النحاس . وتبدو مهارتهم فى انهم حصلوا من النحاس باشا على كل ما يريدون وفى نفس الوقت جعلوه يعتقد أنه هو الذى « دحلبهم » ومكر بهم وحصلمنهم علىما يريد .. أو علىالاقل لم يعطهم شيئا ..

واستطرد حسنين يقول ..

ــ وهكذا اذا قدر لهم أن ينتصروا على الالمان فانهم سوف يمكنهم

أن يقسموا للنحاس بالطلاق (كذا) على أنهم لم يفكروا أبدا فى القيام بأى تدمير بوادى النيل ٠ ما اذا قدرت عليهم الهزيمة فانهم سوف يكونون فى حل من تدمير كل ما يريدون بحجة الضرورات العسكرية وكذلك بحجة انهم قد اتفقوا على ذلك مع رئيس الحكومة مصطفى النحاس ٠٠ أو على الاقل بحجة انهم لم يعدوه بشىء مخالف أى لم يتفقوا معه على عدم التدمير ٠٠

ويومها سوف يقول النحاس أن الانجليز قد خانوا كلمتهم معه وحنثوا بوعدهم له ٠٠ ولكن ما الفائدة ؟

ثم مضى يقول، ٠٠

ـ ولقد كان المفهوم أن دفاعهم ينتهى عند العلمين أى عند الحدود. ولكنهم استطاعوا أن « يجرجروا » النحاس الى الحديث فى الدفاع عن الاسكندرية والقاهرة والدلتا وقناة السويس ٠٠ وهذا هو الخطر وهنا بدت مهارتهم ٠٠ ثم قال ٠٠

ـ ولم يفاتحوا الملك مرة أخرى فى أمر مغادرة البلاد ٠ ولكن مادام فى نيتهم الدفاع عن القاهرة ورفض الموافقة على اعلانها مدينة مفتوحة فانه سوف يكفى أن تسقط قنبلة ألمانية فى ميدان عابدين أو على مقربة من قصر القبة لكى يقولوا يومئذ للملك ـ ومعهم حق ـ ان هناك خطرا على (حياته الغالية) فيجب أن يبتعد عن موطن الخطر ٠٠ أى عن القاهرة ٠ وسوف يشتركون معه فى اختيار المكان الآمن الذى يحسن به أن يلجأ اليه ٠

ثم قال حسنين وهو يضحك ٠٠

ـ وفى يوم ٢ يوليه كانت العلمين على وشك السقوط فى أيدى الالمان ٠٠ بل لقد أذاع الالمان يومها انهم اخترقوا الخطوط وانهم يطاردون الانجليز فى اتجاه دلتا النيل ٠٠ ويومها كاد النحاس يوشك أن يغمى عليه ولكن الله سلم (وعبارة يغمى عليه من عندى أنا أما العبارة المدونة فى مذكراتي والتى استعملها المرحوم حسنين باشا فى حديثه فان الحياء يحول دون نشرها) ٠

واستمر حسنين يقول وهو لا يزال يضحك ٠٠

ـ ست ساعات فقط وكان النحاس (أغمى عنيه) ولكن الله سلم فقد قال له الانجليز فى المساء ان الحالة خطرة جدا ولكنه تجلد طول الليل وتماسك ... فلما أصبح الصباح قالوا له ان الحالةأقل خطورة نوعا ما .. فاطمأن ولم (يغم عليه) .. ولكنه أطلق لسانه يومها فى الانجليز فقال انهم كذبوا عليه وأخفوا حقيقة الحالة .. وظـل لسانه ملفوتا ضدهم الى أن عاد أمين عثمان من فلسطين وكان سافر اليها مع زوجتــه التى تركها هناك .. وبعودة أمين عثمان عاد نفوذ الانجليز من جديد على رفعة النحــاس باشا .. الذى عاد واطمــأن واستكان الى الانجليز .

ثم قال حسنين ان تصرفات الانجليز لا تبعث على الاطمئنــان والا لو كانوا واثقين من قوة مراكزهم وخطوط دفاعهم فى العلمين فلماذا طلبوا اخلاء الاسكندرية ؟ .. واخلاؤها سوف يتم قريبا ..

ثم قال ..

ـ لقد سمعت من أحد كبار ضباطهم وكان صديقا وزميلا لى أيام الدراسة فى اكسفورد ان عندهم أوامر سرية تقضى بترحيل جميع البريطانيين المدنيين وخروجهم فورا من الاسكندرية والقاهرة متى وصــل الالمان الى نقطة معينــة لم يذكرها لى طبعا صديقى الضابط المذكور .

ثم قال ..

ـ وقد قابلنى هذا الضابط منذ ثلاثة أيام وقال لى (وأنا أترجم هنا عن الانجليزية) .. (راقب الموقف بدقة وامعان أثنــاء العشرة أو الخمسة عشر يوما القادمة .. فقد يحدث شىء ما فجأة ويجب أن تكون مستعدا) .

ومضى حسنين يقول ..

ـ ان الانجليز تلقوا امدادات من الطائرات ومن الاسلحة الاخرى بقدر كاف لا بأس به .. ماعدا الدبابات وهذا هو السبب فى عجزهم عن القيام بأى هجوم وكان أحد ضباطهم قال لى يوم اشتداد الخطر على العلمين (فى ٢ يوليه) انه اذا استطاع الجيش الثامن البريطانى

أن يصمد أسبوعا واحدا فانهم سوف يكرون بعد ذلك ويشنون هجوما على الالمان .. ولقد مر أسبوع وأسبوعان ودخلنا فى الاسبوع الثالث ولم يهجموا .. فما السبب الا انهم غير مستعدين !

* * *

وبعد ...

هذه هى الايام الخطيرة المليئة بالاحداث والاحتمالات التى مرت بمصر فى صيف عام ١٩٤٢ وأحسب اننى وفيتهـا حقها من الوصف .. وأعطيت صـورة صادقة لحـالة الفوضى والذعر التى تخبطت فيهـا الوزارة القائمة بالحكم يومئذ ..

ولقد تمت المعجزة واستطاع الجيش الثامن أن يصمد أمام الالمان خلال بقية الصيف .. ثم شن مونتجمرى فى الخريف (اكتوبر ـ نوفمبر) وحصل الحلفاء عـلى أول انتصار لهم ذى قيمـة فى الحرب العالمية الاخيرة .

ويومئذ ـ ولأول مرة ـ أمر ونستون تشرشـل رئيس الوزارة البريطانية بأن تقرع كنائس انجلترا وسكوتلانده أجراسها احتفالا بهذا النصر العظيم ..

ويعد المؤرخون معركة العلمين نقطة التحول فى الحرب الاخيرة .. تحـول النصر والحظ من الالمـان الى الانجليـز وحلفـائهم الروس والامريكان .



حرب الدعاية

انتهت الحرب فى أوروبا فى ٨ مايو ١٩٤٥ ، وكنت يومئـذ فى أنقره (تركيا) · وعدت الى مصر ثم غادرتها فى يوم ٣ نوفمبر ١٩٤٦ الى أوروبا وزرت فرنسا وايطاليـا وسويسرا والنمسـا وألمانيـا · وطالت رحلتى هذه نحو تسعة شهور وفى باريس فى شهر نوفمبر سنة ١٩٤٦ تناولت العشاء مع صديقة قديمة وهى طبيبة فرنسية من أصـل برازيلى وزوجهـا الموسيقار وهو فرنسى الجنسية أسبانى الأصل ··

وقد تناولت العشاء فى مطعم أسبانى كان أفتتح حديثا فى شارع فيكتور هيجو (باريس) ··· واسم المطعم « ايبريا » وهو فى حجم بطاقة البريد ·· وأما بار المطعم ففى حجم طـابع البريد ·· وفى المطعم المذكور نحو عشر موائد ليس الا ·· وفى صدره منصة مرتفعة بضعة أقدام وهى المسرح ومساحته مع المبالغة متران فى متر ··

ومن هنا فان مطعم « ايبريا » لا يتسع الا لعدد محدود جدا من الزبائن هواة الطعام الاسبانى والرقص الاسبانى ·

ومن هنا كذلك كانت أسعار الطعام فيه تبلغ ثلاث أضعاف أمثالها فى أى مطعم آخر فى باريس وأصحاب المطعم فريق من نجوم أسبانيا فى الرقص ولغناء ·

وتناولنـا طعامنا وكان من لحم الدجاج المخلوط بالارز والطماطم والجبن والشطة والفلفل الاحمر وبهارات أخرى ! هـذا بينمـا كان يتوالى على المسرح ألوان من الرقص والغنـاء وكان فى هـذا الغناء ما يشبه الى حد كبير أغانى الصعيد وحزنها الدفين العميق ·

وقال صاحبى الموسيقار الاسبانى الاصل الفرنسى الجنسية ·· قال مازحا

ـ انظروا أيهـا العـرب ٠٠ ماذا فعلتم بأوروبا ؟ ٠٠ مشيرا الى الرقص والغناء وكلاهما لا يزال يحمل الطابع العربى الاصيل ٠

قلت ٠٠ ماذا فعلنا ؟ لقد أعطينا أسبانيا فنا جميلا رفيعـا ٠٠ عاش وما زال يعيش حتى اليوم بعد اثنى عشر قرنا ٠٠

قال ٠٠ كذلك أثينا وروما ٠٠٠

قلت ٠٠ وأين هو أثر الفن الاغريقى أو فن روما ٠٠ هل تجد لهما أثرا اليوم على مسارح لنـدن وباريس أو واشنجطون ؟ ولكن هـذا الرقص والغناء العربى الاسبانى تلقاه فى عواصم العالم ويعجب به الناس فى كل مكان ٠٠٠ أما فنك الاغريقى أو الرومانى فلم يبق لهما أثر الا فى المتاحف وقاعات المحاضرات ٠

وجرنا الحديث الى الغناء فى مصر ٠٠ والى أم كلثوم وعبدالوهاب ٠٠ وكان صديقى الموسيقـار المذكور قد زار مصر أثناء الحرب مع جنود الجنرال ديجول ٠ وكان يعمل فى أقلام المخابرات ٠٠

وقص على هـذه الحكاية التى سمعتها يومئذ لأول مرة ٠٠ قال ـ ومعلوماته التى يرويها هنا مستقاة كما قال من زمـلائه فى أقلام المخابرات البريطانية ـ قال انه عندما لاح شبح الحرب فى صيف عام ١٩٣٩ لاحظ رجال المخـابرات البريطانيـة فى الشرق الاوسط ان وكلاء المحور ـ ألمانيا وايطاليا ـ راحوا يجمعون من الاسواق فى القاهرة وتل أبيب ويافا والقدس وبيروت ودمشق وحلب ٠ـ٠ الخ جميع الاسطوانات العربية وخصوصا اسطوانات عبد الوهاب وأم كلثوم ٠

وهنا فطن رجال المخابرات البريطانية الى أن المحور يستعد لحرب الدعاية ٠٠ ونشطوا هم كذلك الى شراء هذه الاسطوانات ٠٠ وكان سباقا حارا بين الفريقين ٠

ومضى صديقى الموسيقـار الاسبانى الاصل الفرنسى الجنسية ٠٠ مضى يقول ٠٠

ـ وسر هذه الدعاية هو أن الدعاية الالمانية أو البريطانية سوف تضمن استماع البلدان العربية لها اذا هى بدأت بأغنية لعبد الوهاب ثم قال ٠٠

ـ وأقبل عـام ١٩٤٢ وبدأ روميل هجومه فى يناير واستخلص مدينة بنغازى من البريطانيين ٠٠ ثم توالت هجماته وتتابعت هزائم البريطانيين ٠٠ وسقطت طبرق ٠٠ وانطلق روميل والفيلق الافريقى صوب دلتا النيل ٠٠٠ ولعلك ـ وأنت صحفى مصرى ـ أدرى منى بالاجراءات التى كانت السلطات البريطانية تنوى اتخاذها وتنفيذها فى حالة اضطرارها الى الانسحاب من مصر الى فلسطين والسودان ٠٠٠ ولكن هناك اجراء واحدا لم يذع سره حتى اليوم ٠

وسكت لحظة وهو يبتسم لكى يرى وقع كلامه فى نفسى ٠

قلت ٠٠ ارغام الحكومة المصرية على الخروج مع البريطانيين من مصر لكى تقوم فى الخارج (حكومة مصر الحرة) ؟

قال ٠٠ كلا ٠ فان البريطانيين لم يلحوا كثيرا فى هذا الشأن ٠٠ ولكن وزارة الاستعلامات البريطانيـة ألحت فى أمر واحـد وأمرت رجالهـا فى مصر باتخاذ هـذا التدبير مهما كان الثمن ومهما كانت العقبات ٠

وسكت مرة أخرى ثم قال ٠٠ خروج أم كلثوم وعبد الوهاب من مصر بالرضا أو بالاكراه ٠

وبدت الدهشة على وجهى ثم ضحكت ٠٠ وفهم هـو من ضحكى اننى أشك فى روايته فقال بلهجة كلها جد ٠٠

ـ صدقنى هى الحقيقـة ما أقول ٠٠ لقـد كان فى نيـة السلطات البريطانية اذا ما اضطرت الى الانسحاب من مصر أن تأخذ معها ـ طوعا أو كرها ـ عبـد الوهاب وأم كلثوم لانهـا كانت تخشى أن تستغلهما الدعاية الالمانيـة الى أبعد حدود الاستغلال ٠٠ ولقـد كان يكفى أن يعلن راديو القاهرة التى يحتلهـا الالمان ٠٠٠ ان أم كلثوم أو عبد الوهاب سوف يغنى هذا المساء لكى ينصت العالم العربى كله الى اذاعة راديو القاهرة الذى يسيطر عليه الالمان ٠ وهذا هو الخطر فى حرب الدعاية ٠

قلت ٠٠ ولكن من كان يضمن أن أم كلثوم وعبـد الوهاب سوف

يوافقان على الغناء ؟
ابتسم صديقى الفرنسى وقال ..
ـ محال أن تكون جادا فى سؤالك هـذا .. والا فانت لا تعرف النازيين .. لقد كان أمرا ممكنا جداً أن يجلس عبد الوهاب وأمامه ميكرفون الاذاعة..ووراءه يقفجندى ألمانى«ينخزه» بطرف السونكى اذا توقف عن الغناء !!

* * *

ومن فرنسا ذهبت الىايطاليا وزرتميلانو وفلورانسا وروما ...
ولم يكن منالسهل أن أحمل القوم فىايطاليا على أن يتحدثوا الىـ الصحفى المصرى ـ بصراحة عما كان سيحدث لمصر لو نجحت جيوش المحور فى دخول مصر فى صيف ١٩٤٢
ولكن كان من السهل أن يتحدثوا بمنتهى الصراحة وبكثير من مرارة خيبة الامل عن سير الحربوتطورها لو كان غزو مصر قد نجح وتمكنت جيوش المحور من اختراق استحكامات العلمين فى يوليـه أو فى سبتمبر ١٩٤٢ ... وكان روميل قام بهجومه الاول فىأول يوليه .. ثم شنهجومه الثانى والاخير فىشهر سبتمبر .. وبعدها فقد القائد الالمانى عامل المبادأة .. الى أن فاجأه القائد البريطانى مونتجمرى بالهجوم بعـد شهر واحد .. أى فى أكتوبر من نفس العـام .
قال القوم فى روما لو أن روميـل كان نجح فى الوصـول الى الاسكندرية ودلتا النيل والقاهرة لكانت الحرب قد انتهت بانتصار دول المحور بعد عام واحـــد أى فى عام ١٩٤٣ ذلك أنه كان مقرّرا طبقا للخطة العامة التىوضعتها أركانالحرب المشتركة من الايطاليين والالمـان أن ينفصل قسم من الجيوش المحورية ويذهب جنوبا الى صعيـد مصر والسودان والحبشة . ويسترد اريتريا والصومال ... الخ وهدفه الاخير الوصول الى جنوب افريقيا وتطهير (القارة السوداء) ـ أى أفريقيا من البريطانيين انشـــاء قواعد للغواصات الالمانية والايطالية فى موانى افريقيا الجنوبية والشرقية... والعمل

على قطع طريق بحار الجنوب أى طريق رأس الرجا الصالح ـ الى الهند واستراليا . وهذا طبعا بعد أن يكون طريق قنال السويس قد أقفل هو أيضا فى وجه الاسطول البريطانى .

ومعنى هذا خنق مواصلات بريطانيا مع استراليا والشرق الاقصى والهند وبورما اللتين كانتا يومئذ تحت التاج البريطانى ..

كانت هذه مهمة الجيش الذى ينفصل عن جسم جيوش المحور الرئيسية .. وبقيت مهمة الجيش الرئيسى .. كانت مهمة هذا الجيش أولا القضاء على مقامة البريطانيين فى دلتا النيل .. وكانوا يقدرون صعوبة هذه المهمة بسبب اضطرارهم للهجوم أثناء فيضان النيل وتعدد قنوات شبك الرى فى الدلتا واستفادة الانجليز منها فى دفاعهم و (تعويق) زحف المحور .. ولكنهم كانوا واثقين من طرد البريطانيين تماما من الدلتا وقناة السويس مع حلول الخريف ..

وبعدها كانت مهمة هذا الجيش الرئيسى أن ينطلق عبر قناة السويس الى فلسطين ـ التى كما يؤكدون كانت ستسقط فى لمحة عين ـ ومن بعدها سوريا ولبنان والعراق .

وكان المحور يعتمد الى حد كبير على « صداقة العرب » وعلى انتفاضهم وقيامهم بثورات فى مؤخرة البريطانيين .. تعرقل حركاتهم وتعوق انسحابهم .

ولا أريد أن أسهب هنا فى وصف خطة المحور ولا فى الاحاطة بتطورات الحرب وسيرها لو كان روميل قد نجح فى غزو مصر ..

وأكتفى بأن أذكر فى عبارات وجيزة بعض التطورات الحاسمة فى سير الحرب التى كان مقدراً أن تقع ..

١ ـ الوصول الى ايران وقطع خط امداد وتموين روسيا بالذخائر والمهمات وهو الخط الذى انشأه الامريكيون والبريطانيون من خليج العجم الى القوقاز .

٢ ـ انضمام تركيا الى ألمانيا وايطاليا ضد الحلفاء . وهذا أمر كان مقطوعا به . فقد أبدت تركيا منذ اليوم الاول للحرب . أبدت صداقتها لالمانيا .. وراحت تنتظر « الوقت المناسب » لكى تدخل

الحرب الى جانب ألمانيا .. وقد فسر فون بابن سفير ألمانيا يومئـذ في انقره عبارة «الوقت المناسب» هذه في أحد تقاريره السرية فقال: ان الاتراك ما زالوا - حتى عام ١٩٤٢ - غير واثقين من انتصار ألمانيا . وانهم يفضلون أن يتريثوا قبل أن ينحازوا الى جانبها خوفا من سوء المصير ومن أن يصيبهم ما أصابهم في الحرب السابقة (بعد هزيمة ألمانيا في عام ١٩١٨) .. ولكن نجاح جيوش المحور في دخول مصر وطرد البريطانيين منها ومن فلسطين وسوريا ولبنان والعراق .. ثم الوصول الى ايران .. كل هذا كان كفيلا باقناع الاتراك بأن (الوقت المناسب) قد حان .. وكان دخول تركيا الحرب بعد قطع خط تموين روسيا من الجنوب - كان كفيلا بقلب ميزان المعركة في الجبهة الشرقية ضد روسيا.. ولقد كانت الجيوش الروسية تعاني يومئذ من الشدائد في القوقاز .. وفي محاصرة ستالينجراد وموسكو ولننجراد .

٣ - القيام بحركة كماشة من الجنوب الشرقي والغرب ضد الجيوش الحمراء .. الى آخره ..

لهذا لم يكن كثيرا أن يؤمل المحور في النصر النهائي ووضع حد للحرب في عام ١٩٤٣ .

* * *

كان موسوليني يطمع في دخول الاسكندرية والقاهرة في موكب يرد التاريخ القهقرى الى عصر أمجاد روما ومواكب قوادها الغزاة وعودتهم من ميادين القتال معقودة حول رؤوسهم أكاليل الغار .

وهنا عكف « الدوتشي » على وضع نظام وترتيب (موكب النصر) الذي سوف يسير على رأسه ... في شوارع الاسكندرية والقاهرة.

وأصدر أوامره أن يرسل جواده الاصيل الابيض اللون الى بني غازي. ومنها الى العلمين .. لكي يمتطيه الدوتشي في اليوم الموعود . ووقفت طيارة حربية خاصة على قدم الاستعداد في مطار روما لكي تحمل موسوليني - عند الساعة المرتقبة - الى أبواب الاسكندرية .. حيث ينتظره موكب النصر وجواده الابيض الاصيل .

حتى قائمة الطعام .. الذى سيقدم فى المأدبة الكبرى أعدها الدوتشى بنفسه .

وكان فى نيته أن يقيم مأدبة عشاء وحفلة ساهرة فى الاسكندرية.. ومأدبة أخرى وحفلة ساهرة فى القاهرة .

وقد تم الاتفاق بينه وبين السلطات الالمانية على أن يكون فندق مينا هاوس هو مقر القيادة الايطالية فى القاهرة .

وكانت قائمة الطعام الذى سيقدم فى مينا هاوس فى أول يوم يصل فيه موسولينى وقواده الغزاة كما يلى ..

حساء سمك النيل

دجاج الفيوم

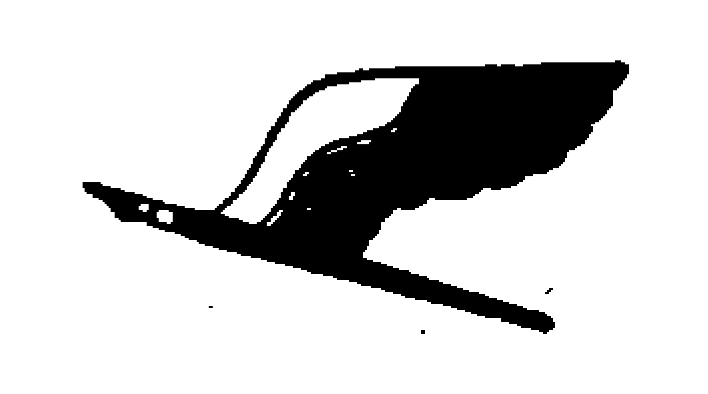
حمل مشوى على الطريقة البدوية

وحلوى ألف ليلة

وفاكهة الموسم (بطيخ وعنب ومانجو)

قهوة شرقية

والى هذا الحد كانت الآمال كبيرة والثقة فى النصر لا ريب فيها .



النهـــاية

وانتقل الآن الى الفصل الاخير من حياة أحمد محمد حسنين...

كان حسنين باشا يعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ لطمة أصابته هو بالذات .. لطمة لكرامته ولسياسته ولطمة لواجبه نحو العـــرش ونحو مصر .

وأقسم حسنين يومها على أن يثأر لنفسه وللبلاد من رجلين عدهما مسئولين عن هــذه اللطمة وهمـا مايلز لامبسون سفير بريطانيا ، ومصطفى النحاس رئيس الوفد ... ورئيس الوزراء ولقــد حاول حسنين باشا فى عام ١٩٤٣ أن يقيل مصطفى النحـــاس ووزارته ولكن الانجليز لم يمكنوه .. فقد بادر يومئذ السفير البريطانى فى مصر وأنذر فاروق ان الحكومة البريطانيــة تعلنــه أن لا تغيــير فى الوزارة No Change وفى الاوضاع القائمة فعلا .

وكانت حجة الانجليز يومئذ أنهم وحلفاءهم قادمون على فتح جبهة جــديدة فى جنوب أوروبا ـ أو بطن أوروبا السفلى ـ حسب تعبير ونستون تشرشل .

جبهة جديدة ينفذون منها الى قلعة هتلر فى وسط أوروبا ..ومن هنا فانهم أى الانجليز لا يسمحون بأى تغيير فى مصر مخافة وقوع رد فعل أو قلقلة خلف خطوطهم .. أى فى مصر .

* * *

واستكان حسنين وتظاهر بالرضا والتسليم ...

ولكنه لم يسكت... بل أقام يراقب سير الحوادث ويتحين الفرص.

وانتهت معركة أفريقيا باندحار الجيوش الالمانية وأسر مئات الالوف منها فى تونس والجزائر ومراكش .. ولا أدخل فى التفاصيل .

ونقل الحلفاء ـ بريطانيا وأمريكا ـ جيوشهم من أفريقيا الى جزيرة

صقلية ·· ومن هذه الى ايطاليا ··

واستسلمت ايطاليا فى سبتمبر من نفس العام ١٩٤٣ وفى يونيه ١٩٤٤ أنزل الحلفاء جنودهم فى نورماندى بشمال فرنسا ··

وبدأ تحرير القـارة ·· ودك قلعـة هتلر من الجنـوب والشرق والغرب · ودخل الحلفاء باريس فى أغسطس ··

وكانت الجيوش الروسية قد حررت دول البلطيق وجزءا من بولنده وزحفت نحو النمسا الى آخره الى آخره ·

وكما قلت ·· ليس فى نيتى أن أدخل فى التفاصيل · ولكن··· بدا يومئذ واضحا كل الوضوح أن نصر الحلفاء أمر مؤكد ··· وأن الحرب قد دخلت فى دورها الاخير وأن الحلفاء يمسكون بزمام الموقف·· وأن البريطانيين لم يعد أمامهم ـ أو وراءهم فى مصر ـ ما يخشون منه على سير الحرب ··

وانتهز حسنين الفرصة وواتاه الحظ أن مايلز لامبسون سافر فى أجازة قصيرة الى جنوب افريقيا ·

وضرب حسنين ضربتـه المفاجئة وكانت مسرحية مثيرة ·· ومن فصولها :

· تعليمات سرية الى الدكتور أحمد ماهر بالا يغادر داره فى يوم الاحد ٨ أكتوبر بل يبقى فيها ينتظر رسالة من «جلالة» الملك فاروق، وأوامر سرية الى حكمدار بوليس القاهرة ومدير ادارة الامن العـام بأن تكون قوات الامن على استعداد لحفظ النظام وقمـع أية حركة تقوم للاخلال بالامن والنظام !

وكانت هذه الاوامر السرية صادرة مباشرة من السراى لأن السراى كانت مصدر جميع السلطات ·

جرى كل هذا والوزراء ورئيسهم ـ وكانوا فى رمل الاسكندرية ـ لا يعرفون شيئا ·· وثلاثة أو أربعة فقط من الصحفيين من خصوم الوفد هم الذين كانوا على علم بما يعده ويدبره أحمد محمد حسنين رئيس الديوان ·

★ ★ ★

وفى صباح يوم الاحد ٨ أكتوبر ١٩٤٤ استقل حسن بك يوسف وكيل الديوان الملكى قطار الصباح من الاسكندرية الى القاهرة ..

ودخل عربة البولمان فوجد أمامه محرم باشا وزير الاشغال فابتسم وحياه ولكنه جلس الى مائدة بعيدة عن المائدة التى كان يجلس اليها وزير الاشغال .

ولعله – حسن بك يوسف – خشى أن يقرأ عثمان محرم باشا شيئا ما فى وجهه .. شيئا ما يكشف سر سفره فى الصباح الباكر الى القاهرة .. ذلك أن وكيل الديوان كان يحمل فى جيبه أمرا ملكيا صادرا الى الدكتور أحمد ماهر بتشكيل الوزارة ..

وأمرا ملكيا آخر الى مصطفى النحاس باقالة الوزارة .. ووصل حسن يوسف الى القاهرة وانهى مهمته فيها ثم عاد بالسيارة الى الاسكندرية ..

وفى الساعة الخامسة بعد ظهر نفس اليوم الاحد ٨ أكتوبر .. وحسب التعليمات والاوامر .. وطبقا للخطة المسرحية التى وضعها حسنين باشا ..

غادر الدكتور أحمد ماهر داره .. الى دار رياسة مجلس الوزراء وصعد توا الى غرفة رئيس الوزراء وأمر السعاة والحجاب أن يفتحوا أمامه الابواب .. وأعلنهم انه رئيس الوزارة الجديدة ...

وفى نفس اللحظة – وطبقا للاوامر والتعليمات – فتح المعتقل أبوابه وخرج منه مكرم عبيد ..

خرج من المعتقل وذهب مباشرة الى وزارة المالية التى عين وزيرا لها فى الوزارة الجديدة ..

وفى نفس الساعة – الساعة الخامسة – كان حسن يوسف يصعد الى الطابق الثانى بفندق سيسل بالاسكندرية حيث كان يقيم مصطفى النحاس .. ويسلم رفعته خطاب الاقالة . وكان أمين عثمان قد أقبل على فندق سيسل لزيارة مصطفى النحاس ... فقيل له أن الوزارة أقيلت وكانت فى يده سلسلة ذهبية يعبث بها ويلفها على أصابعه ثم يعود ويفردها ... وتوقف فى طريقه وسقطت السلسلة

من يده ٠٠ ولكنه خرج وأرسل برقية الى أحمد حسنين يقول له فيها ـ باللغة الانجليزية ـ (أهنئك لقد ربحت الجولة الاخيرة) ٠

ذلك لأنها كانت حربا أو مباراة بين الرجلين ٠٠ رجل الانجليز ٠٠ أمين عثمان ورجل القصر ٠٠٠ أحمد حسنين ٠

وكانت المباراة حـول مصطفى النحاس هل يبقى رئيسا للوزارة كما يريد الانجليز ؟ أم يخرج كما يريد القصر وقد انتصر رجـل القصر أحمد حسنين ٠

* * *

وأمشي سريعا بين الحوادث ٠٠ الى أن أصل الى عام ١٩٤٦ وكانت الوزارة البريطانية يومئذ من حزب العمال ٠ وكان وزير الخارجيـة أرنست بيفن ٠

وعرف حسنين كيف يوجـه صديقه عبد الفتاح عمرو سفير مصر في لندن الى استغلال صداقته مع مستر بيفن ٠٠٠ وكان أن استدعت وزارة الخارجية البريطانية سفيرها مايلز لامبسون من مصر ٠

وهكذا بر حسنين بوعده أو بقسمه وثأر لنفسه من الرجلين ٠٠٠ مايلز لامبسون ومصطفى النحاس ٠

ثم لقى منيته بعد ذلك بأسبوعين اثنين ٠ وكان موته ـ رحمه الله مفاجأة مثيرة كما كانت حياته سلسلة من المفاجآت المثيرة ٠

* * *

وكان أمضى سهرة يوم الاحد ١٧ فبراير ١٩٤٦ في مسكني مع بعض الاصدقاء ومنهم أم كلثوم ٠٠٠ وغنت أم كلثوم سلوا قلبي ٠ وحمل حسنين مقعدا صغيرا جلس فيه بين يدى أم كلثوم وكان ينصت لها بكل جوارحه ٠ وامتدت السهرة حتى مطلع الفجر ٠٠٠ يوم الاثنين وشيعته الى باب المصعد وكانت هذه آخر مرة أراه فيها ٠

وفى يوم الثلاثاء ١٩ فبراير كان حسنين مدعوا لتناول الغذاء عند أسرة صديقة فى المطرية ٠٠٠ ولكن تراكم الاعمال أبقاه فى مكتبه بقصر عابدين الى الساعة الثالثة بعد الظهر ٠٠ ورأى رحمه الله أنه تأخر كثيرا عن الموعد فاعتذر لاصحاب الدعوة بالتليفون ٠٠٠

واستقل سيارته عائدا الى داره بالدقى ... وكانت السماء تمطر ..
وبينما كانت سيارته تجتاز كوبرى قصر النيل فى طريقها الى الدقى أقبلت سيارة لورى بريطانية من الجهة المضادة ... وانزلقت عجلات السيارة البريطانية بفعل المطر ... ولفت اللورى نصف لفة على الكوبرى وصدمت سيارة حسنين من الخلف صدمة شديدة ...

وسمع سائق السيارة صوت حسنين باشا خلفه وهو يقول ...
(ياساتر .. ياساتر يارب ..) .

والتفت السائق خلفه فرأى الدم يسيل من فم حسنين باشا ..
وأوقف السائق السيارة . ونزل منها يصيح ويطلب المساعدة ...
ومرت مصادفة فى نفس اللحظة سيارة وزير الزراعة أحمد عبد الغفار باشا صديق حسنين وزميله أيام الدراسة فى أوكسفورد .

وأسرع أحمد عبد الغفار وحمل صديقه الى مستشفى الانجلوأمريكان القريب من مكان الحادث ...

ولكن حسنين كان أسلم الروح ... فنقلوه الى داره .

* * *

وطار الخبر الى القصر ... وأسرع فاروق ــ وكان يرتدى بيجامة وفوقها (روب دى شامبر) وفى قدميه شبشب ــ أسرع بملابسه هذه واستقل احدى سياراته الى دار حسنين فى الدقى .

ووقف فاروق لحظة أمام جثمان حسنين ... رائده وأستاذه ومربيه ثم رئيس ديوانه ...

ثم قال : (مسكين يا حسنين) وسأل بعدها عن مفاتيح مكتب حسنين ... وتناولها ودخل غرفة المكتب وأغلق وراءه الباب ...
وكان فاروق يبحث عن أية مذكرات يكون حسنين قد كتبها ...
وعن عقد زواجه بامه الملكة نازلى ... وعن أية أوراق هامة أخرى قد يكون تركها وراءه ...

* * *

وبعد وفاة حسنين باسبوعين أو ثلاثة أسابيع ذهب فاروق يزور أمه نازلى فى قصرها الذى ورثته عن أبيها فى الدقى .. ودخل عليها

فى قاعة القصر الكبرى ··· وتسمرت قدماه عند الباب ·

فقد رأى أمامه فى صدر القاعة صورة لاحمد محمد حسنين بالحجم الطبيعي وقد جللت بالسواد ···

وأمام الصورة ـ وعلى الارض ـ جلست أمه «الملكة» نازلى وحولها سيدات حاشيتها وخادمات القصر وجميعهن متشحات

وعلى جانبى القاعة الكبيرة جلس نحو عشرين شيخا يتلون الاوراد ويدعون بالرحمة للراحل الكريم ···

توقف فاروق لحظة عند باب القاعة ··· وقد عقدت الدهشة لسانه · ثم مشى الى حيث كانت تجلس أمه وقال لها وهو يشير بيده الى الصورة والى السيدات والمشايخ ···

قال ·· ايه ده كله ؟··· وعلشان ايه ده كله ·· مات ·· خلاص مات ·· فلزوم ده ايه ؟

وانتفضت نازلى واقفة على قدميها وانفجرت فى ابنها تصيح ···

ـ ده ؟·· ده اللى عملك راجل ·· ده اللى حافظ لك على عرشك ·· بكرة راح تشوف يجرى لك ايه ··· بعد موت حسنين ·

الى آخره ·· الى آخره ··

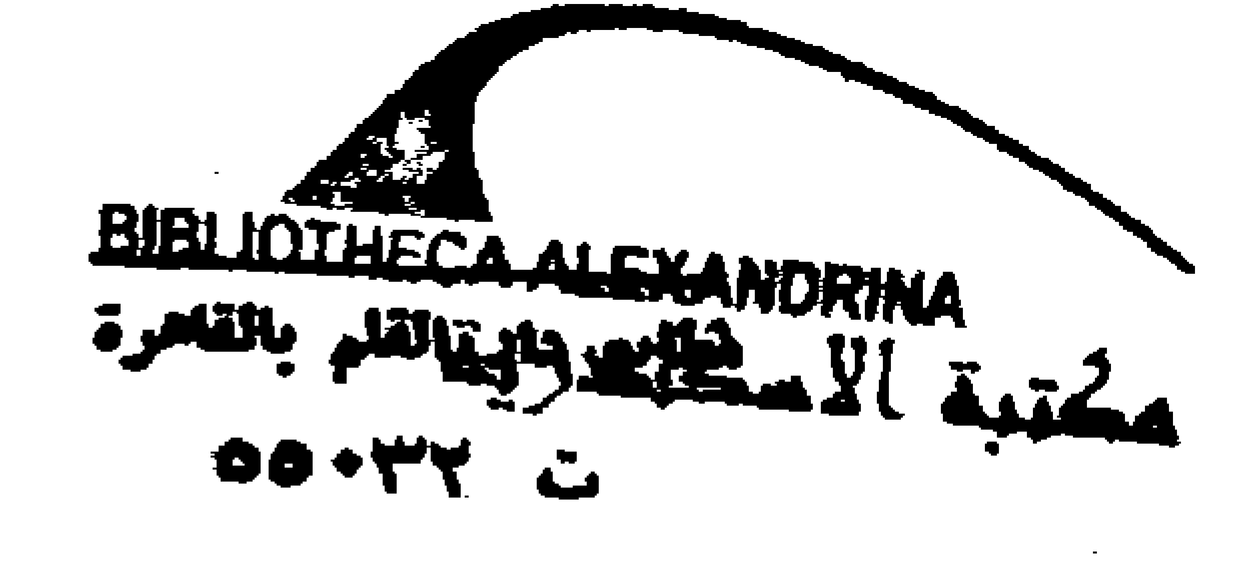
وهز فاروق كتفيه ساخرا وانصرف ···

* * *

وان هى الا أسابيع معدودة حتى غادرت نازلى مصر الى أوروبا للعلاج والراحة كما زعمت ···

ولكنها غادرت مصر وفى نيتها ألا تعود ·· وكان منها ما يذكره القراء ··· وكان كذلك ما كان من فاروق ·· وكيف استهتر الى أبعد حدود الاستهتار وطغى وبغى··· ثم كانت الثورة التى طوحت به وحطمت عرشه ···

ولعله تذكر يومئذ وهو يوقع وثيقة تنازله عن العرش قول أمه (بكرة تشوف راح يجرى لك ايه بعد موت حسنين) ·





دار البستاني للنشر والتوزيع
٢٩ ش الفجالة ١١٢٧١ القاهرة
ت ٣١٤٠١ ـ ب.ض/١٠٠١٤
م.ض: ١٩١ ٢٤ ٥/٤١٦٦٠ مدينة نصر

